

زهد الألباني

ومرآة الباب

لأبي إسحق الحصري القيرواني

—>>>><<<<—

مفصل ومضبوط ومشروح

بقلم

الدكتور زكي مبارك

الجزء الأول

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول
لصاحبها مصطفى محمد

محفوظة

كَلِمَةٌ

إلى مفضرة الأستاذ الفيلسوف أحمد لطفي السيد بك

سمدي

هذا كتاب من خير ما أبدع المتقدمون :
فصلته ، وضبطته ، وشرحته ، بعد إذ انتفعت بما أدبني
به سادتي أساتذة الجامعة المصرية

وإني لأرجو أن تجد في هذا العمل أثراً لما نحب أن
يوفق إليه طلبة الجامعة من إحياء الآداب ، والسلام
المخلص
زكي مبارك

٢٢ فبراير سنة ١٩٢٥

مقدمة

الحضري القيرواني — أبو الحسن الحضري — طرّف من أخباره — حياته الأدبية — داليته ودالية شوق — أبو اسحق الحضري شعره ونثره — طريقته في التأليف — التعريف بزهر الآداب إغفال المجون — تهذيب كتب المتقدمين — رأى الدكتور طه حسين مهذيب زهر الآداب — تفصيله وضبطه وشرحه — قيمته الأدبية

الحضري القيرواني

الحضري — بضم الحاء المهملة وسكون الصاد المهملة وبعدها راء مهملة — نسبة إلى عمل الحضري أو بيعها ، كما ذكر ابن خلدكان ، والقيرواني نسبة إلى مدينة القيروان

ويعرف تاريخ الآداب رجلين بهذا الاسم أولهما :

أبو الحسن الحضري

وأبو الحسن هذا هو علي بن عبد الغني الفهري المقرئ الضريع القيرواني ، وقد كان — كما ذكر ابن بسام في الذخيرة — بحر براعة ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة .

طراً على الأندلس — كما قال ابن بسام — منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان ، والآدب بأفق الأندلس

يومئذٍ نَافِقُ السُّوقِ ، معمور الطريق ، فتهاداه ملوك الطوائف تهادى
الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار بالأنس المقيم .
ولكنه فيما نُقِلَ لم يطمئن هناك ، فاحتمل على مَضَضٍ بَيْنَ
زمانه ، وبعْدَ قُطْرِهِ ، ثم اشتملت عليه مدينة طنجة بعد خلع ملوك
الطوائف ، وتُوَفِّي بها سنة ٤٨٨ هجرية

طَرَفٌ مِنْ أَخْبَارِهِ

ذَكَرَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ مُقِيمًا بِمَدِينَةِ طَنْجَةَ أَرْسَلَ غَلَامَهُ إِلَى الْمُعْتَمِدِ
ابْنِ عَبَّادٍ صَاحِبِ اشْبِيلِيَّةَ ، وَاسْمُهَا فِي بِلَادِهِمْ حِمَصُ ، فَأَبْطَأَ عَنْهُ ، وَبَلَغَهُ
أَنَّ الْمُعْتَمِدَ لَمْ يَحْفَلْ بِهِ ، فَقَالَ :

نَبَّهَ الرَّءْكَبَ الْهَجُوعَا * وَلَمْ الدُّعْرَ الْفَجُوعَا

حِمَصُ الْجَنَّةُ قَالَتْ * لَغَلَامِي لَا رُجُوعَا

رَحِمَ اللَّهُ غَلَامِي * مَاتَ فِي الْجَنَّةِ جُوعَا

وهذه الأبيات غاية في خفة الروح

وَحَكَى أَنَّ الْمُعْتَمِدَ بْنَ عَبَّادٍ بَعَثَ إِلَى أَبِي الْعَرَبِ الزَّيْدِيِّ خَمْسَمِائَةَ
دِينَارًا ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَجَهَّزَ بِهَا وَيَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، وَكَانَ بِجَزِيرَةِ صِقْلِيَّةَ وَهُوَ
مِنْ أَهْلِهَا ، وَبَعَثَ مِثْلَهَا إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الْخَضْرَى ، وَهُوَ بِالْقَيْرَوَانِ ،
فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَرَبِ :

لَا تَعْجَبَنَّ لِرَأْسِي كَيْفَ شَابَ أَسِّي * وَاعْجَبْ لِأَسْوَدِ عَيْنِي كَيْفَ لَمْ يَشِبْ
الْبَحْرُ لِلرُّومِ لَا يَجْرِي السَّفِينُ بِهِ * إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَالْبَرْقُ لِلْعَرَبِ

وكتب له الحضري :

أَمَرْتَنِي بِكُوبِ الْبَحْرِ أَقْطَعُهُ * غَيْرِي، لَكَ الْخَيْرُ، فَاخْصُصْهُ بِذَا الدَّاءِ
مَا أَنْتَ نُوْحٌ فَتُنَجِّنِي سَفِينَتُهُ * وَلَا الْمَسِيحُ أَنَا أَمْشِي عَلَى الْمَاءِ

حياته الادبية

ذكروا أنه كان عالماً بالقراءات وطُرُقها ، وأنه أقرأ الناس القرآن
الكريم بسبّعة وغيرها ، وأن له قصيدة نظمها في قراءات نافع ، عدد
أبياتها مائتان وتسعة ، وأن له ديوان شعر ، وهو القائل :

أَقُولُ لَهُ وَقَدْ حَيًّا بِكَاسٍ * لَهَا مِنْ مِسْكِ رِقَّتِهِ خِتَامُ
أَمِنْ خَدَّيْكَ يُعْصِرُ قَالَ كَلًّا * مَتَى مُعْصِرَتْ مِنَ الْوَرْدِ الْمُدَامُ ؟
وأشهر قصائده تلك الدالية التي افتنّ في معارضتها الشعراء^(١) ولنذكرها
هنا لقيمتها وأثرها في تاريخ الآداب العربية ، قال :

يَالَيْلِ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ * أَقِيَامُ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُ
رَقْدَ السَّمَارِ وَأَرْقَهُ * أَسْفُ لِلْبَيْنِ يُرَدِّدُهُ
فَبِكَاهِ النَّجْمِ وَرَقَّ لَهُ * مِمَّا يَرَعَاهُ وَيَرْصُدُهُ
كَلِفٌ بَغْزَالٍ ذِي هَيْفٍ * خَوْفُ الْوَاشِينِ يُشَرِّدُهُ
نَصَبَتْ عَيْنَايَ لَهُ شَرَكَاً * فِي النَّوْمِ فَعَزَّ تَصِيدُهُ
وَكُنِيَ عَجَبًا أَنِّي قَنَصْتُ * لَلسَّرْبِ سَبَانِي أَغْيِدُهُ
صَنَمٌ لِلْفَتْنَةِ مُنْتَصِبٌ * أَهْوَاهُ وَلَا أَلْعَبِدُهُ

(١) نجد هذه المعارضات في مجموعة صغيرة نشرها الاديب محي الدين افندي رضاسنة ١٩١٩

صاحٍ والحمر جنى فيه * سكرانٍ الالحظٍ مُعَرِّبُهُ
ينضو من مقلته سيفاً * وكأنَّ نَعَّاساً يُنَمِّدُهُ
فيريِّقُ دَمَ العشاقِ بهِ * والويل لمن يتقلده
كلا لا ذنب لمن قتلت * عيناه ولم تقتل يده

يا من جحدت عيناه دمي * وعلى خديهِ تَوَرَّدُهُ
خداك قد اعترفا بدمي * فعلام جفونك تجحده
انى لأعيدك من قتلي * وأظنك لا تتعمده
بالله هب المشتاق كرى * فلعل خيالك يُسعدُهُ
ماضرك لو داويت ضنى * صبَّ يدنيك وتبعده
لم يبق هواك له رمقاً * فليبك عليه عوده
وغداً يقضى أو بعد غدٍ * هل من نظرٍ يزوده

يا أهل الشوق لنا شرقٍ * بالدمع يفيض مورده
يهوى المشتاق لقاءكم * وظروف الدهر تبعده
ما أحلى الوصل وأعذبه * لولا الأيام تنكده
بالبين وبالهجران فيا * لفؤادى كيف تجلده

وممن عارض هذه القصيدة من المتقدمين نجم الدين القمرأوى

إذ يقول :

قد ملّ مريضك عوده * ورثى لأسيرك حسده

لَمْ يَبْقَ جَفَاكَ سِوَى نَفْسٍ * زَفَرَاتِ الشُّوقِ تُصَعِّدُهُ
هَارُونَ يَعْنُونَ فَنَ السَّحَرِ إِلَى عَيْنِيكَ وَيُسْنِدُهُ
وَإِذَا انْغَمَضْتَ اللَّحْظَ فَتَكَرَّرَتْ فَكَيْفَ وَأَنْتَ تَجَرُّدُهُ
كَمْ سَهْلَ خَذُّكَ وَجْهَ رِضَا * وَالْحَاجِبُ مِنْكَ يُعَقِّدُهُ
مَا اشْرَكَ فِيكَ الْقَلْبُ فَلَمْ * فِي نَارِ الْهَجْرِ تُخَلِّدُهُ
وَنَاصِحُ الدِّينِ الْأَرْجَانِي إِذْ يَقُولُ

هَلْ أَنْتَ بِطَوْلِكَ مُسْعِدُهُ * يَا لَيْلٍ فَصُبْحُكَ مُوَعِدُهُ
لَا كَانَ قَصِيرَ اللَّيْلِ فِي * مِيعَادُ مَنِيَّتِهِ غَدُهُ
فِي صَدْرِي مِنْ كَلْفٍ بِكُمْ * جُنْدٌ لِلشُّوقِ يَجْنِدُهُ
أَعْلِيلُ اللَّحْظِ وَعَلْتُهُ * مِنْهَا الْمَتَأَلَّمُ عُودُهُ
عَيْنَاكَ لِسْفِكَ دَمِي جَنَّتَا * فَالْصُدُغُ عَلَامَ تَجْمَعِدُهُ
وَدَى لَا يَحْسُنُ مَحْمَلُهُ * فِي النَّاسِ فَلَمْ تَتَقَلَّدُهُ
لَمْ أَنْسَ بَرَامَةَ مَوْقِفِنَا * وَالشَّمْلُ أَظْلَى تَبْدُدُهُ
رَشَاءٌ قَدْ أَفْلَتَ مِنْ شَرِّكَى * وَالْبَيْنُ غَدَا يَتَصَيَّدُهُ
سِرْبٌ قَدْ عَنَ بَذَى سَلَمٍ * وَغَدَا بِفَوَادِي أَغْيَدُهُ
وَتَطَاوُلُ يُتْبِعُهُمْ نَظَرًا * صَبٌّ قَدْ طَالَ تَبَايُدُهُ
حَرَّانُ الْقَلْبِ مُتَيِّمُهُ * حَيْرَانُ الطَّرْفِ مُسَهِّدُهُ

وَأَبْرَعُ مِنْ عَارِضِهَا مِنَ الْمَعَاصِرِينَ فَخَرِ مَضْرُوعُ الشَّرْقِ أَمِيرُ الشَّعْرَاءِ
أَحْمَدُ شَوْقِي بِكَ إِذْ يَقُولُ

مُضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ * وَبَكَاهُ وَرَحِمَ عُودُهُ

حيران القلب مُعَذِّبُهُ * مقروح الجفن مُسَهِّدُهُ
 أودى حُرْقًا إِلَّا رَمَقًا * يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتَنْفِدُهُ
 يَسْتَهْوِي الْوُزْقَ تَأْوُهُ * وَيُذِيبُ الصَّخْرَ تَهْدُهُ (١)
 وَيُنَاجِي النِّجْمَ وَيَتَّبِعُهُ * وَيُقِيمُ اللَّيْلَ وَيُقْعِدُهُ
 وَيُعَلِّمُ كُلَّ مَطْوُوقَةٍ * شَجَنًا فِي الدَّوْحِ تَرْدُدُهُ
 كَمْ مَدَّ لَطِيفُكَ مِنْ شَرِّكَ * وَتَأْدَّبَ لَا يَتَصَيَّدُهُ
 فَعَسَاكَ بَغْمُضٍ مُسْعِفُهُ * وَلَعَلَّ خِيَالَكَ مُسْعِدُهُ
 الْحَسَنُ حَلَفْتُ «يُوسُفُهُ» * وَ«السُّورَةُ» أَنْكَ مُفْرَدُهُ
 قَدْ وَدَّ جَمَالَكَ أَوْ قَبَسًا * حَوْرًا خُلْدَ وَأَمْرَدُهُ
 وَتَمَنَّتْ كُلُّ مُقَطَّعَةٍ * يَدَهَا لَوْ تَبَعْتُ تَشْهَدُهُ
 جَعَدْتَ عَيْنَاكَ زَكَّى دَمِي * أَكْذَلِكَ خَدَّكَ يَجْحَدُهُ
 قَدْ عَزَّ شَهْوَدِي إِذْ رَمَتَا * فَأَشْرْتَ لَخْدَكَ أَشْهَدُهُ
 وَهَمَمْتَ بِجَمِيدِكَ أَشْرِكُهُ * فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ أَصْنَدُهُ
 وَهَزَزْتَ قَوَامَكَ أَعْظِفُهُ * فَنَبَا وَتَمَنَّى أَمْلَدُهُ (٢)
 سَبَبٌ لِرِضَاكَ أُمِّدُهُ * مَا بَالَ الْخَصْرَ يُعْقِدُهُ
 بَيْنِي فِي الْحُبِّ وَبَيْنَكَ مَا * لَا يَقْدِرُ وَاشٍ يُفْسِدُهُ
 مَا بَالَ الْعَاذِلَ يَفْتَحُ لِي * بَابَ السُّلُوفِ وَأَوْصِدُهُ
 وَيَقُولُ تَكَادُ نُجْنُ بِهِ * فَأَقُولُ وَأَوْشِكُ أُعْبِدُهُ
 مَوْلَايَ وَرَوْحِي فِي يَدِهِ * قَدْ ضَيَّعَهَا سَلِمَتْ يَدُهُ

(١) جمع الورق : ورقاء وهي الحامة (٢) الأملد والاملود : النصن اللين الناعم

ناقوس القلب يَدُقُّ لَهُ * وحنايا الأُضْلَعُ مَعْبَدُهُ
مُحْسَدِي فِيهِ أَعْذَرُهُم * وَأَحَقُّ بِعَذْرِي حُسَدُهُ

قَسَمًا بَثْنَايَا لَوَاؤُهَا * قَسَمَ الْيَاقُوتَ مُنْضَدُّهُ
وَرُضَابِ يَوْعَدُ كَوْنَهُ * مَقْتُولَ الْعَشْقِ وَمُشْهَدُهُ
وَبِخَالٍ كَادَ يُحْجِجُهُ لَهُ * لَوْ كَانَ يُقْبَلُ أَسْوَدُهُ
وَقَوَامِ يَرُوي الغصن لَهُ * نَسَبًا وَالرَّمْحَ يُفَنِّدُهُ
وَبِخَضِرٍ أَوْهَنَ مِنْ جَلْدِي * وَعَوَادِي الْهَجْرِ تَبْدُدُهُ
مَا خُنْتُ هَوَاكَ وَلَا خَطَرْتُ * سَلَوِي بِالْقَلْبِ تَبَرُّدُهُ

وإنما ذكرت حياة أبي الحسن الحضري ، وشيثاً من أخباره ،
لأنني رأيت أكثر الناس يحسبونه صاحب زهر الآداب ، ولأنني
أحب دائماً أن أقدم للقارئ ما يُنمِّعُ عقله ووجدانه من المعارف
الأدبية ، لأية مناسبة ؛ ولأن أبا الحسن الحضري ابن خالة أبي إسحق
الحضري صاحب زهر الآداب ، وفي هذه القرابة ما يدعو للتنويه به
في هذا المقام ، والظفر للقارئ على أي حال

أبو إسحق الحضري

أما أبو إسحق الحضري فهو إبراهيم بن علي بن تميم المتوفى
سنة ٤٥٣ هجرية ، وقد عُنيَ به كثير من كتّاب التراجم : فتكلم عنه
ابن رشيق في الأنموذج ، وابن بسّام في الذخيرة ، والرشيد بن الزبير
في الجنان ، وابن خلكان في وفیات الأعيان

وقد كان شباب القيروان — فيما قالوا — يجتمعون عنده ،
ويأخذون عنه ، وكان لديهم من المكرمين

شعره ونثره

أورد ابن رشيقي من شعره هذين البيتين :
إني أحبك حباً ليس يبلغه * فهم ولا ينتهي وصفٌ إلى صفته
أقصى نهاية علمي فيه معرفتي * بالعجز مني عن إدراك معرفته
وأورد له ابن بسّام هذين البيتين

أورد قلبي الردي * لام عذارٍ بدا
أسود كالكفر في * في أيّض مثل الهدى
ولو تقلت إلينا من شعره طائفة صالحة لاستطعنا أن نعيّن
منزله بين الشعراء

أما نثره فمستملح ، ويغاب فيه السجع المقبول ، الخالص من
شوائب الصنعة والتكلف ، والسجع في الأصل حلية وزينة ، وإنما
يعاب عند الغلو والإغراق

وإليك أنموذجاً مما جاء من نثره في مقدمة كتابه ، قال :

« ولم أذهب في هذا الاختيار ، إلى مطوّلات الأخبار ، كأحاديث
صعصعة ابن صوّحان ، وخالد بن صفوان ، ونظائرها ، إذ كانت هذه
(يريد الفقر الصغيرة) أجمل لفظاً ، وأسهل حفظاً ، وهو كتاب
يتصرف فيه الناظر من نثره ، إلى شعره ، ومطبوعه ، إلى مصنوعه ،

ومحاورته ، إلى مفاخرته ، ومناقشته ، إلى مساجلته ، وخطابه المبهت ،
إلى جوابه المسكت ، وتشبيهاته المصيبة ، إلى اختراعاته الغريبة ،
وأوصافه الباهرة ، إلى أمثاله السائرة ، وجِدِّه المعجب ، إلى هزله
المطرب ، وجزله الرائع ، إلى رقيقه البارع »

وهذا كما ترى سجعٌ يجمع بين دِقَّة الصَّنْع ، ورِقَّة الطبع ، فهو
في دقته مطبوع ، لا مصنوع

طريقته في التأليف

الأدب لاموضوع له ، كما يقول أستاذنا الجليل الشيخ سيد
المرصفي ، وكذلك كان يفهمه أبو إسحق الحصري ، فهو لا يحفل بترتيب
المسائل ، ولا بتبويب الموضوعات. وإنما يتصرف من الجدل إلى الهزل ،
ومن الأوصاف إلى التشبيهات ، ومن الشعر إلى النثر ، ومن المطبوع
إلى المصنوع ، وهذه الطريقة من أهم الطُّرُق في التأليف ، وإن عابها
من لا يفرق بين الموضوعات العامة ، والموضوعات الأدبية

ذكروا أنه ترك كتاباً اسمه « المصون ، في سر الهوى المكنون »
في مجلد واحد ، فيه مُلَح و آداب ، أما كتابه الخالد فهو « زهر الآداب
وثمر الألباب » وإنه ليسجع حتى في تسمية كتبه ، وكذلك كان يفعل
في عهده المؤلفون

التعريف بزهر الآداب

كان المتقدمون لا يصفون زهر الآداب إلا بأنه « جمع كل غريبة » وهو وصف صادق ، وإنى ذاكرٌ هنا بعض صفات هذا الكتاب ، وعلى الأخص الصفات التي تعين منهج مؤلفه ، وتميز اتجاه بعض الأفكار في العصر الذي عاش فيه وإنا لنجده :

أولاً - بهتم ببراءة المطلع ، وحسن الختام ، فيبدأ كتابه بهذه الجملة « الحمد لله الذي اختص الانسان ، بفضيلة البيان ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، المرسل بالنور المبين ، والكتاب المستبين ، الذي تحدى الخلق أن يأتوا بمثله ، فعجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً »

ويختتمه بهذه العبارة :

وقال ابن الأعرابي أمدح بيت قاله المحدثون قول أبي نواس
أخذت بحبلٍ من حبال محمدٍ * أمنتُ به من طارقِ الحدَّانِ
ثانياً - يُعنى عناية خاصة بالكلام عن الصحابة والتابعين ، فينقل أخبارهم ، ويدوّن آثارهم ، وكانت هذه فيما يظهر عادة إسلامية في ذلك الحين

ثالثاً - يجعل الكلام في المصيبة بأبناء النبوة باباً من أبواب الأدب ، فينقل هذه التعابير :

« قد نعى سليلٌ من سُلالة النبوة ، وفرع من شجرة الرسالة .

وعضو من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصى والبتول ، تجدد
في بيت الرسالة رُزْمُ جدد المصائب ، واستعداد النوائب — انها لمصيبة
تحيفت جانب الوحي المنزل ، وذكّرت بموت النبي المرسل « الخ الخ !! »
ويتصل بهذا عنايته بأوصاف الأشراف . كنقله هذه العبارات :
« استقى عرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ثدى الرسالة
وتهدلت أغصانه عن نبعة الامامة ، وتبحجت أطرافه في عرصة الشرف
والسيادة ، وتفقأت بيمضته عن سلالة الطهارة ، قد جذب القرآن
بضْبَعِهِ ، وشقّ الوحي عن بصره وسمعه » الخ الخ !!

وهذا الاتجاه يدل على وجهة سياسية خاصة ، فصلتها بعض
التفصيل في كتاب « الأخلاق عند الغزالي » وإلا فإن النبي يقول :
من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه ، بل الله يقول : فاذا نفخ في الصور فلا
أنساب بينهم ؟

رابعاً — يُبْدَى الحُضْرَى ويعيد في الكلام عن البلاغة والبلاء ،
والشعر والشعراء ، والإِنشاء والمنشئين ، وكذلك كان أهل عصره يهتمون
بدرس النثر والشعر ، ونحن مدينون لهم بما يتصل بهذا الباب من
المعارف الأدبية

خامساً — يذكر كثيراً من الآداب الاجتماعية التي كان يحمدها
الناس لعهدده ، فيذكر ما يجمل في معاملة الملوك ، ويتحدث عن فضل
الليل ، والحرص على الأدب ، وواجب الذُّسَاخ ، وما الى ذلك مما يتصل
بما على المرء من الواجبات ، وماله من الحقوق

اغفال المجون

وقد جرى أبو اسحق الحصرى فى زهر الآداب على اغفال المجون ،
فنجده يقول عن راشد بن أرشد « وله مذهب استفرخ فيه أكثر
شعره ، وصنت الكتاب عن ذكره » وقد صرحت بانكار هذا المنهج
فى « مدامع العشاق » وبينت هناك أن حرص الحصرى على الاخلاق
ضئع علينا ما أعرض عنه من الآثار الأدبية ، وكنا فى حاجة الى أن
نعرف كل ماترك الاولون !

وأحب أن يعلم القارئ أن المجون لونٌ من ألوان الغذاء التى تحياها
العقول ، فكما أن الأجسام تحتاج فى تغذيتها الى المواد المختلفة ، والعناصر
المتنوعة ، من الملح ، والحلو ، والمر ، فكذلك العقول تحتاج فى تغذيتها
الى المعارف المتباينة : من جد القول وهزله ، وحلوه ومرّه ، ولكن
أكثر الناس لا يفقهون !

على أن الحصرى لم يخل كتابه من المجون ، بل ومن فاحش المجون ،
وأحيل القارئ على ما جاء فى ص ٢١١ من الجزء الأول ، ليرى كيف
غلب المؤلف على أمره ، فأباح ما لا يباح !

تهذيب كتب المتقدمين

يهتم كثير من علماء العصر بتهذيب كتب المتقدمين ، وهذا التهذيب
ينحصر فى حذف المجون وضم بعض الموضوعات الى بعض ، وأنا أنكر

هذا الأسلوب ، والعهد قريب بما كتبه سيدي الاستاذ الدكتور طه حسين في نقد مذهب الأغاني الذي أظهره الاستاذ الكبير محمد بك الخضري منذ أسابيع ، ويرجع أن يترك المعاصرون هذه الطريقة المنكرة ، بعد تلك الحملة الصادقة ، التي أصابها صاحب حديث الأربعاء

تهذيب زهر الآداب

ولقد رأيت أن أترك تلك الطريقة في تهذيب زهر الآداب لأن المؤلف لم يرد أن يكون كتابه ذا فصول وأبواب ، وإنما أراد أن يتصرف القارئ فيه من الشعر إلى النثر ، ومن الجد إلى الهزل إلى آخر ما قال

وقد ظلّ بين يديّ نحو تسعة أشهر وأنا معتقل في سنة ١٩٢٠ ، فقرأته ، ثم قرأته ، وعُنيّت بضبطه ، وتصحيح ما وقع فيه من الأغلاط ، ثم رأيت أن أفصلّه ، والتفصيل فيما أريد هو أن أضع عنواناً لكل موضوع ، وما أكثر ما في الكتاب من الموضوعات ، لأن المؤلف وضع قليلاً من العناوين ، ثم أخذ يستطرد من معنى إلى معنى ، ومن فكرة إلى فكرة ، من غير أن يهتم بالترتيب والتبويب

وأرجو أن لا يجد أستاذي الدكتور طه في هذا الصنع تشويهاً لعمل المؤلف ، فقد أبقيت الكتاب كما هو ، وأبقيت على عناوينه وأبوابه وفقره وفصوله ، ووضعت ما أبدعت من العناوين في بنط خاص ، فإذا

شاء القارئ أن يعرف كيف وضع الكتاب مؤلفه فليرفع فقط
مأجد من العناوين

أهمية هذا التفصيل

على أنني مطمئن إلى ما صنعت ، فقد كان الكتاب متقاذف
الأرجاء ، بسبب ما كثر فيه من الاستطراد ، فأصبح بفضل هذا
التفصيل ، محدود الموضوعات ، بحيث يجد فيه القارئ نحو ألف مسألة
أدبية ، من غير أن يكلف نفسه عنا البحث والتنقيب .
ولم أحجم عن تكرار العنوان الواحد حين يقتضى المقام ذلك ،
وربما أضفت كلمة يتميز بها العنوان الجديد

الضبط والشرح

كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد الفريد ، من غير
ضبط ولا شرح ، وكان يكفي أن يُطبع الكتاب طبعة أزهرية ليصبح
مثالاً في المسخ والتشويه ، ولتقضى في قراءته العيون ، وتضل في فهمه
العقول ، فأنفقت من جهدى ومن وقتي ، في تحقيق ما جناه مر السنين
وعبث الجاهلين ، مالا أُنْ به على القارئ إلا وأنا آسف محزون ،
لأنى مدين لمن طبعوه أول مرة على أى حال ، أحسن الله جزاءهم ،
وتجاوز عما رماهم به الزمن من ألوان الضعف والقصور

في الطبعة القديمة كثير من الأغلاط ، ولا غرابة في ذلك ، فقد كان
الأدب يوم ظهرت قليل الأنصار ، وقد اعتمدت في ضبط هذه

الطبعة على مراجعة الأصول التي أخذ منها زهر الآداب ، وعلى ما أثنى به من مختلف المعاجم والقواميس ، فإن استطاع القارئ أن يلفتني إلى خطأ فإني لإصلاحه ، فإني بشكره خليق

أما الشرح فقد اجتهدت في أن يكون غاية في الإيجاز ، لأن الإطناب في شرح الكتب الأدبية من جملة العيوب ، وقد تمر الصفحة بلا شرح ، حين تستغنى عن ذلك ، لأنني أمقت التكلف ، وأبغض المتكلفين

وقد قسمت الكتاب إلى أربعة أجزاء ، وكان المؤلف قسمه إلى ثلاثة ، وهي مسألة اعتبارية ، لأن الكتاب في الأصل مبني على التنقل والاستطراد

قيمة زهر الآداب

كان المتقدمون يُعنون بدراسة الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، والنوادر لأبي علي القالي ، وكانت هذه الكتب أصول الأدب عندهم كما ذكر ابن خلدون ، وعندى أن زهر الآداب أغزر مادةً وأكبر قيمةً من جميع تلك المصنفات ، لأن ذوق الحصري ذوق أدبي صرف ، أما أولئك فقد كانت أهواؤهم موزعة بين اللغة ، والرواية ، والنحو ، والتصريف إن زهر الآداب دائرة معارف أدبية ، شاء الله أن تسلم من جنابة الليالي ، والحمد لله على أن كنت الموفق إلى إحياء هذا الأثر النفيس

محمد زكي عبد السلام مبارك

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اختص الانسان بفضيلة البيان ، وصلى الله على محمد خاتم
النبيين ، المرسل بالنور المبين ، والكتاب المستبين ، الذي تحدى الخلق أن يأتوا
بمثله ، فجزوا عنه ، وأقروا بفضله ، وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً (وبعد فهذا
كتاب) اخترت فيه قطعة كافية من البلاغات : في الشعر ، والخبر ، والفصول ،
والفقر ^(١) مما حسن لفظه ومعناه ، واستدل بفحواد على مغزاه ^(٢) ولم يكن شارداً
حوشياً ، ولا ساقطاً سوقياً ^(٣) بل كان جميع ما فيه ، من ألفاظه ومعانيه ، كما قال
البحثري

في نظام من البلاغة ما شك * امرؤ أنه نظام فريد ^(٤)
حزن مستعمل الكلام اختياراً * وتجنبن ظلمة التعقيد
وركن اللفظ القريب فادرك * ن به غاية المراد البعيد

ولم أذهب في هذا الاختيار ، الى مطويات الأخبار ، كأحاديث صمصمة
بن صوحان ، وخالد بن صفوان ، ونظائرهما ، إذ كانت هذه أجمل لفظاً ، وأسهل
حفظاً . وهو كتاب يتصرف الناظر فيه من نثره ، إلى شعره ، ومطبوعه ، إلى
مصنوعه ، ومحاورته ، إلى مناخرته ، ومناقضته ^(٥) إلى مساجلته ^(٦) ، وخطابه

(١) الفقر : جمع فقرة بكسر الفاء ، وهي فصل أو بيت شعر ، وتقول : ما أحسن
فقر كلامه ، أي نكته ، وهي في الأصل حلي تصاغ على شكل فقر الظهر

(٢) مغزى الكلام : هو المراد منه ، وفحواه هو ما يفهم منه ذلك المراد

(٣) الحوشى : الوحشى ، وقد وصف زهير بأنه كان لا يتتبع حوشى الكلام -
والسوقى : نسبة الى السوق ، وهم عامة الناس (٤) الفريد : هو الدر الذي
يفصل بين الذهب في القلادة المفصلة ، فالدر فيها فريد ، والذهب مفرد ، بتشديد الراء

(٥) ناقل الشاعر الشاعر : ناقضه ، ورجل نقل وذو نقل اذا كان جليلاً من اقلام

(٦) المساجلة : المفاخرة

المبته^(١) الى جوابه المسكت ، وتشبيهاته المصيبة ، الى اختراعاته الغريبة ، وأوصافه الباهرة ، الى أمثاله السائرة ، وجده المعجب^(٢) إلى هزله المطرب ، وحزله الرائع ، إلى رقيقه البارع (وقد نزع) فيما جمعت عن ترتيب البيوت^(٣) وعن إبعاد الشكل عن شكله ، وإفراد الشيء من مثله ، فجعلت بعضه مسلسلا^(٤) وتركت بعضه مرسلًا^(٥) ليحصل محرر النقد ، متدر السرد^(٦) قد أخذ بطرفي التأليف ، واشتمل على حاشيتي التصنيف ، وقد يعز المعنى فألحق الشكل بنظائره ، وأعلق الأول بآخره ، وتبقى منه بقية أصرفها في سائره^(٧) ليسلم من التطويل الممل ، والتقصير المحل ، وتظهر في التجميع إفادة الاجتماع ، وفي التفريق لذادة الإمتاع ، فيكمل منه ما يوق القلوب والأسماع^(٨) إذ كان الخروج من جد إلى هزل ، ومن حزن إلى سهل^(٩) أنفى للكلل^(١٠) وأبعد من الملل ، وقد قال اسماعيل ابن القاسم

لا يصلح النفس اذ كانت مدايرة * الا التنقل من حال الى حال^(١١)
وكان السبب الذي دعاني الى تأليفه ، وندبني إلى تصنيفه ، ما رأيته من رغبة أبي الفضل العباس بن سليمان ، أطل الله مدته ، وأدام نعمته ، في الأدب^(١٢) وإتفاق عمره في الطلب ، وماله في الكتب ، وان اجتهداه في ذلك حملا على أن ارتحل إلى المشرق بسببها ، وأغمض في طلبها^(١٣) بأذلا في ذلك ماله ، مستعذبا فيه تعبها ، إلى أن أورد من كلام بلغاء عصره ، وفصحاء دهره ، طرائف طريقة ،

- (١) المبته : المحير (٢) المعجب : الذي يعجبك جماله (٣) البيوت كالأبيات : جمع بيت (٤) مسلسل : من السلسلة بفتح السين وهي اتصال الشيء بالشيء (٥) مرسل : غير مسلسل (٦) النقد : الوزن ، والسرد : الذسج ، والتحرير والتقدير : الضبط (٧) سائره : باقيه (٨) يوق : يعجب (٩) الحزن ما غلظ من الأرض ويقابله السهل (١٠) الكلل : الاعياء ، ومثله الكلال (١١) مدايرة : ذات سأم وملال ، والمدايرة في الأصل : الهزيمة (١٢) في الأدب : متعلق بكلمة رغبة (١٣) أغمض وأغمض ذهب ، وأغمض السيف في اللحم غاب

وغرائب غريبة ، وسألتني أن أجمع له من مختارها كتابا يكتبني به عن جملتها ، وأضيف الى ذلك من كلام المتقدمين : ما قاربه ، وقارنه ، وشابهه ، ومائله ، فسارعت الى مراده ، وأعنته على اجتهاده ، وألفت له هذا الكتاب ، ليستغنى به عن جميع كتب الآداب ، إذ كان موشحاً من بدائع البديع ^(١) ، ولألى الميكالى ، وشهى الخوارزمي ، وغرائب الصاحب ، ونفيس قابوس ، وشذور أبي منصور ^(٢) بكلام يمتزج بأجزاء النفس لطافة ، وبالهواء رقة ، وبالماء عذوبة . وليس لي في تأليفه من الافتخار ، أكثر من حسن الاختيار ، واختيار المرء قطعة من عقله ، تدل على تخلقّه أو فضله ، ولا شك ان شاء الله في استجادة ما استجبت ، واستحسان ما اوردت ، إذ كان معلوماً أنه ما انجذبت نفس ، ولا اجتمع حس ، ولا مال بر ، ولا جال فكر ، في أفضل من معنى لطيف ، ظهر في لفظ شريف ، فكساه من حسن الموقع قبولاً لا يدفع ، وأبرزه بمخال من صفاء السبك ، وصحة الديباجة ، وكثرة المائية ، في أجمل حلة ، وأجل حلية

يستنبط الروح اللطيف نسبه * أرجا ويؤكل بالضمير ويشرب ^(٣) وقد رغبت في التجاني عن المشهور ، في جميع المذكور ، من الاسلوب الذي ذهبت اليه ، والنحو الذي عوّلت عليه ، لأن أوّل ما يقرع الأذان ، أدعى إلى الاستحسان ، مما مجتهه النفوس لطول تكراره ^(٤) ، ونفطته العقول لكثرة استمراره ، فوجدت ذلك يتعذر ، ولا يتيسر ، ويمتنع ، ولا يتسع ^(٥) ويوجب ترك ما ندر ، اذا اشتهر به وهذا يوجب في التصنيف دخلاً ^(٦) ، ويكسب التأليف خللاً ، فلم أعرض إلا عما أهانه الاستعمال ، وأذاله الابتدال ^(٧) ، والمعنى اذا استدعى القلوب الى

(١) موشح : مرصع (٢) البديع والميكالى والخوارزمي والصاحب وقابوس وأبو منصور : كل هؤلاء أعلام سيورد المؤلف طرفاً من منظومهم ومنثورهم

(٣) يستنبط : يستخرج (٤) مجته : مقتته (٥) يتسع : يسهل

(٦) الدخل والدخل : العيب ، ونحلة مدخولة : عفنة الجوف (٧) أذاله : أهانه

حفظه ، مظهر من مُستحسن لفظه : من بارع عبارة^(١) ، وناصع استعارة ، وعذوبة
مورد ، ومهولة مقصد ، وحسن تفصيل ، وإصابة تمثيل ، وتطابق أنحاء ،
وتجانس أجزاء ، وتمكّن ترتيب ، وإطافة تهذيب ، مع صحة طبع ، وجودة إيضاح
يشقّه تثقيف القداح ، ويصوره أفضل تصوير ، ويقدره أكمل تقدير ، فهو
مشرق في جوانب السمع ، لا يخلقه عوده على المستعيد^(٢)

وهو المشيع بالمسامع إن مضى * وهو المضاعف حسنه إن كرّرا
وان كنت قد استدركت على كثير ممن سبقني الى مثل ماجريت اليه ،
واقصرت في هذا الكتاب عليه ، للملح أوردتها كنوافث السحر ،^(٣) وفقر
نظمها كالغنى بعد الفقر ، من ألفاظ أهل العصر ، في محلول النثر ، ومعقود
الشعر ، وفيهم من أدركته بعمري ، أو لحقه أهل دهرى ، ولهم من لطائف الابتداع
وتوليدات الاختراع ، أبكار لم تفرعها الاسماع^(٤) ، يصبو إليها القلب والطرف ،
ويقطر منها ماء الملاحاة والظرف ، وتمتزع بأجزاء النفس ، وتسترجع نافر الأنس
تخللت تضاعيفه ، ووشحت تأليفه ، وطرزت ديباجه ، ورصعت تاجه ، ونظمت
عقوده ، ورقمت بروده ، فنورها يرف ، ونورها يشف ، في روض من الكلام موزن
ورونق من الحكم مشرق

صفا ونقى عنه القذى فكأنه * إذا ما استشفته العيون تصعدا^(٥)
فهو كما قلت.

بديع نثر رقّ حتى غدا * يجرى مع الروح كما تجري
من مذهب الوشى على وجهه * ديباجة ليست من الشعر^(٦)

- (١) من إضافة الصفه للموصوف ، أى عبارة بارة ، وكذلك ما بعده
(٢) لا يخلقه : لا يذهب بجذته ورونقه (٣) الملح : جمع ملحّة ، وهى الكلمة
المستملحة المستعذبة ، والنوافث : جمع نافثه ، وهى الساحرة (٤) افترع البكر
فض بكارتها (٥) تصعد : ارتفع (٦) وشىء مذهب : مطرز بالذهب

كزهرة الدنيا وقد أقبلت * ترود في روتها النضر^(١)

أو كالنسيم الغض غيب الحيا * يختال في أردية الفجر^(٢)

ولعل في كثير مما تركت ، ماهو أجود من قليل مما أدركت ، إذ كان اقتصاراً من كل على بعض ، ومن فيض على برض^(٣) ، ولكني اجتهدت ، في اختيار ما وجدت ، وقد تدخل اللفظة في شفاعة اللفظات ، ويمر البيت في خلال الأبيات وتعرض الحكاية في عرض الحكايات ، يتم بها المعنى المراد ، وليست مما يستجد ويبعث عليها فرط الضرورة اليها في اصلاح خلل ، فهما تراه من ذلك في هذا الاختيار ، فلا تعرض عنه بطرف الإنكار ، وما أقل ذلك في جميع المسالك الجارية في هذا الكتاب ، الموسوم بزهر الآداب ونهر الألباب ، لكنني أردت أن أشارك من يخرج من ضيق الاغترار ، الى فسحة الاعتذار

وبسبى بالاحسان ظناً لا كمن * يأنيك وهو بشره مفتون

والله المؤيد والمسدّد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل

الزبرقان بن بدر وعمر بن الاهتم

(روى) عن عبد الله بن عباس رضوان الله عليهما قال : وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبرقان بن بدر وعمر بن الاهتم ، فقال الزبرقان : يا رسول الله ! أنا سيد تبعم ، والمطاع فيهم ، والمجباب منهم ، آخذ لهم بحقهم ، وأمنعهم من الظلم ، وهذا يعلم ذلك ، يعنى عمرا ، فقال عمرو : أجل يا رسول الله ، إنه مانع لحوزته ،^(٤) ، مطاع في عشيرته ، شديد المعارضة فيهم^(٥) ، فقال الزبرقان : أما إنه والله قد علم أكثر مما قل ، ولكنه حسدنى شرفي ، فقال عمرو ، أما نحن

(١) ترود : تختال (٢) غيب الحيا : عقب المطر (٣) فيض : كثير ،

وبرض : قليل (٤) حوزة الرجل : ما يجوزه ويملكه (٥) المعارضة : البديهة وقوة الكلام

قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيق العطن ^(١) ، زمن المروءة ^(٢) ، أحق الأب
 لثيم الخال ، حديث الغنى ، فرأى الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لما اختلف قوله ، فقال يا رسول الله : رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وغضبت :
 فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية ! فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحراً ! وإن من الشعر لحكمة ،
 ويروى لحكما ، والأول أصح ، والذي روى أهل الثبت ^(٣) ، من هذا الحديث
 أنه قدم رجلان من أهل المشرق فخطبا فمجب الناس لبيانهما ، فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحراً ، أو من بعض البيان لسحراً ،
 وعمرو بن الاهتم هو عمرو بن سنان بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر بن
 عبيد بن الحارث والحارث هو مقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة
 ابن تميم . وسمى سنان الأهم لأن قيس بن عاصم المنقرى سيد أهل الوبر ضربه
 بقوسه فهجم فاه . هذا قول أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . وقال غيره بل هجم
 فود يوم الكلاب الثاني ، وهو يوم كان لبنى تميم على أهل اليمن ، وكان عمرو
 يلقب المكحل لجماله ، وبنو الاهتم أهل بيت بلاغة في الجاهلية والاسلام ،
 وعبد الله بن عمرو بن الاهتم هو جد خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه وكان
 يقال : الخطابة في آل عمرو ، وكان شعره حُملاً منشرة عند الملوك تأخذ منه
 ماشاءت . وهو القائل

ذريني فان البخل يا أم مالك * لصالح أخلاق الرجال سرور

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

(والزبرقان) اسمه حصن بن بدر بن امرئ القيس بن الحارث بن بهدلة

(١) العطن : المناخ حول الورد ، وضيق العطن كناية عن البخل

(٢) زمن : بالي

ابن عوف بن كعب بن سعيد . وسمى الزبرقان لجماله ، والزبرقان القمر ، وقيل لأنه كان يزبرق عمامته ، أى يصفرها فى الحرب ؛ وكانوا يسمون الكلام الغريب السحر الحلال ويقولون ، اللفظ الجميل من إحدى النفثات فى العقد

غلام يتكلم فى حضرة عمر بن عبد العزيز

(وذكر) بعض الرواة أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قديم عليه وفود أهل كل بلد ، فتقدم اليه وفد أهل الحجاز ، فأشرب منهم غلام للكلام^(١) فقال عمر : يا غلام ! ليتكلم من هو أسن منك ! فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ! إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبده لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد أجاد له الاختيار ؛ ولو أن الأمور بالسِّن لكان هاهنا من هو أحق بمجلسك منك ! فقال عمر : صدقت ، تكلم فهذا السحر الحلال ! فقال يا أمير المؤمنين نحن وفد التهنية ، لا وفد المرزئة^(٢) ، ولم تقدمنا اليك رغبة ولا رهبة ، لا ناقد أميناً فى أيامك ماخفنا ، وأدر كنا ما طلبنا ! فسأل عمر عن سن الغلام فقبل عشر سنين ، (وقد روى) أن محمد بن كعب القرظى كان حاضراً ، فنظر إلى وجه عمر قد تهلل عند ثناء الغلام عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يغلبن جهل القوم بك ، معرفتك بنفسك ، فإن قوماً خدعهم الثناء ، وغرهم الشكر ، فزالت أقدامهم ، فهووا فى النار^(٣) أعاذك الله أن تكون منهم ، وألحقك بسالف هذه الأمة ؛ فبكى عمر حتى خيف عليه ، وقال : اللهم لا تخلفنا من واعظ!

(١) اشرب : تطلع (٢) المرزئة : الاستجداء وطلب النوال (٣) هووا :

سقطوا ، من هوى يهوى على وزن ضرب يضرب ، بخلاف هوى يهوى على وزن علم يعلم فإنه بمعنى أحب

السحر الحلال

(وقد روى) أن عمر قال للغلام: عظمي ، فقال هذا الكلام ، وفيه زيادة
بسيرة ونقص * أخذ قول عمر (هذا السحر الحلال) أبو تمام فقال يعاتب أبا سعيد
محمد بن يوسف الطائي

إذا ما الحاجة انبعثت يداها * جعلت المنع منك لها عقلا
فأين قصائد لي فيك تأتي * وتأنف أن أهان وأن أذالا
هي السحر الحلال لمجنتيه * ولم أر قبلها سحراً حلالا

(وكتب) أبو الفضل بن العميد إلى بعض إخوانه جواباً عن كتاب ورد إليه
« وصل ما وصلني به ، جعلني الله فداك ، من كتابك ، بل نعمتك التامة ،
ومنتك العامة ، فقرت عيني بوروده ، وشفيت نفسي بوفوده ، ونشرت فحكي
نسيم الرياض غيب الماطر ، وتنفس الأنوار في السحر ^(١) ، وتأملت مفتحة ، وما
اشتمل عليه من لطائف كلك ، وبدائع حكيمك ، فوجدته قد تحمل من فنون البر
عنك ، وضروب الفضل منك ، جداً وهزلاً ، ملأ عيني ، وغمر قلبي ، وغلب
فكري ، وهرأبي ، فبقيت لا أدري : أسموط دري خصصتني بها ، أم عقود
جوهر منحنتيها ؟ كما لا أدري أبكراً زففتها فيه ، أم روضة جهزتها منه ، ولا
أدري أخدمها ضرجت حياء ضمنتها ، أم نجومًا طلعت عشاء أودعته ، ولا أدري
أجدك أبلغ والطف ، أم هزلًا أرفع وأظرف ، وأنا أوكل بقتبع ما انطوى عليه
نفسا لا ترى الخط إلا ما اقتنته منه ، ولا أتمد الفضل إلا فيما أخذته عنه ، وأمتع
بتأمله عينا لا تقهر إلا بمثله ، مما يصدر عن يدك ، ويرد من عندي ، وأعطيته نظراً
لا يمل ، وطرفاً لا يطرف دونه ، وأجعله مثلاً أرسمه وأحتديه ، وأمتع خلقي
برونقه ، أغدني نفسي بهجته ، وأمزج قريحتي برقته ، وأشرح صدرى بقراءته ،

(١) الأنوار : جمع نور بفتح النون وهو نوار الزهر

وأن كنت عن تحصيل ما قلته عاجزاً ، وفي تعديد ما ذكرته متخلفاً ، لقد عرفت أنه ما سمعتُ به من السحر الحلال » وقال بعض المحدّثين يمدح كاتباً

وإذا جرى قلم له في مهرقٍ * عجّلان في رفلانه ووجيفه^(١)

نظمت مراشفه قلائد نظمت * بنفيس جوهر لفظه وشريفه

بدعاً من السحر الحلال تولدت * عن ذهن مصقول الذكاء مشوفه^(٢)

مثلاً لضاربه وزاد مسافر * جعلت وتحفة قادم لانيه

وعلى ذكر قوله وتحفة قادم (قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي) وصف رجل

رجلاً فقال (كان والله سمحاً سهلاً ، كأنما بينه وبين القلوب نسب ، أو بينه وبين

الحياة سبب ، إنما هو عيادة مريض ، وتحفة قادم ، وواسطة عقد) وأخذ بعض بني

العباس رجلاً طالبياً فهمم بعقوبته ، فقال الطائي : والله لو لا أن أفسد ديني بفساد

دنياك للملك من لساني أكثر مما ملكك من سوطك ، والله ان كلامي لفوق

الشعر ، ودون السحر ، وان أسره ليثقب الخردل ، ويحط الجنبدل (وقال)

على بن العباس يصف حديث امرأة

وحديثها السحر الحلال لو أنه * لم يجن قتل المسلم المتحرز^(٣)

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت * ودّ الحديث أنها لم توجز

شريك العقول ونزهة ما مثلها * للمطمئن وعقلة المستوفز^(٤)

ألم في بيته الآخر بقول الطائي

(١) المهرق بفتح الراء الصحيفة والجمع مهارق — عجّلان : مسرع —

والرفلان : السير في تبخر — والوجيف : السير السريع (٢) المشوف : المجلو

(٣) المتحرز : المتحفظ (٤) الشريك : الفخ — العقلة : العقال — المستوفز :

المستعجل — والشاعر يذكر أن حديث هذه المرأة نزهة للمطمئن وعقال لمن هم

بالانصراف — وفي كتاب « أفنان الجمال » روائع من الشعر في حلاوة

الحديث

كَوَاعِبُ أَتْرَابٍ اغِيدَاءُ أَصْبَحَتْ * وليس لها في الحسن شكلٌ ولا ترَبٌ^(١)
 لها منظرٌ قَيْدِ النواظر لم يَزَلْ * يَرُوحُ ويغدو في خَفَارَتِهِ الحُبُّ^(٢)
 وأول من استثار هذا المعنى امرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدِي في قوله
 وقد اغتدى والطير في وَكُنَاتِهَا * بمنجردٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ^(٣)
 وقالت عُلَيَّة بنت المهدي

اشرب على ذكر الغزال * الأغيد الحلو الدلال
 اشرب عليه وقل له * ياغلُّ ألباب الرجال^(٤)

عليه بنت المهدي

وكانت عليّة لطيفة المعنى ، رقيقة الشعر ، حسنة مجارى الكلام ، ولها ألحان
 حسان ، وعَلِقَتْ بغلام اسمه رشاء ، وفيه تقول
 أضحي الفؤاد بزينا * صباً كثيباً متعباً
 فجملت زينب ستره * وكنمت أمراً معجباً
 فتمنى الأمر إلى أخيها الرشيد فأبعده ، وقيل قتله ، وعَلِقَتْ بعده بغلام اسمه
 طل ، فقال لها الرشيد : والله إن ذكرته لأقتلنك ! فدخل عليها يوماً على حين
 غفلة وهي تقرأ : فإن لم يصبها وأبل فما نهى عنه أمير المؤمنين ، فضحك وقال :
 ولا كل هذا^(٥) وهي القائلة

(١) الكواعب : جمع كاعب وهي الفتاة تسكعب نديها ، أى تتأ كالسكعب —
 أتراب : خديونات ، وتاربت الفتاة الفتاة : خادتها ، قال كثير :

تتارب بيضا إذا استلعبت كأم الأطباء ترف السكبان

وقد يراد بالأتراب الشبهات في السن والحسن — والغيداء : الناعمة

(٢) قيد النواظر : هو للنواظر كالقيد — الخفارة : الحماية (٣) الوكنات
 جمع وكنة وهي العش ، والمنجرد الفرس سقط شعره من الضمور ، والأوابد الوحوش
 النافرة ، والهيكَل الضخم — ويحسن رجوع القارئ إلى شرح جمهرة أشعار العرب
 الذي وضعه صاحب البدائع ليقف على كنهه معلقه امرؤ القيس (٤) الغل : هو
 الطوق يوضع في عنق الأسير (٥) انظر غرام النساء بالنساء في كتاب «مدامع العشاق»

يَا عَاذِلِي قَدْ كُنْتُ قَبْلَكَ عَاذِلًا * حَتَّى ابْتُلَيْتُ فَصُرْتُ صَبًّا ذَاهِلًا
الْحُبُّ أَوَّلُ مَا يَكُونُ بِجَانَةِ * فَإِذَا تَحَكَّمْ صَارَ شُغْلًا شَاغِلًا^(١)
أَرْضِي فَيَغْضِبُ قَاتِلِي فَتَعْجِبُوا * يَرْضَى الْقَتِيلُ وَلَا يَرْضَى الْقَاتِلُ
وَالْقَائِلَةُ

وَضَعِ الْحُبَّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ * أَنْصَفَ الْمَعشُوقُ فِيهِ لَسَمَّجُ^(٢)
لَيْسَ يُسْتَحْسَنُ فِي نَعْتِ الْهَوَى * عَاشِقٌ يُحْسِنُ تَأْلِيْفَ الْحَجِيجِ
وَكُنَّا نَهَا ذَهَبْتُ فِي الْأَوَّلِ إِلَى قَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ
وَأَحْسَنَ أَيَّامِ الْهَوَى يَوْمَكَ الَّذِي * تُرْوَعُ بِالْهَجْرَانِ فِيهِ وَبِالْعَتَبِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحُبِّ سَخَطٌ وَلَا رِضَى * فَأَيْنَ حَلَاوَاتِ الرِّسَائِلِ وَالْكَتُبِ
وَقَدْ زَادَ النَّمِيرَى فِي هَذَا فَقَالَ

رَاحَتِي فِي مَقَالَةِ الْعُدَّالِ * وَشِفَائِي فِي قِيلِهِمْ بَعْدَ قَالِ
لَا يَطِيبُ الْهَوَى وَلَا يَحْسَنُ الْحُبُّ * لَصَبٍّ إِلَّا بِخَمْسِ خِصَالٍ
بِسْمَاعِ الْأَذَى وَعَذَلِ نَصِيحٍ * وَعِثَابِ وَهَجْرَةٍ وَتَقَالِ^(٣)
وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ

لَوْلَا أَطْرَادُ الصَّيْدِ لَمْ تَكْ لَذَّةٌ * فَتَطَارِدِي لِي فِي الْوَصَالِ قَلِيلًا^(٤)
هَذَا الشَّرَابُ أَخُو الْحَيَاةِ وَمَالُهُ * مِنْ لَذَّةٍ حَتَّى يَصِيبَ غَلِيلًا^(٥)
(وَقَالَ آخَرُ)

دَعِ الصَّبَّ يَصْلَى بِالْأَذَى مِنْ حَبِيْبِهِ * فَانِ الْأَذَى مِمَّنْ تُحِبُّ سُرُورُ^(٦)
غِبَارُ قَطِيعِ الشَّاءِ فِي عَيْنِ ذَنْبِهَا * إِذَا مَا تَلَا آثَرَهُنَّ ذُرُورُ^(٧)
(وَأَنشَدَ الْأَصْمَعِيُّ)

(١) المجانة : العبث (٢) سمج : قبح (٣) التقال : التباغض
(٤) اطراد الصيد : جريه (٥) الغليل : الظمأ الشديد (٦) يصلى : يحترق
(٧) الذرور هو الملح يذر على اللحم ، والفلفل يوضع على الثريد ، وهو كذلك
الدواء في العين ، والمراد أن غبار الشاء في عين الذئب هو كالتوابل توضع على الطعام

لَاخِيرَ فِي الْحَبِّ وَقَفْنَا لَا تَحْرُكُهُ * عَوَارِضُ الْيَأْسِ أَوْ يَرْتَاخَهُ الطَّمَعُ
لَوْ كَانَ لِي صَبْرُهَا أَوْ عِنْدَهُ جَزَعِي * لَسَكُنْتُ أَمْلَكُ مَا آتَى وَمَا أَدْعُ
إِذَا دَعَا بِاسْمِهَا دَاعٍ لِيُحْزِنِي * كَادَتْ لَهُ شُعْبَةٌ مِنْ مَهْجَنِي تَقَعُ^(١)
لَا أَحْمِلُ الْلُومَ فِيهَا وَالْغَرَامَ بِهَا * لَأَحْمِلُ اللَّهَ نَفْسًا فَوْقَ مَا تَسَعُ
وهذا البيت كقول علي بن العباس الرومي

لَا تَكُنْزَنَّ مَلَامَةَ الْعِشَاقِ * فَكَفَاهُمْ بُلُوجِدُ وَالْأَشْوَاقِ
إِنَّ الْبَلَاءَ يَطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ * فَإِذَا تَضَاعَفَ كَانَ غَيْرَ مُطَاقٍ
لَا تُطْفِئَنَّ جَوِّيْ بُلُومَ إِنَّهُ * كَالرَّيْحِ تُغْرِى النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ
ويشبه بيت عُليّة الآخر بيت أنشد في هذا بشعر روى لأبي نواس
ورواه قوم لعنان جارية الناطفي وهو

مُحَلُّ الْعِتَابِ يَهْبِجُهُ الْإِدْلَالُ * لَمْ يَحُلْ إِلَّا بِالْعِتَابِ وَصَالُ
لَمْ يَهْوَ قَطُّ وَلَمْ يُسَمَّ بِعَاشِقٍ * مَنْ كَانَ يَصْرِفُ وَجْهَهُ التَّعْذَالُ^(٢)
وَجَمِيعُ أَسْبَابِ الْغَرَامِ يَسِيرَةٌ * مَا لَمْ يَكُنْ غَدْرٌ وَلَا اسْتِبْدَالُ
تَصِفُ الْقَضِيبَ عَلَى الْكَثِيبِ قَنَاتُهَا * وَلَهَا مِنَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ مِثَالُ
وَلَرْبٌ لَا بَسَةَ قِنَاعٍ مَلَا حَةٍ * حَسَنَاءَ سَارَ بِحُسْنِهَا الْأَمْثَالُ
كَسَتْ الْحَدَاثَةَ ظَرْفَهَا وَجَمَالُهَا * نُورًا فَتَنَهُ شَبَابُهَا يَخْتَالُ^(٣)
وَكَاثُهَا وَالْكَأْسُ فَوْقَ بَنَانِهَا * شَمْسٌ يَمُدُّ بِهَا إِلَيْكَ هَلَالُ
حَتَّى إِذَا مَا اسْتَأْنَسْتَ بِحَدِيثِهَا * وَتَكَلَّمْتَ بِلِسَانِهَا الْجُرْيَالُ^(٤)
قُلْنَا لَهَا إِنْ صَدَقْتَ أَقْوَالُهَا * أَفْعَالُهَا وَجَرَى بَيْنَ الْقَالِ
قَوْلِي فَلَيْسَ تَرَاكَ عَيْنُ نَمِيمَةٍ * حُضِرَ النَّصِيحُ وَغَابَتِ الْعِذَالُ
وَضَمِيرُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُنَا * سِرٌّ لَدَى أَبْوَابِهِ أَقْفَالُ

(١) شعبة : قطعة (٢) التعذال : اللوم ومثله العذل (٣) يختال : يتفرق

(٤) الجريال : الخمر ، يريد الشاعر أن يصف تلك الحسناء بمدم التحرز في الحديث

وقد لعبت برأسها الصمباء

وقد أخذ أبو الطيب المتنبي معنى قيد الأوابد فقل يصف كلباً
نَيْلَ المني وحكم نفس المرسل * وعُقْلَةَ الظبي وحنف الثقل^(١)
كأنه من علمه بالقتل * علم بقر أطفصاد الأكل^(٢)
(وقال في بني حمدان)

متصعلكين على كثافة ملكهم * متواضعين على عظيم الشأن^(٣)
يتقبلون ظلال كل مطهم * أجل الظلم وربقة السرحان^(٤)

وقال أعرابي يصف فرساً : انه لدرك الطالب ، ومنجى الهارب ، وقيد الرهان
وزين الفناء (وقال) بعض أهل العصر في وصف غلام (وجهه قيد الابصار ،
وأمد الأفكار ، ونهاية الاعتبار) وقال أبو القاسم اسماعيل بن عباد
وقد أغتدى للصيد غدوة أصيد * أعجل فيها الوحش والوحش هجد^(٥)
فغنت طباة خفن تحي مطلق الـ يدين به أيدي الوحوش قئد^(٦)
فأدركتها والسيف لمعة بارق * ولم يغنها إحضارها حين تجهد^(٧)
وقد رعتها اذ كان شعري رائماً * وطرف مشبي عن عذارى أرمد^(٨)
وما بلغت حد الثلاثين مدتي * وهذا طراز الشيب فيه يمدد^(٩)

- (١) الثقل : هي الظبية استبان حملها (٢) بقراط : من كبار الأطباء القدماء ،
والأكل كل عرق في اليد (٣) متصملك : متظاهر بالفقر : والكثافة : والضخامة
(٤) مطهم : مضمر دقيق الجسم — الظلم : ذكر النعام ، والربقة : الرباط ،
والسرحان الذئب — والمعنى أنهم يتقبلون ظلال كل جواد في عدوه أجل الظلم
وقيد الذئب (٥) الأصيد : من يرفع رأسه كبرا (٦) غنت : عرضت ، ومطلق
اليدين وصف للفرس بالسرعة (٧) الاحضار : نوع من السير ، وتجهد : تتعب
(٨) أرمد : كليل البصر ، يريد أن الشيب لم يسم ببصره الى عذاره
(٩) الطراز : الموضع الذي تفسج فيه الثياب الجياد

حسن الحديث

وأبيات ابن الرومي من أجود ما قبل في حسن الحديث ، وقد توسع الشعراء في هذا الباب وكثر إحسانهم ، كما كثر افتنانهم ، وسأجرى شأوا في مختار ما قبل في ذلك وأعود إلى ما بدأت به . قال القطامي واسمه عمير بن شبيب الثعلبي وسمى القطامي لقوله

يَحْطِئُ جَانِبًا فَجَانِبًا * حَطَّ الْقُطَامِيُّ الْقُطَا قُورَابًا

وقال أبو عبيدة ويقال للصقر قطامي وقطاني
وفي الخُذُور غماماتٌ بَرَقْنَ لَنَا * حَتَّى تَصِيدُنَا مِنْ كُلِّ مُصْطَادٍ
يَقْتُلُنَا بِحَدِيثٍ لَيْسَ يَعْلَمُهُ * مِنْ يَتَّقِينَ وَلَا مَكْنُونُهُ بَادٍ^(١)
فَهَنَّا يَنْبِذُنْ مِنْ قَوْلٍ يُصِيبُنْ بِهِ * مَوَاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي^(٢)
وقال أبو حية النميري واسمه الهيثم بن الربيع

وخبيرك الواشون أن أن أحبكم * بلى وسُورِ الله ذات المحارم
وإن دماً لو تعلمين جنيتيه * على الحى جاني مثله غير سالم
أصدُّ وما الصدُّ الذى تعلمينه * عزاء بنا إلا ابتلاع العلاقم^(٣)
حياءٌ وثقيا أن تشيعَ نَمِيمَةٌ * بنا وبكم أفٍ لأهل النائم^(٤)
أما إنه لو كان غيرك أرقلت * إليه القنا بالراعفات اللهازم^(٥)
ولكنه والله ما ظل مُسَلِّمًا * لغرِّ الشنايا راضحات الملاغم^(٦)

(١) يتقين : يخفن - باد : ظاهر (٢) مواقع الماء من انظمان كناية عن الأَحْشَاء ، والمراد أن حديثهن يشفى الصب المغمم كما يطفى الماء لوعة الغليل !
(٣) العلاقم : جمع علقم ، وهو الحنظل وكل شيء مر (٤) ثقيا : خوف - أف لأهل النائم : تبا لهم ! (٥) أرقلت : أسرعت - الراعفات والرواعف : الرماح تسيل الرعاف بضم الراء وهو الدم - اللهازم : القواطع (٦) الغر : البيض - الملاغم : هي طرف الأنف وما حوله إلى الشفتين ، والوضوح : البياض والاشراق

إذا هنَّ ساقطنَ الأحاديثَ للفتى * سقوطَ حصَى المَرْجانِ من كفِّ ناظمِ
رَمَيْنَ فأنفذنَ القلوبَ ولا ترى * دُمَامِيراً إلّا جرى في الحيازِمِ^(١)
(وقال أيضاً)

حديثٌ إذا لم تخشَ عيناً كأنه * إذا ساقطتهُ الشَّهْدُ أو هو أطيبُ
لو أنك تستشفى به بعد سكرَةٍ * من الموتِ كادتُ سكرةُ الموتِ تذهبُ
إلى هذا يتطرق قول الآخر وإن لم يكن منه

أقول لأصحابي وهم يمدُّونني * ودَمْعُ جُفُونِي دائمُ العَبَرَاتِ
بذكر مني نفسى قبلوا إذا دنا * خروجى من الدنيا جُفُونُهَا تاتى^(٢)
وقال سديف مولى بنى هاشم يصف نساء

وإذا نطقنَ تَخَالُفنَ نواظماً * دُرّاً يَفْصَلُ لَوَائِزاً مَكْنُوناً
وإذا ابتسمنَ فانهنَّ غمامةً * أو أقحوان الرملِ باتِ مَعِيناً^(٣)
وإذا طَرَفْنَ طرفنَ عن حدقِ المِها * وفضلنَهنَّ محاجرّاً وجفونا^(٤)
وكانَ أجيادُ الظباءِ تَمُدُّها * وخصُورهنَّ لُطَافَةً وَلُدُوناً^(٥)
وأصحَّ ما رأتِ العيونُ محاجرّاً * ولهنَّ أمرضُ ما رأيتُ عيوناً
وكانَهنَّ إذا نهضنَ حاجةً * ينهضنَ بالعقداتِ من يبرينا^(٦)

(١) مائر : سائل — الحيازِم جمع حيزوم وهو ما اكتنف الخلقوم من جانب الصدر (٢) اللهاة : اللحمة المشرفة على الخلق — وهذا البيتان من الشعر الرائع وفى معناهما عقد فصل ممتع فى (مدامع العشاق) عنوانه : لوعة الشوق — فليرجع إليه القارئ إن شاء (٣) الأقحوان : زهر أبيض تشبه به الثغور الناصعة البياض — والمعين : المطور ، والمطر يزيد الزهر نضرة (٤) طرفن : حركن عيونهن — والمها : الغزلان (٥) الأجياد : جمع جيد بكسر الجيم وهو العنق والدون والدانة بضم اللام : الرقة (٦) العقدات : جمع عقدة وهى السفح والكثيب ، ويبرين : اسم مكان

(وقال الطائي)

تُعْطِيكَ مَنْطِقَهَا فَنَعْلَمُ أَنَّهُ * لَجْنَى عَذُوبَتِهِ يَمُرُّ بِشَفَرِهَا
وَأُظُنُّ حَبْلٌ وَصَالِهَا لَحْبِهَا * أَوْهَى وَأَضْعَفُ قُوَّةً مِنْ خَصْرِهَا
أَخَذَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ هَانِيٍّ فَقَالَ يَدْحُ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ ، إِلَّا أَنَّهُ قَلْبُهُ

قَدْ طَيَّبَ الْأَفْوَادَ طَيْبُ ثَنَائِهِ * مِنْ أَجْلِ ذَانِجِدِ الثُّغُورِ عَذَابُهَا
وَكَاثِمًا ضَرَبَ السَّمَاءَ سُرَادِقًا * بِالزَّابِ أَوْ رَفَعَ النُّجُومَ قِبَابًا ^(١)
أَرْضًا وَطُتَّتِ الدُّرُّ رَضْرَاضًا بِهَا * وَالْمَسْكُ تَرْبًا وَالرِّيَاضُ جَنَابًا ^(٢)
(وقال الطائي)

بَسَطْتَ إِلَيْكَ بِنَانَةً أَسْرُوعًا * تَصِفُ الْفِرَاقَ وَمُقَلَّةً يَنْبُوعًا ^(٣)
كَادَتْ أَعْرِفَانِ النَّوَى أَلْفَاظُهَا * مِنْ رِقَّةِ الشَّكْوَى تَكُونُ دُمُوعًا
(وَمِنْ جَيِّدِ هَذَا الْمَعْنَى وَقَدِيمِهِ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِيِّ)

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ * عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةً مُتَعَبِّدٍ ^(٤)
لَرْنَا لِلْمَحْجَنَةِ وَطَيْبِ حَدِيثِهَا * وَنَحَالَهُ رُشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ
نَظَرْتَ إِلَيْكَ بِحَاجَةٍ لَمْ تَقْضِهَا * نَظَرَ السَّقِيمِ إِلَى وَجْهِهِ الْعُودِ ^(٥)
(وَمِنْ مَشْهُورِ الْكَلَامِ قَوْلُ الْآخَرِ)

وَكُنْتُ إِذَا مَا زَرْتِ سَعْدِي بِأَرْضِهَا * أَرَى الْأَرْضَ تُطْوِي لِي وَيَدُنُو بَعِيدُهَا
مِنْ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِيسُهَا * إِذَا مَا انْقَضَتْ أَحْدُوَّةُ لَوَاعِيدُهَا ^(٦)

- (١) الزاب : اسم موضع (٢) الرضراض والرضرض : صفار الحصى
(٣) الاسروع دود أحمر الرأس تشبه به الأنامل المخضبة (٤) الأشمط : من يخالف بياض شعره سواد - صرورة ، وصارورة ، وصرور : لم يتزوج ، للواحد والجمع
(٥) العود : جمع عائد ، والمراد أنها تنظر بتكسر وفتور كما ينظر السقيم إلى وجوه
العواد - انظر (سحر العيون) في كتاب « أفنان الجمال » (٦) الخفرات : من الخفر : وهو الحياء

تَحَلُّلُ أَحْقَادِي إِذَا مَا لَقِيْتُهَا * وَتُرْمِي بِلا جُرْمٍ عَلَى حُقُودِهَا (١)
(وقال بشار)

وَكَأَنَّ رَجَعَ حَدِيثُهَا * قَطَعَ الرِّيَاضُ كُسَيْنَ زَهْرًا
حَوْرَاءَ إِنْ نَظَرْتُ إِلَيْ * لَكَ سَقَمَتُكَ بِالْعَيْنَيْنِ خَمْرًا (٢)
تُنْسِي الْعَوِيَّ مَعَادَهُ * وَتَكُونُ لِلْحَكَمَاءِ ذِكْرًا
وَكَأَنَّهَا بَرْدُ الشَّرَابِ * بِصَفَاءٍ وَافِقٍ فِيهِ قَطْرًا (٣)
وَكَأَنَّ نَحْتِ لِسَانِهَا * هَارُوتُ يَنْفُثُ فِيهِ سِحْرًا
وَتَحَالُ مَا جُمِعَتْ عَلَيْهِ * نِيَابُهَا ذَهَبًا وَعِطْرًا (٤)

وسمع بشار قول كثير بن عبد الرحمن

أَلَا إِنَّمَا لَيْلِي عَصَا خَيْرُ رَأْنَةٍ * إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأُكْفَى تَلِينَ

فقال : قاتل الله أبا صخر ! يزعم أنها عصا ويعتدروا بأنها خير رانة ، ولو قال
عصا مُخ أو عصا زبد ، لكان قدهجن مع ذكر العصا ، هلا قال كما قالت
ودعجاء المحاجر من معدٍ * كَأَنَّ حَدِيثَهَا نَمْرُ الْجَنَانِ (٥)
إِذَا قَامَتْ لِحَاجَتِهَا تَثَنَّتْ * كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ رَانٍ

وبعد قول كثير : أَلَا إِنَّمَا لَيْلِي عَصَا خَيْرِ رَانَةٍ *

تَمَتَّعَ بِهَا مَا سَا عَفْتُكَ وَلَا يَكُنْ * عَلَيْكَ شَجَى فِي الصَّدْرِ حِينَ قَبِينُ
وَإِنْ هِيَ أَعْطَنَكَ اللَّيَانَ فَاثْمًا * لِأَخْرَ مِنْ خُلَانِهَا سَتِيلِينَ
وَإِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا * فَلَيْسَ لِمُخْضُوبِ الْبَنَانِ يَمِينُ

(١) تحلل : تتحلل وتذوب — والاحقاد والحقود جمع حقد ، والجورم : الذنب

(٢) حوراء : من الحور ، وهو شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها

(٣) المراد من القطار يوم المطر ، وفيه يحموا الشراب (٤) يصف جسمها بأنه

قطعه من الذهب والمطر (٥) دعجاء : حوراء

وقال البحتري

ولما التقينا والوى موعدنا * نعجب رأى الدر حسنا ولا قطه
فمن لؤلؤ نجنيه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
وقال المتنبي

أمنعة بالعود الطيبة التي * بغير ولي كان نائلها الوسمى (١)
ترشفت فاهما سحره فكأنني * ترشفت حر الوجد من بارد الظلم (٢)
فتاة تساوى عقدها وكلامها * ومبسمها الدر في النثر والنظم

الشعر والبيان

عاد الحديث الأول ، قال أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي حدثنا يوسف بن يعقوب قال : أخبرني جدي قراءة عليه عن أبي داود عن محمد بن عبيد الله عن أبي اسحاق عن البراء يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من الشعر لحكما ، وإن من البيان لسحرا ، قال أبو القاسم هكذا روينا الخبر ، وراجعت فيه الشيخ فقال ، نعم هو : إن من الشعر لحكما ، بضم الحاء وتسكين الكاف ، قال ووجهه عندي إذا روى هكذا : إن من الشعر ما يلزم القول فيه كلزوم الحكم للمحكوم عليه ، إصابة للمعنى ، وقصدا للصواب ، وفي هذا يقول أبو تمام ولولا سبيل سننها الشعر ما درى * بغاة الندى من أين توثى المكارم (٣) يرى حكمة ما فيه وهو فكاها * ويرضى بما يقضى به وهو ظالم انتهى كلام أبي القاسم * وقد وجدنا في الشعر أبياتا تجري على رسمها ،

(١) الوسمى : المطر الأول والولى الذى يليه (٢) الظلم بفتح الظاء الشعر ، قال كعب بن زهير

تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول
وفي أساس البلاغة : الظلم كأنه ظامة تركب متون الاسنان من شدة الصفاء
(٣) البغاة : الطلاب

وَيُضَى عَلَى حَكْمِهَا . فَقَدْ كَانَ بَنُو أَنْفِ النَّاقَةِ إِذَا ذَكَرُوا أَحَدَهُمْ أَحَدُهُمْ أَنْفِ النَّاقَةِ
 فَضْلاً عَنْ أَنْ يَنْسِبَهُمْ إِلَيْهِ ، اِشْتَدَّ غَضَبُهُمْ عَلَيْهِ ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَالَ الْخَطِيئَةُ يَمْدَحُهُمْ
 سِيرَى أَمَامَ قَانِ الْأَكْثَرِينَ حَصَى * وَالْأَطْيَبِينَ إِذَا مَا يُنْسَبُونَ أَبَا
 قَوْمٍ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لَجَارِهِمْ * شَدَّوْا الْعَنَاجَ وَشَدَّوْا فَوْقَهُ الْكَرْبَا (١)
 قَوْمَهُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ * وَمَنْ يَسْوَى بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنْبَا
 فَصَارَ أَحَدُهُمْ إِذَا سُئِلَ عَنْ انْتِسَابِهِ لَمْ يَبْدَأْ إِلَّا بِهِ ، وَأَنْفِ النَّاقَةِ هُوَ جَعْفَرُ
 ابْنِ قُرَيْعِ بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، وَكَانَ بَنُو الْعَجْلَانِ يَفْخَرُونَ
 بِهَذَا الْأَسْمِ ، وَيَتَشَرَّفُونَ بِهَذَا الْوَسْمِ ، إِذْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبٍ جَدَّهُمْ إِذَا سَمِيَ
 الْعَجْلَانِ لَتَعْجِيلِهِ الْقَرَى لِلضَّيْفَانِ : وَذَلِكَ أَنَّ حَيًّا مِنْ طَيْئٍ نَزَلُوا بِهِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ
 بِقِرَاهِمَ عَبْدًا لَهُ ، وَقَالَ لَهُ اعْجَلْ عَلَيْهِمْ ، فَفَعَلَ الْعَبْدُ فَأَعْتَقَهُ لِعَجَلَتِهِ ، فَقَالَ الْقَوْمُ
 مَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْمَى إِلَّا الْعَجْلَانِ ، فَسَمِيَ بِذَلِكَ فَكَانَ شَرَفًا لَهُمْ ، حَتَّى قَالَ النَّجَاشِيُّ
 وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ حَزْنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ يَهْجُوهُمْ
 أَوْلَيْكَ أَخْوَالُ اللَّعِينِ وَأُسْرَةُ الْهَجْجِ * بَيْنَ وَرَهْطِ الْوَاهِنِ الْمُتَدَالِ (٢)
 وَمَا سَمِيَ الْعَجْلَانِ إِلَّا لِقَوْلِهِ * خَذَا الْقُعْبَ وَأَحْلَبَ أَيُّهَا الْعَبْدُ وَاعْجَلِ
 فَصَارَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا سُئِلَ عَنْ نَسَبِهِ قَالَ كَعْبِي ، وَيَكْنَى عَنْ الْعَجْلَانِ ، وَزَعَمَتِ
 الرِّوَاةُ أَنَّ بَنِي الْعَجْلَانِ اسْتَعْدَوْا عَلَى النَّجَاشِيِّ لَمَّا قَالَ هَذَا الشَّعْرُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَالُوا هَجَانَا ، قَالَ : وَمَا قَالَ فَيَكُمُ ؟ فَأَشَدُّهُ قَوْلُهُ
 إِذَا اللَّهُ عَادَى أَهْلَ لَوْمٍ وَرِقَّةٍ * فَعَادَى بَنِي الْعَجْلَانِ رَهْطُ ابْنِ مَقْبَلٍ
 فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعَادِي مُسْلِمًا ، قَالُوا فَقَدْ قَالَ

قَبِيلَتَهُ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ * وَلَا يَظْلَمُونَ النَّاسَ حَبِيَّةً خَرَدَلٍ (٣)

- (١) العنّاج : حبيل الدلو وزمام الناقة ، والكرب أيضاً من حبائل الدلو ، والمراد
 أنهم إذا عقدوا عقداً ربطوه بحبل بعد حبيل ، وهذا كناية عن وثاقة العهد
 (٢) الأسرة والرهط بمعنى القوم ، والهجين : غير الشريف ، والواهين : الضعيف
 (٣) يريد أنهم لا يقدرّون لضعفهم على ظلم أحد

فقال وردت أن آل الخطاب كانوا كذلك ! قالوا فقد قال
 تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * وتأكل من عوف بن كعب بن نهشل
 فقال: كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه ! قالوا فقد قال
 ولا يزدون الماء الا عشيّة * اذا صدر الوراد عن كل منهل^(١)
 فقال: ذلك أصفى للماء ، وأقل للمرحام ! قالوا فقد قال
 وما سئى العجلان الا لقوله * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل
 فقال : سيد القوم خادهم ! وكان عمر رضى الله عنه أعلم بما فى هذا الشعر
 ولكنه درأ الحدود بالشبهات

جمرات العرب

وهؤلاء بنو نعيم بن عامر بن صعصعة من القوم أحد جمرات العرب وأشرف
 بيوت قيس بن عيلان بن مضر . وجمرات العرب ثلاثة : وانما سموا بذلك لانهم
 يتوافرون فى أنفسهم ، لم يدخلوا منهم غيرهم ، والتجمير فى كلام العرب
 التجميع ، وهم بنو عامر وبنو الحارث بن كعب ، وبنو ضبة بن أد . فطفئت
 جمرتان وهما بنو ضبة لانها خالفت الرباب ، وبنو الحارث لانها خالفت مدحج ،
 وبقيت نعيم لم تحالف ، فهي على كثرتها ومنعتها . وكان الرجل منهم اذا قيل له
 ممن أنت ، قال نيمى كما ترى ! إيدلالاً بنسبه ، وافتخاراً بمنصبه ، حتى قال جرير
 ابن الخطيف لعبيد بن حصين الراعى أحد بنى نعيم بن عامر
 فغض الطرف انك من نعيم * فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

كعب وكراب ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة . فصار الرجل منهم اذا قيل
 له ممن أنت ؟ يقول عامرى ، ويكنى عن نعيم ، ومرة امرأة بقوم من بنى نعيم
 فأحدوا النظر اليها فقال منهم قائل والله انها لرشحاء^(٢) فقالت يا بنى نعيم والله

(١) يريد أنهم لا يستطيعون ورود الماء الا اذا انصرف عنه الناس (٤) رشحاء :
 كثيرة العرق ، وذلك من عيوب النساء

ما امتثلتم في واحدة من اثنتين ، لا قول الله عز وجل : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، ولا قول الشاعر * فغض الطرف أنك من نير * البيت — وسائر شريك بن عبد الله النخعي يزيدي بن عمر بن هبيرة الفزاري ، فبرزت بغلة شريك^(١) فقال له يزيدي : غض من لجامها ، فقال إنها مكتوبة أصلح الله الأمير ، فضحك ، وقال : ماذا هبت حيث أردت ، وإنما عرض بقوله غض من لجامها بقول جرير * فغض الطرف أنك من نير * فعرض له شريك بقول ابن دارة لا تأمنن فزارياً خلوت به * على قلو صك واكتبها بأسيار^(٢) وبنو فزارة يرمون بآتيان الابل ، ولذلك قال الفرزدق ليزيد بن عبد الملك

لما ولي عمر ابن هبيرة العراق

أمير المؤمنين لأنك مرنا * أمين ليس بالطمع الحريص
أوليت العراق ورافديه * فزارياً أحد يد القميص^(٣)
ولم يك قبلها راعي مخاض * ليأمنه على وركي قلو ص^(٤)
تفهق بالعراق أبو المثني * وعلم قومه أكل الخبيص^(٥)
الرافدان : دجلة والفرات ، وقال بعض النخعيين يحيب جريرا عن شعره
نمير جرة العرب التي لم * نزل في الحرب تلهب التها
واني إذ أسب بها كليباً * فتمحت عليهم للخسف بابا
ولولا أن يقال هجا نميراً * ولم نسمع لشاعرهم جوابا
رغبنا عن هجاء بني كليب * وكيف يشاتم الناس الكلابا

(١) برزت : سبقت (٢) اكتبها : مأخوذ من الكتابة بضم الكاف وسكون الباء وهو سير يكتب به حياء الناقة لثلاث يزي عليها . وكتب الناقة يكتبها بكسر التاء وضمها في المضارع ختم حياءها (٣) أخذ ، مقطوع وقطع يد القميص كناية عن السارق (٤) القلو ص : الناقة ، والخوف على وركي الناقة كناية عن الخوف عليها من أن يأتها الفزاري ! (٥) تفهق : عاش عيشة الترف — الخبيص : طعام يعمل من التمر والسمن

فما نفع نيمرا ، ولا ضرر جريرا ، بل كان كما قال الفرزدق
ما ضرر تغلب وائل أهجوتها * أم بليت حيث تناطح البحران
وقال أبو جعفر محمد بن منذر مولى بنى صبير بن ربوع فى هجائه لثقيف
وسوف يزيدكم ضعة هجاني * كما وضع الهجاء بنى نيمر
وسمع الراعى منشدا يمشد

وعاوى عوى من غير شىء مرمية * بقافية أنفاذها تقطر الدما (١)
خروج بأفواه الرواة كأنها * فرى هندوانى إذا هز صمما (٢)
فارتاع له ، وقال : لمن هذا ؟ قيل لجرير ، قال لعن الله من يلومنى أن يغلبنى
مثل هذا ! وقد بنى الشعر لقوم بيوتا شريفة ، وهدم لآخرين أبنية منيفة
وما هو إلا القول يسرى فتغتندى * له غرر فى أوجه ومواسم
قال أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمى : سمعت أبا عمرو بن العلاء ورجل
يقول : إنما الشعر كاليسم (٣) فقال : وكيف يكون ذلك كذلك ، والميسم يذهب
بذهاب الجلد ، ويدرس مع طول العهد ، والشعر يبقى على الأبناء ، بعد الآباء ،
ما بقيت الأرض والسما : وإلى هذا نحا الطائي فى قوله
وانى رأيت الوسم فى خلق الفتى * هو الوسم لا ما كان فى الشعر والجلد
وقال عمر راحة الله عليه : تعلموا الشعر ، فإن فيه محاسن تبتغى ، ومساوىء
تتقى . وقال أبو تمام

إن القوافى والمباعى لم تزل * مثل النظام اذا أصاب فريدا
هى جوهرة نثر فان ألفتها * فى الشعر كان قلائدا وعقودا
من أجل ذلك كانت العرب الألى * يدعون هذا سودداً مجدودا
وتند عندهم العلى الا اذا * جعلت لها مرراً القصيد قيودا (٤)

(١) أنفاذ : جمع نفذ بفتح الحين وهو الشق تحته الطعنة النافذة (٢) الهندوانى
السيف ، والفرى : الشق والصدع (٣) اليسم : المكواة (٤) المرر : جمع
مرة بكسر الميم وهى إحكام القتل ، وتند : تنفر وتشرد

(وقال على بن الرومي)

أرى الشعر يُحِبُّ الناس والمجد بالذي * تُبْقِيهِ أرواحُ له عِطْرَاتُ
وما المجد لولا الشعر إلا معاهدُ * وما الناس إلا أعظم نَحْرَاتُ

شذور من كلام الرسول

رجعت الى ما قطعت ، مما هو أحق وأولى ، وأجل وأعلى ، وهو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكريم النَّجْرُ ^(١) ، العظيم القدر ، الذي هو النهاية في البيان ، والغاية في البرهان ، المشتمل على جوامع الكلم ، وبدائع الحكم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب ، بيد أنى من قریش ، واسترضعت في سعد بن بكر ! وليس بعض كلامه بأولى من بعض بالاختيار ، ولا أحق بالتقديم والإيثار ؛ ولكنى أورد ما تيسر منه في أول هذا الكتاب استفتاحاً ، وتيمناً بذلك واستنجاحاً ، (وهذه شذور) من قوله صلى الله عليه وسلم الصريح الفصيح ، العزيز الوجيز ، المتضمن بقليل من المبانى ، كثير المعانى ، قوله للانصار : إنكم لتقلون عند الطمع ، وتكثرون عند الفزع ، وقوله عليه السلام : المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم — الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة — أياكم وخضراء الدمن ^(٢) كل الصيد في جوف الفراء ^(٣) قاله لأبي سفيان بن حرب — الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا — المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً — أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم — المتشعب عالم يعطى كلابس ثوبى زور — المرأة كالضلع ان

(١) النجر : الأصل (٢) الدمن : جمع دمنة وهي مربيطة الابل والخيول يثبت فيها النباتات فيكون رائحة الخضره لكثرة الماء والسماذ ، وخضراء الدمن كناية عن المرأة الوسيعة تدرج من بيت السوء (٣) الفراء : حمار الوحش ، (كل الصيد في جوف الفراء) مثل ، ومعناه أن من نال الأمر العظيم كان جديراً بأن ينسى ما سواه مما ينال الناس

رُمْتَ قِوَامَهَا كَسَرْتَهَا ^(١) وان داريتها استتمعت بها — اليد العليا خير من اليد السفلى — مظل الغنى ظلم — يد الله مع الجماعة — الحياء شعبة من الايمان — مثل أبي بكر كالمقطر ، أينما وقع نفع — لا تجمعلوني في أعجاز كتبكم كقذح الراكب ^(٢) — أربعة من كنوز الجنة : كتمان الصدقة والمرض والمصيبة والفاقة — جنة الرجل داره — الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا — كفى بالسلامة داء — إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم ، فسعواهم بأخلاقكم — ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى — كلّ مُيسّر لما خلق له — اليمين خيث أو مندمة — ^(٣) دع ما يريبك الى ما لا يريبك — انصر أخاك ظالماً كان أو مظلوماً — احترسوا من الناس بسوء الظن — الندم توبة — انتظار الفرج عبادة — نعم صومعة الرجل بيته — المستشار معان والمستشار مؤتمن — المرء كثير بأخيه — إن للقلوب صدأ كصد الحديد ، وجلأؤها الاستغفار — اليوم الرّهان وغدا السّباق ، والجنة الغاية — كل من في الدنيا ضيف ، وما في يده عارية ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤدّاة (ومن جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام) مارواه أهل الصحيح عن علقمة بن وقاص الليثي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته الى ما هاجر اليه ، قال أبو القاسم حمزة بن محمد الكنانى سمعت أهل العلم يقولون : هذا الحديث ثلث الاسلام ، والثالث الثانى مارواه النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتهيات ، فمن تركها كان أوفى لدينه وعرضه ، ومن واقعها كان الرّاع حول الحمى ، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ^(٤) قال والثالث مارواه مالك بن شهاب عن على بن حسين

(١) القوام بالسكسر : التقويم (٢) الأعجاز : الأواخر (٣) الحنث بكسر الحاء : الذنب ، والمعنى أنك حين تقسم تقع بين الذنب أو الندم (٤) الحمى : الشيء المحمى المتنوع

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه . وقد
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر وأثاب عليه ، وندب حسان بن ثابت
اليه ^(١) ، وقال : ان الله ليؤيده بروح القدس ما نافح عن نبيه ^(٢) ولما انتهى شعر أبي
سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الى النبي صلى الله عليه وسلم شقَّ عليه ^(٣)
فدعا عبد الله بن رواحة فاستنشده فأنشده فقال : أنت شاعر كريم ، ثم دعا كعب
ابن مالك فاستنشده فأنشده فقال : أنت تحسن صفة الحرب ، ثم دعا بحسان بن
ثابت فقال : أجب عني ، فأخرج لسانه فضرب به أذنيه ^(٤) ثم قال والذي بعثك
بالحق ما أحب أن لي به مقولاً في معد ، ولو أن لسانا فرى الشعر لفراهِ ^(٥) ثم سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمسَّ من أبي سفيان ، فقال : وكيف ويبنى
ويبنه الرحم التي قد علمت ! فقال أسلاك منه كما تسلك الشعرة من العجين ! فقال اذهب
الى أبي بكر وكان أعلم الناس بأنساب قريش ، وسائر العرب ، وعنه أخذ جبير بن
مطعم علم النسب ، فمضى حسان اليه فذكر له معانيه ، فقال حسان بن ثابت

وإن سنام المجد من آل هاشم * بنويت مخزوم ووالدك العبدُ

ومن ولدت أبناء زهرة منهم * كرامٌ ولم يقرب عجائزك المجد ^(٦)

ولست كعباسٍ ولا كإبن أمِّه * ولكن لئيم لا يقوم له زند ^(٧)

وإن امرءاً كانت سميةً أمُّه * وسعراً مغموراً إذا بلغ الجهد ^(٨)

وأنت زنيمٌ نيط في آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدحُ الفرْدُ ^(٩)

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال : هذا كلام لم يغب عنه ابن أبي قحافة ،

(١) ندب : دعا (٢) نافح : دافع (٣) شقَّ عليه : عظم عليه (٤) الأرفية

طرف الأنف (٥) يفرى الشعر : يحويه ، ومحو الشعر كناية عن غاية الإيذاء

(٦) المعجائز : جمع عجوز (٧) الزند : موصل طرف الذراع في الكف

(٨) الجهد : التعب . وبلوغه شدته ، وهذا كناية عن السعي المجدد ، والمغمور : الحامل

(٩) زنيم : دعي معلق بمن ليس منه . ونيط بكسر النون : علق

يعني يبنى بيت مخزوم عبد الله وأبا طالب والزبير بن عبد المطلب بن هاشم أمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم وأخواتهم برة وأميمة والبيضاء وهي أم حكيم والبيضاء جدة عثمان بن عفان أم أمه وقوله (ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام) يعني أميمة وصفية أم الزبير بن العوام أمهما هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة وقوله (ولست كعباس ولا كبن أمه) أم العباس فتيلة امرأة ابن جعفر بن واسط وأخوه لأمه ضرار بن عبد المطلب وقوله (وان امرأ كانت سمية أمه وسمراء) سمية أم أبي سفيان ، وسمراء أم أبيه ، وليس هذا موضع إطناب في رفع الانساب . وكان عبد الأعلى بن عبد الرحمن الاموي عتب على بعض ولد الحارث فقال له مُعَرِّضاً بما قال حسان

إِخَالُ بِالْعَمِّ وَبِالْجَدِّ * مَفْتَخِرًا بِالْقَدَحِ الْفَرْدِ (١)

الْهَجِّ بِحَسَانٍ وَأَشْعَارِهِ * فَلَهَا أَدْعَى إِلَى الْجَدِّ

لَوْلَا سَيْفُ الْأَزْدِ لَمْ تَوْمِنُوا * وَلَمْ تَقِيمُوا سُورَةَ الْحَدِّ

فتوعدوه بخافهم ، فقال :

بَنِي هَاشِمٍ عَفْوًا عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ * وَإِنْ كَانَ ثَوْبِي حَشَوْنِيهِ مُجْرِمٌ

لَكُمْ حَرَمُ الرَّحْمَنِ وَالْبَيْتِ وَالصَّفَا * وَجَمْعٌ وَمَا ضَمَّ الْحَاطِمُ وَزَمَزَمٌ

فَإِنْ قَلْتُمْ بِأَدَهْتُنَا بِعَظِيمَةٍ * فَأَحْلَاكُمْ مِنْهَا أَجْلٌ وَأَعْظَمُ

وَأَسْلَمَ أَبُو سَفْيَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَشَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حَنْزِئٍ ، وَكَانَ مُمْسِكًا بِلِجَامٍ بَغْلَتَهُ حِينَ فَرَّ النَّاسُ ، وَهُوَ أَحَدُ الَّذِينَ ثَبَتُوا ، وَهُمْ عَلَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ هِشَامٍ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَالْعَبَّاسُ وَأَبُو سَفْيَانَ ابْنُ الْحَارِثِ وَابْنُهُ وَالْفَضْلُ وَرَبِيعَةُ ابْنُ الْحَارِثِ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَأَيُّمُنُ بْنُ أُمِّ أَيُّمُنَ بْنِ عُبَيْدٍ قَتْلَهُ يَوْمَئِذٍ ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَعِدُ فِيهِمْ قَتْلَ ابْنِ الْعَبَّاسِ وَلَا يَعِدُ ابْنَ أَبِي سَفْيَانَ وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ

لَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ غَيْرُ فَخْرٍ * بِأَنَّا نَحْنُ أَجْوَدُهُمْ حِصَانًا

(١) إِخَالُ بِكَسْرِ الهمزة : أَظُنُّ ، وَالْمَعْنَى : أَظُنُّكَ مَفْتَخِرًا بِالْقَدَحِ الْفَرْدِ

وَأَكْثَرَهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ * وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَمَعُوا سِنَانًا^(١)
وَأَدْفَعَهُمْ عَنِ الضُّرَاءِ عَنْهُمْ * وَأُبَيِّنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا
(ويروى) أن ابن سيرين قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره
قد شقق ناقته بزمامها ، حتى وضعت رأسها عند مقدمة الرجل ، إذ قال : يا كعب
ابن مالك ، احذ بنا ، فقال كعب :

قُضِينَا مِنْ نَهَامَةِ كُلِّ حَقٍّ * وَخَيْرَ ثَمٍّ أَجْمَعْنَا السُّيُوفَ^(٢)
نَحْيَرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ * قَوَاطِعُنَّ دُوسًا أَوْ ثَقِيْفًا
فقال عليه السلام : والذي نفسي بيده لهى أشد عليهم من رشق النبل !
ويقال إن دوسا أسلمت فرقامن كلمة كعب هذه^(٣) ، وقالوا : اذهبوا نخدوا لأنفسكم
الأمان ، من قبل أن ينزل بكم منازل بغيركم !

قصة النضر بن الحارث

وقتل النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث وكان ممن أسير يوم بدر
وكان شديد العداوة لله ولرسوله ، وقتله على بن طالب رضى الله عنه صبرا^(٤)
فعرضت للنبي صلى الله عليه وسلم أخته قتيلة بنت الحارث وفي بعض الروايات
أن قتيلة أتمته فأنشدته

يَا رَاكِبًا إِنْ الْأُنَيْلَ مَظْنَةً * مِنْ صَبْحِ غَادِيَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ
أَبْلَغَ بِهَا مَيْتًا بِأَنْ نَحْيَةً * مَا إِنْ تَزَالَ بِهَا النِّجَابُ تَعْنَقُ^(٥)
مَنْى إِلَيْهِ وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ * جَادَتْ بِهَا كَفْهًا وَأُخْرَى نَخْنَقُ^(٦)
هَلْ يَسْمَعُنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ * إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيْتٌ لَا يَنْطِقُ
ظَلَّتْ سِيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنْوِشُهُ * اللَّهُ أَرْحَمُ هُنَاكَ تَشَقُّقُ^(٧)

- (١) سابغات : طويلة صافية (٢) أجمعنا : أرحنا (٣) فرقا : خوفا
(٤) صبرا : حبسا (٥) تعنق : من العنق ، بفتححتين ، وهو السير الحثيث
(٦) الوا كف : الدائم الجريان (٧) تنوشه : تناله بالطمع

قَسْرًا يَقَادُ إِلَى الْمَنِيَةِ مُتَعَبًا * رَسَفَ الْمَقِيدَ وَهُوَ عَانٍ مُوثِقٌ^(١)
 أَمَحَمَّدُ هَا أَنْتَ صِنُو كَرِيمَةٍ * فِي قَوْمِهَا وَالْفَجَلُ لَحْلُ مُعْرِقٍ^(٢)
 مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرَبَّمَا * مِنْ الْفَقَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْحُنَقُ^(٣)
 فَالْنَضْرَ أَقْرَبَ مَنْ قَتَلْتَ قَرَابَةً * وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِنَقُ يُعْتَقُ
 أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فُديَةٍ فَلْيُفْدِنِ * بِأَعَزِّ مَا يُغْلَى بِهِ مِنْ يَنْفَقُ
 فَذَكَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَ لَهَا وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، وَقَالَ لِأَبِي
 بَكْرٍ : لَوْ كُنْتُ سَمِعْتُ شَعْرَهَا مَا قَتَلْتَهُ ! وَالنَضْرُ هَذَا هُوَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ
 عَلْقَمَةَ بْنِ كَلَادَةَ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ . قَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ وَسَمِعْتُ بَعْضَ
 أَهْلِ الْعِلْمِ يَغْمِزُ فِي أَبِيَاتٍ قَتِيلَةٍ بِنْتُ الْحَارِثِ وَيَقُولُ إِنَّهَا مَصْنُوعَةٌ

وفاة رسول الله

(وَدَخَلَ) أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ
 مُسَجًى بِثَوْبٍ^(٤) فَكَشَفَ عَنْهُ الثَّوْبَ وَقَالَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! طُبِّتَ حَيًّا
 وَطُبِّتَ مَيِّتًا ، وَانْقَطَعَ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ النَّبُوَّةِ ،
 فَعَظُمَتْ عَنِ الصِّفَةِ ، وَجَلَّتْ عَنِ الْبُكَاءِ ، وَخَصَصَتْ حَتَّى صَرَّتْ مَسَلَاةً ، وَعَمِمَتْ
 حَتَّى صَرْنَا فِيكَ سَوَاءً ، وَلَوْلَا أَنَّ مَوْتَكَ كَانَ اخْتِيَارًا مِنْكَ ، لَجَدْنَا لِمَوْتِكَ
 بِالْأَنْفُسِ ، وَلَوْلَا أَنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الْبُكَاءِ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّوْءِ^(٥) ، فَأَمَّا
 مَا لَا نَسْتَطِيعُ نَفْيَهُ عَنْكَ فَكَدِّهِ وَإِدْنَاهُ^(٦) يَتَحَالَفَانِ وَلَا يَبْرَحَانِ ، اللَّهُمَّ فَأَبْلِغْهُ عَنَّا
 السَّلَامَ ، اذْكُرْنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ ، وَلَنْكُنَّ مِنْ بَالِكَ ، فَلَوْلَا مَا خَلَّفْتَ مِنَ السَّكِينَةِ

(١) قَسْرًا : قَهْرًا — وَالرَّسْفُ : مَشَى الْمَقِيدَ — عَانٍ : أَسِيرٌ — مُوثِقٌ : مَقِيدٌ
 (٢) صِنُو : ابْنُ — مُعْرِقٌ : أَصِيلٌ (٣) مِنْ : صَفْحٌ ، وَالْحُنَقُ : الْمَعْلُوءُ
 بِالْمَغِيْظِ (٤) مُسَجًى : مَغْطًى (٥) الشُّوْءُ : عُرُوقُ الدَّمْعِ (٦) الْأَدْنَاهُ :
 الْمَرْضُ الثَّقِيلُ

لم نُقَمِّ لما خلقت من الوحشة ، اللهم أبلغ نبيك عنا واحفظه فينا . ثم خرج (قوله)
 رضى الله عنه (لولا أن موتك كان اختياراً منك) إنما يريد قول النبي صلى الله
 عليه وسلم : لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخبر . قالت عائشة رضى
 الله عنها فسمعتة وقد شخص بصره وهو يقول : فى الرفيق الأعلى ! فعلت أنه
 خُبر ، فقلت لا تختارنا إذن ، وقلت هو الذى كان يحدثنا ، وهو صحيح (وكان)
 أبو بكر لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرضه بالسَّنح ^(١) فتواترت اليه
 الرسل فأتى وقد ذهل الناس ، فكانوا كالخرس ، وتفرقت أحوالهم ، واضطربت
 أمورهم ، فكذب بعضهم بموته ، وصمت آخرون فما تكلموا إلا بعد التغير ، وخط
 آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان ، ^(٢) وحق لهم ذلك للرزية العظمى ، والمصيبة
 الكبرى ، التى هى بيضة المقر ^(٣) ، ویتيمة الدهر ، ومدى المصائب ، ومنتهى
 النوائب ، فكل مصيبة بعدها جَلَلٌ عندها ^(٤) ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
 لتعزَّ المسلمين فى مصائبهم المصيبة بى (وكان عمر) بن الخطاب رضى الله عنه ممن
 كذب بموته وقال : مامات وليرجمه الله فليقطعن أيدي المنافقين وأرجلهم ،
 يتمنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ، وإنما واعدته ربه ، كما واعد موسى
 وهو يأتىكم (وأما عثمان) رضى الله عنه فكان ممن أخرس ، فجعل لا يكلم أحداً ،
 يؤخذ بيده ويُجابه به فينقاد (وأما على) رضى الله عنه فلبط به الأرض ^(٥) فقام ولم

(١) السَّنح : بضم السين وسكون النون موضع قرب المدينة وكان به منزل أبى بكر
 رضى الله عنه (٢) لاثوا : خلطوا (٣) بيضة المقر : مثل للحادث الذى يندر
 أن يتكرر ، وهى فى الاصل بيضة الدجاجة التى لا تبيض بعدها (٤) جلال : من أسماء
 الأضداد و يطلق على الأمر العظيم كما يطلق على الأمر الصغير ، ومن أمثلة إطلاقه
 على الامر الخطير قول الشاعر

قوى همو قتلوا أميم أخى فاذا رميت بصيبنى سهمى
 فلئن عفوت لأعفون جلالاً ولئن ضربت لأوهن عظمى

(٥) لبط به الأرض ، ولبط به : سقط من قيام كأنما صرع . والعبارة الثانية
 بصيغة المفعول

يبرح البيت حتى دخل أبوبكر وهو في ذلك جلد العقل والمقالة^(١) ، فأكب عليه ، وكشف عن وجهه ، وقبل جبينه وبكى بكاء شديداً وقال الكلام الذي قدمته ، ولما خرج الى الناس وهم في شديد غمراتهم ، وعظيم سكراتهم ، قام فخطب خطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قال فيها أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين . في كلام طويل ، ثم قال : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وإن الله قد تقدم اليكم في أمره ، فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندهم ، وقبضه الى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه ، وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر ، يأبى الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ، ويفتننكم عن دينكم ، فعاجلوه بالذي تمجزون به ، ولا تستنظروه فيلحق بكم ، فلما فرغ من خطبته قال : يا عمر ! بلغني أنك تقول مامات نبي الله ، أما علمت أنه قال في يوم كذا وكذا وفي يوم كذا وكذا قال الله تبارك وتعالى : إنك ميت وإنهم ميتون ، فقال عمر والله لكأنى لم أسمع بها في كتاب الله قبل ما نزل بنا ، أشهد أن الكتاب كما نزل ، وإن الحديث كما حدث ، وأن الله حي لا يموت ، وإنا لله وإنا اليه راجعون ! ثم جلس الى جنب أبي بكر رحمه الله (قالت عائشة) رضوان الله عليهما لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نجم النفاق^(٢) ، وارتدت العرب ، وكان المسلمون كالغنم الشاردة ، في الليلة الماطرة ، فحمل أبي مالو حملته الجبال لهاضها^(٣) فوالله إن اختلفوا في معظم الاذهب بحظه ، ورشده ، وغنائه ، وكنت اذا نظرت الى عمر علمت أنه انما خلقت للاسلام فكان والله أحوذيا نسيج وحده^(٤) قد أعد

(١) جلد : ثابت (٢) نجم : نشأ (٣) هاضها : دكها وحطمها

(٤) أحوذى : حاذق قاهر الأمور لا يشذ عليه شيء

للأمور أقرانها (وحدث) أبو بكر بن دريد عن عبد الأول بن مزيد قال حدثني في مجلس يزيد بن هارون بالبصرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم دفن ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم ، ورجعت فاطمة إلى بيتها ، فاجتمع إليها نساؤها فقالت

اغبر آفاق السماء وكُورت * شمس النهار وأظلم العصر ان^(١)
فالارض من بعد النبي كئيبة * أسفا عليه كثيرة الرجفان^(٢)
فليبكك شرق البلاد وغربها * وليبكك مضر وكل يمانى
وليبكك الطور المعظم جوه * والبيت ذو الأستار والاركان
ياخاتم الرسل المبارك ضوءه * صلى عليك منزل الفرقان

مناقب أبي بكر

(وكان أبو بكر) رضى الله عنه اذا أنى عليه يقول : اللهم أنت أعلم بي من نفسى ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، فاجعلني خيراً مما يحسبون ، واغفرلى برحمتك ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون. وقال رحمه الله فى بعض خطبه : إنكم فى مهل ، من ورائه أجل ، فبادروا فى مهل آجالكم ، قبل أن تنقطع آمالكم ، وتردكم الى سوء أعمالكم . وذكر أبو بكر الملوك فقال : إن الملك اذا ملك زهده الله فى ماله ، ورغبه فى مال غيره ، وأشرب قلبه الإشفاق ، فهو يسخط على الكثير ، ويحسد على القليل ، جذل الظاهر ، حزين الباطن ، حتى اذا وجبت نفسه^(٣) ونضب عمره ، وضحا ظله^(٤) ، حاسبه الله فأشد حسابه ، وأفل الأنصار عنه عقوبة (وذكر) انه وصل الى أبى بكر مال من البحرين ، فساوى فيه بين الناس ، فغضبت الأنصار ، وقالوا له : فضلنا ! فقال أبو بكر صدقم ، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه

(١) كورت : سقط (٢) الرجفات : الاضطراب (٣) وجبت نفسه :

فاضت روحه ، ونضب : نفذ (٤) ضحا ظله : مات

للدنيا ، وان صبرتم كان ذلك لله عز وجل افعالوا : والله ما عملنا الا لله تعالى ، وانصرفوا
فرقى أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم قال : يا معشر الأنصار ان شئتم أن تقولوا إنا آويناكم في ظلالنا ، وشاطناكم
في أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا ، لقلتم ، وان لكم من الفضل ما لا يحصيه العدد ، وان
طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوى

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت (١)

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا * تلاقى الذي يلقون منا ملّت (٢)

هم أسكنونا في ظلال بيوتهم * ظلال بيوت أدفأت وأظلت

(فقر من كلامه رضى الله عنه) صنائع المعروف تقى مصارع السوء — الموت
أهون مما بعده ، وأشد مما قبله — ليست مع العزاء مصيبة ، ولا مع الجزع فائدة —
ثلاث من كن فيه كن عليه : البغى ، والنكث ، والمكر — إن الله قرن وعده
بوعيده ، ليكون العبد راغباً وراهباً

رِثَاء أَبِي بَكْرٍ

(ولما توفى رضى الله عنه) وقفت عائشة على قبره فقالت : نضر الله وجهك
ملئت ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مدلاً بادبارك عنها ، وللآخرة
مُعزاً باقبالك عليها ، ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
رزؤك ، وأعظم المصائب بعده فقدك ، إن كتاب الله ليعبد بحسن الصبر عنك
حسن العوض منك ، وأنا أستعجز موعود الله تعالى بالصبر فيك ، وأستقصيه
بالاستغفار لك (أمالن كانوا قاموا بأمر الدنيا) فقد قت بأمر الدين لما وهى

(١) زلت : سقطت (٢) هذا البيت غاية الغايات في وصف المواساة

والبر الموصول *

شعبه^(١) وتفاقم صدعه^(٢)، ورجفت جوانبه^(٣)، فعليك سلام الله توديع غير
قائمة لحياتك، ولا زارية على القضاء فيك^(٤)، وقال أبو بكر لبلال لما قتل
أمة بن خلف وقد كان يسومه سوء العذاب بمكة فيخرجه الى الرمضاء^(٥) فيلقى
عليه الصخرة العظيمة ليفارق دين الاسلام فعصمه الله من ذلك

هنيئاً زادك الرحمن خيراً * فقد أدركت نارك يا بلال
فلانكسا وجدت ولا جباناً * غداة تنوشك الأسل الطوال^(٦)
إذا هاب الرجال ثبت حتى * تخالط أنت ما هاب الرجال
على مضض الكلوم بمشرفي * جلا أطراف متنيه الصقال^(٧)

عمر بن الخطاب

(وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه) الى ابنه عبد الله: أما بعد فإنه من
اتقى الله وقاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه،
فاجعل التقوى عماد قلبك، وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لانية له، ولا أجر
لمن لاحسنة له، ولا جديد لمن لا خلق له (ودخل) عدى بن حاتم على عمر فسلم
وعمر مشغول فقال: يا أمير المؤمنين! أما عدى بن حاتم! فقال: ما أعرفنى بك!
أمنت إذ كفرُوا، ووفيت إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا، وأقبلت إذ أدبروا!
(وقال) رجل لعمر: من السيد؟ قال الجواد حين يُسأل، الحلیم حين يُستجهل،

(١) وهى شعبه: تفرق شمله، قال الطرماح «شت شعب الحى بعد النمام»

(٢) تفاقم صدعه: اتسع كسره، والصدع فى الأصل كسر الزجاجه

(٣) رجفت: اضطربت (٤) زارية: عاتبة (٥) الرمضاء: هى الحجارة

التي اشتد عليها وقع الشمس فحميت، قال الشاعر

المستجير بعمر وعند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

(٦) النكس: الرذل، والأسل: الرماح (٧) الكلوم: الجروح، والمشرقي: السيف

الكریم المجالسة لمن جالسه ، الحسن الخلق لمن جاوره . وقال رضى الله عنه : ما كانت الدنيا همَّ رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال : فقر لا يدرك غناه ، وهم لا ينقضى مداه ، وشغل لا ينفذ أوله ، وأمل لا يبلغ منتهاه (فصول قصار من كلامه) رضى الله عنه : من كنتم سره كان الخیار فى يده — أشقى الولاة من شقيت به رعيته — أعقل الناس أعذرهم للناس — ما الخمر صرفاً^(١) بأذهب لعقول الرجال من الطمع — لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً — مرّ ذوى القربايات أن يتزاوروا ، ولا يتجاوروا — قلما أدبر شئ فأقبل — أشكو إلى الله ضعف الأمين ، وخيانة القوى — تكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن ترزقون — لو أن الشكر والصبر بعيران ماباليت أيهما أركب — من لا يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه (وقال) معاوية ابن أبى سفيان لصعصعة بن صوحان ، صفلى عمر بن الخطاب فقال : كان عالماً برعيته ، عادلاً فى قضيته ، عارياً من الكبر ، قبولاً للعذر ، سهلاً للحجاب ، مصون الباب ، متحريراً للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير محاب للقريب ، ولا جاف للغريب (وروى) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حج فلما كان بضجنان^(٢) قال لا إله إلا الله العلى العظيم ، المعطى من شاء ما شاء ، كنت فى هذا الوادى فى مدرعة صوف أرعى إبل الخطاب ، وكان فظاً يتعبنى إذا عمات ، ويضربنى إذا قصرت وقد أمسيت الليلة ليس بينى وبين الله أحد ، ثم تمثّل

لا شئ مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الآله ويودى المال والولد^(٣)
لم تغن عن هرمة يوماً خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له * والجن والانس فيما بينها ترد
أين الملوك التى كانت نوافلها * من كل صوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب * لا بد من ورده يوماً كما وردوا

(١) الخمر الصرف : الخالصة (٢) ضجنان : جبل قرب مكة (٣) يودى : يذهب

(وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوم فتح مكة)
 ألم تر أن الله أظهر دينه * على كل دين قبل ذلك حائداً^(١)
 وأسلبه من أهل مكة بعد ما * تداعوا إلى أمر من الفى فاسداً
 غداة أجال الخيل فى عرصاتهما * مسومة بين الزبير وخالداً^(٢)
 فأمسى رسول الله قد عز نصرته * وأمسى عداد من قنيل وشارداً
 يريد الزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالداً بن
 الوليد سيف الله تعالى فى الأرض

عائكة بنت زيد

ولما قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، قالت عائكة بنت زيد بن عمرو
 ابن نفيل زوجته تربيته

عين جودى بعبرة ونحيب * لا تملّ على الأيمن النجيب
 فجعتنى المنون بالفارس المم * لم يوم الهياج والثيوب^(٣)
 عصمة الناس والمعين على الده * روغيث المحروم والمحروب^(٤)
 قل لأهل الضراء والبؤس موتوا * قد سقته المنون كأس شعوب^(٥)

(وقالت أيضاً تربيته)

وفجعتنى فيروز لادر درة * بأبيض نال للكتاب منيب
 رؤوف على الأدنى غليظ على العدى * أخى ثقة فى النائبات نجيب
 متى ما يقل لا يكذب القول فعله * سريع إلى الخيرات غير قطوب

وعائكة هذه هى أخت سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم النبي

(١) حائد : مائل (٢) مسومة : وضعت عليها العلامات (٣) الفارس العلم
 هو الذى علق عليه صوف ملون فى الحرب ، والثيوب : الدعاء (٤) المحروب : المسلوب
 (٥) شعوب : هى المنية ، لأنها تشعب الشمل وتبدده

صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وكانت تحت عبد الله بن أبي بكر ، فأصابه سهم في غزوة الطائف فمات منه ، فتزوجها عمر رضى الله عنه فقتل عنها ، فتزوجها الزبير ابن العوام فقتل عنها ؛ فكان على رضى الله عنه يقول : من أحب الشهادة الحاضرة فليتزوج بماتكة !

عثمان بن عفان

(ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه) ما يزعم الله بالسلطان أكثر مما يزعم القرآن ^(١) — سيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد عري بياناً ؛ وأنتم إلى إمام فعال ، أحوج منكم إلى إمام قوتال ، قاله في أول خلافته وقد صعد المنبر وأرجع عليه ^(٢) وكتب إلى علي رضى الله عنه وهو محصور : أما بعد فقد بلغ السيل الزبى وتجاوز الحزام الطبيين ^(٣) وطمع في من لا يدفع عن نفسه ، ولم يعجزك كلثيم ، ولم يغلبك كمغلب ^(٤) فأقبل إلى ، معي كنت أو على ، على أي أمريك أحببت فإن كنت مأكولاً فكن أنت آكلي * وإلا فأدركني ولما أمزق وهذا البيت الممزق العبدى ، وبه سمى الممزق واسمه شأس ، وإنما تمثل به عثمان رضى الله عنه ، وحذاق أهل النظر يدفعون هذا ويستشهدون على فساده بأحاديث تناقضه ليس هذا موضعها . قالوا وكان عثمان رضى الله عنه أتقى لله أن يسمى في أمره على ، وعلى أتقى لله أن يسعى في أمر دم عثمان ، وهذا من قوله عليه السلام : أشقى الناس من قتله نبي أو قتل نبياً * وقد ذكر بعض أهل العلم أنه لا يعرف لعثمان شعر وأنشد له بعضهم

(١) يزعم : يزجر ويردع (٢) أرتج عليه باب الكلام (٣) الزبى : جمع زبية وهى الزابية لا يعلوها ماء ، وبلوغ السيل الزبى كناية عن اشتداد الأمر — الطبى : بالضم والكسر حملات الضرع وبلوغ الحزام الطبيين كناية أيضاً عن الشدة (٤) مغلب : غلب كثيراً ، ولم يغلبك كمغلب : يستعمل في المدح والذم ، قال امرؤ القيس

فانك لم يفخر عليك كماجز ضعيف ولم يغلبك مثل مغاب

غنى النفس يغنى النفس حتى يكفها * وان عضها حتى يضر بها الفقر
وما عُسرة فاصبر لها إن تتابعت * بياقية الأستينعها يُسر
وقول عثمان رضى الله عنه فيما روى (ولم يغلبك كغلب) من قول امرئ القيس
فانك لم يعجز عليك كفاجر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب
وقال أبو تمام وذكر الحمر
وضعيفة فاذا أصابت فرصة * قتلت كذلك قدرة الضعفاء

✳ على بن أبى طالب

ومن كلام على بن أبى طالب قوله رضى الله عنه : لاتكن ممن يرجو الآخرة
بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل ، ويقول فى الدنيا بقول الزاهدين ، ويعمل
فيها بعمل الراغبين ، إن أعطى منها لم يشبع ، وإن منع لم يقنع ، يعجز عن شكر
ما أوتى ، ويتنغى الزيادة فيما بقى ، ينهى ولا ينتهى ، ويأمر بما لا يأتى ، يحب
الصالحين ولا يعمل أعمالهم ، ويتنغى المسيئين وهو منهم ، يكره الموت لكثرة
ذنوبه ، ويقوم على ما يكره الموت له ، إن سقم ظل نادما ، وإن صح أمن لاهيا ،
يعجب بنفسه إذا عوفى ، ويقنط إذا ابتلى ، تغلبه نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها
على ما يستيقن ، ولا يشق من الرزق بما ضمن له ، ولا يعمل من العمل بما فرض عليه ،
إن استغنى بطر وقتن ، وإن افتقر قنط وحزن ، فهو من الذنب والنعمة موقر ،
يتنغى الزيادة ولا يشكر ، يتكلف من الناس ما لم يؤمر ، ويضيع من نفسه ما هو
أكثر ، ويبالغ إذا سأل ، ويقصر إذا عمل ، يخشى الموت ، ولا يبادر الموت ،
يستكثر من معصية غيره ، ما يستقل أكثره من نفسه ، ويستكثر من طاعته ،
ما يستقله من غيره ، فهو على الناس طاعن ، ولنفسه مداهن ، اللغو مع الأغنياء ،
أحب اليه من الذكر مع الفقراء ، يحكم على غيره لنفسه ، ولا يحكم عليها لغيره ،
وهو يطاع ويعصى ، ويستوفى ولا يؤفى - وسئل رضى الله عنه عن مسألة فدخل
مبادراً ، ثم خرج فى حذاء ورداء ، وهو يتبسم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، انك

كنت اذا سئلت عن مسئلة كنت فيها كالسكة الحماة (١) فقال انى كنت حاقنا ولا رأى لحاقن (٢) (ثم أنشأ يقول)

إذا المشكلات تصدين لى * كشفت حقائقها بالنظر
وان برقت فى مخيل الصوا * ب عمياء لا يجتليها الذكر (٣)
مقنعة بأمر الغيوب * وضعت عليها صحيح الفكر
لساناً كشقة الارحى * أو كالحسام الباني الذكر (٤)
وقلباً اذا استنطقته الفنون * أمر عليها بواهى الدرر
ولست بأمة فى الرجال * أسائل عن ذا وذا ما الخبر (٥)
ولكننى ذرب الأصغرين * أبين مع ماضى ما غير (٦)

وقال معاوية رضى الله عنه لضرار الصراني يا ضرار ، صف لى عليا ، فقال :
أعفى يا أمير المؤمنين ، قال لتصفه ، فقال ، أما إذا ذنت فلا بد من صفته * كان والله
بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً (٧) ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من
جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس
بالليل وظلمته ، كان والله غزير الدمة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه
يمجبه من اللباس ما قُصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا
إذا سألناه ، وينبئنا إذا استبأناه ، ونحن مع تقريبه إلينا ، وقربه منا ، لا نكاد
نكلمه لهيبته ، ولا نبذنه لعظمته ، يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع
القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيت فى بعض موافقه
وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه ، قابضا على لحيته ،

(١) السكة : الحديد (٢) الحاقن : هو الذى احتبس بوله (٣) مخيل :
مظنون ، وهو هنا السحاب تخاله ما طرا لوعده وبرقه (٤) الارحى : الجمل ،
وشقشقه : هديره (٥) الاممة : الرجل الذى لا خطر له (٦) ذرب الأصغرين :
حديد القلب واللسان (٧) القول الفصل : هو الحق

يتملح تملح السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا اليك عنى اغترى غيرى
الى تعرضت ، أم الى نشوت ، هيمات قد باينتك ثلاثا لارجعة لى عليك ، فعمرك
قصير ، وخطر كحقيق ، وخطبك يسير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة
الطريق ! فبكى معاوية حتى أخضلت دموعه لحيته ، وقال : رحم الله أبا الحسن
فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال حزن من ذبح واحدتها
فى حجرها ! وقال على رضوان الله عليه : رحم الله عبداً سمع فوعى ، ودعى الى
الرشاد فدنا ، وأخذ بحجرة هاد فنجأ ^(٢) ، وراقب ربه ، وخاف ذنبه ، وقدم
خالصا ، وعمل صالحا ، واكتسب منخورا ، واجتنب محذورا ، ورمى غرضا ،
وكابر هواه ، وكذب مناه ، وحذر أجلا ، ودأب عملا ، وجعل الصبر رغبة حياته
والتقى عدة وفاته ، يظهر دون ما يكتم ، ويكتفى بأقل مما يعلم ، لزم الطريقة الغراء
والحجة البيضاء ، واغتنم المهل ، وبادر الأجل ، وتزود من العمل * ولما رجع رضى
الله عنه من صفين فدخل أوائل الكوفة إذا قبر ، فقال قبر من هذا ؟ فقبل خباب
ابن الأرت فوقف عليه وقال : رحم الله خبابا ! أسلم راغبا ، وهاجر طائعا ، وعاش
مجاهدا ، وابتلى فى جسمه أحوالا ، وإن يضيع الله أجر من أحسن عملا . ومضى
فاذا هو بقبور فوقف عليها وقال : السلام عليكم أهل الديار الموحشة ، والحال
المقفرة ، أنتم لنا سلف ، ونحن لكم تبع ، وبكم عما قليل لاحقون ، اللهم اغفر لنا
ولهم ، وتجاوز عنا وعنهم بعفوك ! طوبى لمن ذكر المعاد ، وعمل للحساب ، وقنع
بالكفاف ، ثم التفت رضى الله عنه الى أصحابه فقال : أما انهم لو تكلموا
لقالوا : وجدنا خير الزاد التقوى * وذم رجل الدنيا بحضرة على رضى الله عنه
فقال : دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها
مهبط وحى الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومثجر أوليائه ، ربجوا

(١) السليم : المدوغ ، سعى بذلك تفاؤلا (٢) الحجرة : الحوض ، واخذ بحجرة
فلان : استظهر به واستعان به

فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذابدمها ، وقد آذنت بيئها ، ونادت بفراقها ، وذكرت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ، ترغيبا وترهيبا ، فيأبىها الذام لها ، المعلل نفسه بفرورها ، متى خدعتك الدنيا ، أم بماذا استندمت اليك ^(١) أبصرع آباءك في البلى ؟ أم بمضجع أمهاتك في الثرى ؟ كم مرّضت بكفيك ، وكم عللت بيديك ، تطلب له الشفاء ، وتستوصف الأطباء ، غداة لا ينفعه بكأوك ولا يغني دواؤك (فقر من كلامه رضي الله عنه) رأى الشيخ خير من مشهد الغلام ^(٢) الناس أعداء ما جهلوا — بقيه عمر المؤمن لا تمن لها ، يدرك بها ما أفات ^(٣) — نقل هذا الكلام بعض أهل العصر وهو أبو الفتح علي بن محمد البستي

بقية العمر عندي ما لها تمن * وان غدا وهو محبوب من الثمن
يستدرك المرء فيها ما أفات ويح * بي ما أمات ويمحو السوء بالحسن
— الدنيا بالأموال ، والآخرة بالأعمال ، لا نخاف الاذنبتك ، ولا ترجون إلا ربك —
وجهوا آمالكم ، الى من تحبه فلو بكم — الناس من خوف الذل في ذل — من أيقن بالخلف ، جاد بالعطية — بقية السيف أنى عدداً وأنجب ولداً (وقد تبيننت صحة ما قال في بنيه وبنى المهلب) إن من السكوت ما هو أبلغ من الجواب —
الصبر مطية لا تكبو ، وسيف لا يذبو ^(٤) — خير المال ما أغناك ، وخير منه ما كفاك ، وخير اخوانك من واساك ، وخير منه من كفاك شره

وقال بعض أهل العصر ما يشاكل هذا وهو أبو الحسن محمد بن لسكك البصري

عدياً في زماننا * عن حديث المكارم
من كفى الناس شره * فهو في جود حاتم

أبو الطيب

لما في زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس احسان وإجمال

- (١) استندمت اليك : فعلت ما تدمها عليه (٢) مشهد الغلام : ما يشهده ويراه رأى العين
(٣) الكبوة : السقطة ، والنبوة : عدم الاصابة . ويقولون : لكل جواد كبوة ، ولكل سيف نبوة

إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه **ك** قيمة كل امرئ ما يحسن | ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هذه الكلمة في كتاب البيان فقال : فلو لم نقف من هذا الكتاب ، إلا على هذه الكلمة ، لوجدناها شافية ، كافية ، ومجزئة مغنية ، بل لوجدناها فاضلة عن الكفاية ، غير مقصرة عن الغاية ، وأفضل الكلام ما كان قليلاً يغنيك عن كثيره ، ومعناه ظاهراً في لفظه ، وكأن الله قد ألبسه من ثياب الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة ، على حسب نية صاحبه ، وتقوى قائله ، فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع ، بعيداً من الاستكراه ، منزهاً عن الاختلال ، مصوناً عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائليها على هذه الصفة ، كساها الله من التوفيق ، ومنحها من التأييد ، مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبارة ، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة **و** من دعائه رضى الله عنه في حروبه : اللهم أنت أَرْضِي للَرْضَى ، وأَسْخِطَ للَسْخِطِ ، وأَقْدِرَ على أن تغير ما كرهت ، وأَعْلَمَ بما تقدر ، لا تغلب على باطل ، ولا تعجز عن حق ، وما أنت بغافل عما يعمل الظالمون . وقال على رضى الله عنه

لَمِنْ رَايَةٍ سَوْدَاءٍ يَخْفِقُ ظِلُّهَا * إِذَا قِيلَ قَدِمَ مِنْهَا حَصِينٌ تَقْدَمًا
فِيوردها في الصف حتى تردها * حِبَاضُ الْمَنَائِمِ تَطْرَأُ الْمَوْتَ وَالْدَمَا
جَزَى اللَّهُ قَوْمًا قَاتَلُوا فِي لِقَائِهِمْ * لَدَى الرُّوعِ قَوْمًا مَا أَعَزُّوا كَرَمًا
وَأَطِيبَ أَخْبَارًا وَأَفْضَلَ شِيمَةً * إِذَا كَانَ أَصْوَاتُ الرِّجَالِ تَغْمَغُمَا ^(١)

حصين الذي ذكره أبو ساسان الحصين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي وكان صاحب رايته يوم صفين . ويروى عنه أنه قال بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها أرى علال الدنيا على كثيرة * وصاحبها حتى الممات عليل لكل اجتماع من خليلين فرقة * وإن الذي دون الممات قليل وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد * دليل على أن لا يدوم خليل

ولما قتل عبدود سقط فانكشنت عورته ، فتنحى عنه وقال
 آلى ابن عبد حين شد أليّة * وحلفت فاستمعوا من الكذاب (١)
 ألا يفرّ ولا يملأ فالتقى * أسدان يضطربان كل ضراب (٢)
 اليوم بمنعنى الفرار حفيظتى * ومُصمّم فى الرأس ليس بناب (٣)
 أعرضت حين رأيتك متقطراً * كالجدع بين دكادك وروابي (٤)
 وعففت عن أثوابه ولو اننى * كنت المقطر بزنى أثوابى (٥)
 نصر الحجارة من سفاهة رأيه * ونصرت دين محمد بصواب (٦)
 لائحسبئ الله خاذل دينه * ونبيه يامعشر الأحزاب
 فى أبيات غير هذه ، وبعض الرواة ينفىها عن على رضى الله عنه

فى يوم الاحزاب

وعمره هذا هو ابن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤى ،
 وكان قد جزع المزاد ، وهو موضع حفر فيه الخندق يوم الأحزاب ، وفى ذلك
 يقول الشاعر :

عمر بن ود كان أول فارس * جزع المزاد وكان فارس يليل (٧)
 ولما صار مع المسلمين فى الخندق دعا البراز وقل :

ولقد بجحت من النداء * بججمعهم هل من مبارز (٨)
 ووقفت إذ نكل الشجا * عموقف البطل المناجز (٩)
 إني كذلك لم أزل * متسرعا نحو الهزاهر (١٠)

- (١) آلى : أقسم ، والأليّة : اليمين (٢) يملأ : يتقلب ، والضراب : المطاردة
 (٣) الحفيظة : الحمية والغضب عند حفظ الحرمه — والمصمّم : السيف لا ينبو
 (٤) متقطر : صريع ، والدكادك : جمع دكداك وهو الرمل المتلبّد بالارض
 (٥) بز : سلب (٦) نصر الحجارة كناية عن عبادة الأوثان (٧) جزع
 المزاد : اجتازه (٨) بج صوتة : ضعف من كثرة النداء (٩) نكل : نكص ،
 والمناجز : المبادر الى القتال (١٠) الهزاهر : الشدائد والحروب لأنها تمزهر الرجال

ان السماحة والشجاء * عفى القتي خير الغرائز (١)

فبرز على بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : يا عمرو ! انك عاهدت الله
لقريش أن لا يدعوك أحد الى خلتين الا أخذت إحداهما ، فقال أجل ! قال فاني
أدعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام ، قال لا حاجة لى بذلك ، قال فاني أدعوك
الى المبارزة ، فقال يا ابن أخي ما أحب أن أقتلك ! قال على لكنى والله أحب
أن أقتلك ، فحمي عمرو فاقتحم عن فرسه وعرقبه (٢) ثم أقبل الى على
فتجاولا كغمامتين تكنفت * متنّيهما ريحا صبا وشمال (٣)
في موقف كادت نفوس كُماته * تُبْز قبل تورّد الآجال (٤)
وعلت بينهما غبرة سترتهما فلم يرع المسلمين الا التكبير ، فعلموا أن علياً
قتله. ولما قُتل عمرو جاءت أخته فقالت : من قتله ؟ فقبل على بن أبي طالب
فقالت : كف كريمة ! ثم انصرفت وهى تقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله * لكنت أبكى عليه آخر الابد
لكن قاتله من لا يُعابُ به * وكان يُدعى قديماً بيضة البلد
من هاشم في ذراها وهى صاعدة * الى السماء تُعيت الناس بالحسد
قوم أبى الله إلا أن يكون لهم * مكارم الدين والدنيا بلا أمد
يا أم كاثوم ابكيه ولا تدعى * بكاء مُمولة حرّى على ولد
أم كاثوم بنت عمرو بن عبد ود. وبيضة البلد تمدح به العرب وتذم ، فمن
مدح به جملة أصلا ، كما ان البيضة أصل الطائر ، ومن ذم به أراد أن لا أصل له .
قال الراعى يهجو عدى بن الرقاع العاملى

يامن توعدنى جهلا بكثرتي * منى تهمدنى بالعز والعدو
أنت امرؤ نال من عرضى وعزته * كعزة العير يرعى تلمعة الأسد (٥)

(١) الغرائز : الطباع ، واحدها غريزة (٢) عرقبه : قطع عرقوبه (٣) تجاولا
تصاولا (٤) الكماة : جمع كى وهو الشجاع (٥) العير : الحمار ، وتلمعة الاسد :
الرابية التى يحمى بها ، وليس للحمار عزة فى تلمعة الأسد ، وإنما هو مثال الهوان !

لو كنت من أحديهم جئ هجوتكم * يا ابن الرقاع ولكن لست من أحد
تأبى قضاة أن ترضى لكم نسباً * وابننا نزار فأنتم بيضة البلد
وقال أبو عبيدة عاملة بن عدى بن الحارث بن مرة بن أد بن زياد بن يشجب
يطعن في نسبه من قحطان ويقال هو عاملة بن معاوية بن قاسط بن أهيب فلذلك
قال الراعي هذا ويقال إن جندل بن الراعي قالها وقد قال بجبي بن أبي حفصة
الاموي في عاملة

ولسنا نبالي تأبى عاملة التي * أجدت بها من نحو بُصرى أنحدارها
تدافعها الأحياء حتى كأنها * ثياب بدا للمشتري عوارها
قذفنا بها لما نأت قذف حاذف * بسود حصي خفت عليه صغارها
ويشبه قول علي رضي الله عنه (وعففت عن أنوابه) قول عنبرة بن شداد
العبيسي

هلاً سألت الخليل يا ابنة مالك * ان كنت جاهلة بما لم تعلمي
ينجرك من شهد الواقعة أني * أغشى الوغى وأعف عند المغم
وقال حبيب بن أوس الطائي

ان الاسود أسود الغاب همها * يوم الكربة في المسلوب لا السلب^(١)

كلام الصحابة والتابعين

قد علقنا بذيل ما أوردته ، وألحقنا بطرف ما جردته ، من كلام سيد
الأولين والآخرين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار
الطيبين ، قطعة من كلام الخلفاء الراشدين ، قدمت أمام كل كلام ، لتقدمهم على
الخلق ، وأخذهم بقصب السبق^(٢) ، وهم كما قال بعض المتكلمين ، يصف قوما من
الزهاد الواعظين : جلوأ بكلامهم الأبصار العليلة ، وشحدوا بمواعظهم الأذهان

(١) السلب : الغنيمة . ويجمع على أسلاب (٢) السبق : هو السباق ، وأخذ
قصب السبق كناية عن الفوز

الكليلة ، ونهبوا القلوب من رقدتها ، ونقلوها عن سوء عاداتها ، فشفوا من داء
الفسوة ، وغباوة الغفلة ، وداووا من العي الفاضح ، ونهجو لنا الطريق الواضح ،
وآثرت أن ألحق بعد ذلك جملة من سليم كلام الصحابة والتابعين ، رضى الله عنهم
أجمعين ، وأدرج في درج كلامهم ، وأثناء نثرهم ونظمهم ، ما التفت عليه ،
والتفت اليه ، وتعلق بأغصانه ، أو تشبث بأفئانه ، كما تقدم ، وأخرج الى صفات
البلاغات ، وأخذ بعد ذلك في نظم عقود الآداب ، ورقم برود الالباب

من كل معنى يكاد الميئ يفهمه * حسناً ويعبده القرطاس والقلم
قال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله : أفضل ما أعطى الرجل العقل والحلم
فاذا ذكر ذكر ، واذا أساء استغفر ، واذا وعد أنجز وصف معاوية الوليد بن
عتبة فقال : انه أبعيد الغور ، ساكن الغور ، ^(١) وان العود من لحائه ^(٢) والولد
من آيائه ، والله انه لنبات أصل لا يخلت ، ونجل فحل لا يقرف ^(٣)

قوة معاوية

ومرض معاوية مرضاً شديداً فأرجف به مصقلة بن هبيرة وساعده قوم على
ذلك ، ثم تماثل وهم في إرجافهم ^(١) فحمل زياد مصقلة إلى معاوية وكتب إليه : «لانه
يجمع مراقاً من مراق العراق ^(٥) فيرجفون بأمر المؤمنين ، وقد حملته إليه ليرى

(١) الغور : القمر من كل شيء ، وبعد الغور كناية عن أصالة الرأي وعمق
التفكير - الغور : الغضب ، ويقال : فلان ثار ثأثره ، وفار فآثره ، اذا اشتد غضبه .
وبنو فلان تغور علينا قدرهم ، قال الشاعر :

تغور علينا قدرهم فنديمها ونفثوها عنا اذا حميها غلا

وسكون الغور : كناية عن الحلم (٢) اللحاء : القشر ، ومنه قولهم (لحاء الله)
أى قشره ، واذا قشر الانسان هلك ! (٣) لا يقرف : من القراف بالكسر وهو
داء يقتل البعير ، يريد أنه قوى متين لا تقربه الأدوية (٤) الاء رجاف : الخوض
في أخبار الفتن . ومنه (والمرجفون في المدينة) - (٥) مراق : جمع مارق وهو
الخارج على الجماعة

رأيه فيه « فقدم مصقلة وجلس معاوية للناس ؛ فلما دخل عليه قال : ادن مني !
فدنا منه فأخذه بيده فجذبه فسقط مصقلة ؛ فقال معاوية

أبقي الحوادث من خلي * لك مثل جندلة المراجع^(١)

صلباً إذا خار الرجا * ل أبل ممتنع الشكائم^(٢)

قد رانى الأعداء قب * لك فامتنعت عن المظالم

قال مصقلة يا أمير المؤمنين : قد أبقي الله منك ما هو أعظم من ذلك حلاً
وكلاً ومرعى لأوليائك ، وسماً ناقماً لأعدائك ، كانت الجاهلية فكان أبوك سيد
المشركين ، وأصبح الناس مسلمين ، وأنت أمير المؤمنين ؛ وقام فوصله معاوية
وأذن له في الانصراف الى الكوفة . فقليل له كيف تركت معاوية ؟ فقال : زعمتم
أنه لما به^(٣) والله لقد غمزني غمرة كاد يحطمني ، وجذبتني جذبة كاد يكسر
عضواً مني !

الاحنف بن قيس

ودخل الاحنف بن قيس على معاوية وافداً لأهل البصرة ودخل معه النمر
ابن قطبة وعلى النمر عبادة قطوانية^(٤) وعلى الأحنف ممدرة صوف وشملة ،
فلما مثلاً بين يدي معاوية اقتحمتهما عينه^(٥) فقال النمر يا أمير المؤمنين : إن
العبادة لا تكلمك ، وإن يكلمك من فيها فأوماً إليه فجلس ، ثم أقبل على الاحنف
فقال : (ثم مم) فقال يا أمير المؤمنين ، أهل البصرة عدد يسير ، وعظيم كبير ، مع
تتابع من المحول ، واتصال من الدحول ،^(٦) فلك كثير فيها قد أطرق ، والمقل

(١) الجندلة : الصخرة — والمراجع : المناضل (٢) خار : ضعف —

والأبل : الألد الجدل — والشكائم : جمع شكيمة وهي الحديد المعتبر في فم
الفرس ، وفلان شديد الشكيمة : أنف أبي لا يتقاد (٣) زعمتم أنه لما به :

يريد زعمتم أنه ضعف لما به من السقم (٤) نسبه الى قطوان وهو موضع بالكوفة

(٥) اقتحم : احتقر (٦) الدحول : جمع ذحل وهو النار

قد أُمْلِقُ^(١) ، وبلغ منه المحق . فان رأى أمير المؤمنين أن يُشْرِشَ الفقير ، ويَجْجِرَ الكسير ، ويسهل العسير ، ويصفح عن الذحول ، ويداوى المحول ، ويأمر بالعطاء ، ليكشف البلاء ، ويزيل اللاواء^(٢) ، وإن السيد من يعم ولا يخص ومن يدعو الجفلى ، ولا يدعو النقرى^(٣) ، إن أحسن إليه شكر ، وأن أسىء إليه غفر ، ثم يكون وراء ذلك لرعيته عماداً يرفع عنها الملمات ، ويكشف عنها المضلات . فقال له معاوية هاهنا يا أبا بحر : ثم تلا (وَلِتَعْرِقَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) ومن جميل المحاورات مارواه المدائنى قال : وفد أهل العراق على معاوية رَجَمَهُ اللهُ ومعه زياد وفيهم الأحنف فقال زياد يا أمير المؤمنين أَشْخَصْتَ إِلَيْكَ أَقْوَاماً الرغبة ، وأقعد عنك آخرين العذر ، فقد جعل الله تعالى في سعة فضلك ، ما يجبر به المتخلف ، ويكافأ به الشاخص ، فقال معاوية مرحباً بكم يا معشر العرب ، أما والله لئن فرقت بينكم الدعوة ، لقد جمعتكم الرحم^(٤) ، إن الله اختاركم من الناس ، ليختار نامكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم ، بأن تخير لكم بلاداً تُجتاز عليها المنازل ، حتى صفاكم من الأمم كما تُصفى الفضة البيضاء من خبثها^(٥) ، فصونوا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم ، وأعرضكم ، فإن الحسن فيكم أحسن قربكم منه ، والقبیح منكم أقبح لبعدهم عنه : فقال الأحنف : والله يا أمير المؤمنين ما نعلم منكم قاتلاً جزيلاً ، ورأياً أصيلاً ، ووعداً جميلاً ، وإن أخاك زياداً لمتبع آثارك فينا . فاستمتع الله بالأمر والمأور ، فانكم كما قال زهير ، فانه ألقى على المداخيل فصول القول^(٦) ومايك من خير أتوه فائدا * توارث آباء آبائهم قبل وهل ينبت الخطى^(٧) الاوشيج^(٨) * وتغرس الافي منابتها النخل^(٩)

(١) أُمْلِقُ من الاملاق وهو الفقر (٢) اللاواء : الشدة (٣) يدعو الجفلى يدعو الجماعة ، والنقرى دعوة الفرد . قال طرفة

نحن في اللاواء ندعو الجفلى لا ترى الآدم منا ينتقر

(٤) الخطى : نسبة الى الخط وهو مرفأ السفن بالبحرين وتنسب اليه الرماح

لأنها تباع به لأنه منبتها — والوشيج : عروق القصب

شعر زهير

وهذان البيتان لزهير بن أبي سلمى المزني في قصيدة يقول فيها
 وفيهم مقامات حسان وجوها * وأندية ينتابها القول والفعل
 على مكترهم رزق من يعترهم * وعند المقلين الساحة والبذل
 سعى بعدهم قوم لى يدركوهم * فلم يفعلوا أولم يلموا ولم يألوا^(١)
 قال بعض أهل العلم بالمعاني : أعجب بقوله ولم يألوا ، لأنه لما ذكر السعى
 بعدهم ، والتخلف عن بلوغ مساعيهم ، جاز أن يتوهم السامع أن ذلك لتقصير
 الطالبين في طلبهم ، فأخبر أنهم لم يألوا وأنهم كانوا غير مقصرين ، وأنهم مع
 الاجتهاد في المتأخرين ، ثم لم يرض بأن يجعل مجدهم طارفا فيهم ، ولا جديدا
 لديهم ، حتى جملة إرثا عن الآباء ، يتوارثه سائر الأبناء ، ثم لم يرض أن يكون
 في الآباء ، حتى جملة موروثا عن آبائهم ، وهذا لو تكلفه متكلف في المنشور ، دون
 الموزون ، لما كان له هذا الاقتدار ، مع هذا الاختصار . وكانت قریش معجبة
 بشعر زهير ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء
 وكلام ابن أبي سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد ، فجعلوا ابن أبي سلمى نهاية
 في التجويد ، كما ترى ، وذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إن من
 من أشعر شعرائكم زهيرا ، كان لا يعاظر بين الكلام^(٢) ولا يتبع حوشية ، ولا يمدح
 الرجل إلا بما يكون في الرجال . وأخذ معنى قول زهير « سعى بعدهم قوم لى
 يدركوهم » طريح بن اسماعيل الثقفي فقال لأبي العباس عبد الله بن محمد بن
 على السفاح

قد طلب الناس ما بلغت وأم * يألوا فما قاربوا وقد جهدوا^(٣)

فهم ملوك ما لم يرؤك فان * لاح لهم منك بارق خدوا

(١) لم يألوا : لم يقصروا (٢) يعاظر : يكرر ويردد (٣) جهدوا : تعبوا

أَمْرُهُمْ رِعْدَةٌ لَدَيْكَ كَمَا * قُرِفَ تَحْتَ الدَّجْنَةِ الصَّرْدُ ^(١)
 لَأَخُوفَ ظَلَمٍ وَلَا قَلِيَّ خُلُقٍ * لَكِنْ جَلَالًا كَسَاكَ الصَّمَدُ ^(٢)
 مَا يُبْقِكَ اللَّهُ الْإِنَامَ فَمَا * يَفْقَدُ مِنَ الْعَالَمِينَ مَفْتَقَدُ ^(٣)
 وَقَالَ معاوية رحمه الله : المرؤة احتمال الجريرة ^(٤) وإصلاح أمر العشيرة ، والنبل
 الحلم عند الغضب ، والعفو عند المقدرة (فَقَرَّ من كلامه رضى الله عنه) ما رأيت
 تبذيرا قط إلا وإلى جنبه حق مضيع — أنقص الناس عقلا من ظلم من هو دونه —
 أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة — التسلط على الممالك من لؤم المقدرة
 وسوء المملكة . وقال يحيى بن خالد : ما حسن أدب رجل إلا ساء أدب غلمانه .
 وقال معاوية : إصلاح ما في يدك أسلم من طلب ما في أيدي الناس — غضبي على
 من أملك ، وما غضبي على من لا أملك ؟

التهنئة والتعزية

ولما توفي معاوية رحمه الله واستخلف يزيد ابنه ، اجتمع الناس على بابه ،
 ولم يقدروا على الجمع بين تهنئة وتعزية ، حتى أتى عبد الله بن همام السلولي فدخل
 عليه فقال : يا أمير المؤمنين ، آجرك الله على الرزية ، وبارك لك في العطية ، وأعانك
 على الرعية ، فلقد رزئت عظيما ، وأعطيت جسيما ، فاشكر الله على ما أعطيت ،
 واصبر له على ما رزيت ، فقد فقدت خليفة الله ، ومنحت خلافة الله ، ففارقت جليلا
 ووهبك جزيلا ، إذ قضى معاوية نحبته ، فغفر الله ذنبه ، ووليت الرياسة ، فأعطيت
 السياسة ، فأوردك الله موارد السرور ، ووفقك لصالح الأمور ، وأنشده

(١) قرف : على صيغة المفعول أرعد — والدجنة : الظلمة — والصرد : الذي يشكو
 قسوة البرد (٢) القلي : البغض (٣) ما يبقك الله : إن يبقك (٤) الجريرة :
 الجناية ، واحتمال الجريرة كناية عن دفع الدية لئلا يؤخذ الجاني بجنايته

اصبرْ يزيدُ فقدَ فارقتَ ذا نقةٍ * واشكر حياءَ الذي بالملكِ أصفاك^(١)
 لارزءُ أصبحَ في الأقوامِ نعلهُ * كما رزئتَ ولا عتبي كعقباك
 أصبحتَ والى أمرِ الناسِ كلهم * فانتَ ترعاهمُ واللهُ يرعاك
 وفي معاويةَ الباقي لنا خلفٌ * إذا نُعيتَ ولا نسمعُ بمنعنا كـ
 يريدُ أبا ليلى معاويةَ بنَ يزيدَ ، وولي بعد أبيه شهوراً ثم انخلعَ عن
 الأمرِ ، فقال القائل « والملكُ بعد أبي ليلى لمن غلبنا » وأول من فتح البابَ
 في الجمعِ بين تهنئة وتعزية عبد الله بنُ همام فوجهُ الناسَ ، ومن جيد ما قيل
 في ذلك قصيدة أبي تمام الطائي يمدح الوائق ويرثي المعتصم يقول فيها
 ان أصبحتَ هضباتِ قدسٍ أزالها * قدرٌ فما زالت هضابِ شمام^(٢)
 أو يفتقد ذو النون في الهيжа فقد * دفع الآله لنا عن الصمصام
 أو كنتَ منا غارباً غدوا فقد * رحنا باسمي غارب وسمام^(٣)
 تلك الرزية لارزيةً مثلها * والقسم ليس كسائر الأقسام^(٤)
 وهذا المعنى كثير ، وكان معاوية رحمه الله قد ترك قول الشعر في آخر
 عمره ، فنظر يوماً إلى جارية في داره ذات خلقٍ رائع ، فدعاها فوجدتها بكراً
 فاقترعها ، وأنشأ يقول :

سنت غوايتي فأرحت حلمي * وفيَّ على تحملي اعتراضُ
 على أني أجيب إذا دعنتي * ذوات الدل والحق المراضُ

كلمات مأثورة

فقر جماعة الصحابة والتابعين رضي الله عنهم (ابن عباس) الرخصة من الله
 صدقة ، فلا تردوا صدقته^(٥) لكل داخل هيبة فابدأوا بالتحية ، وكل طاعم خشية

(١) الحياء : العطاء (٢) شمام : اسم جبل لباهلة (٣) الغارب : الكاهل
 (٤) القسم : النصيب (٥) الرخصة : تسهيل الله للعبد فيما يخففه عليه

قَابِدُ أَوْ بِالْجَمِينِ (ابن مسعود) رحمه الله : الدنيا كلها هموم فما كان منها في سرور فهو رنج (عمر بن العاص) من أكثر إخوانه أكثر غرماًؤه . وقال : أكرموا سفهاءكم فانهم يكفونكم العار والنار (المغيرة بن شعبة) العيش في بقاء الحشمة وفي كل شيء سرف إلا في المعروف . هذا كقول الحسن بن سهل وقد أنفق في دخول ابنته بوران على المأمون أموالاً عظيمة ، فقيل له لاخير في السرف ، قال : لا سرف في الخير ، فرد اللفظ واستوفى المعنى (معاذ بن جبل) الدين هدم الدين (زياد) أرض من أخيك إذا ولى ولاية بعشر ودد قبلها (مصعب بن الزبير) النواضع من مصائد الشرف (الأحنف بن قيس) من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ! وقيل له : من السيد ؟ قال : الذي إذا أقبل هابوه ، وإذا أدبر عابوه (وله) سرك من ذمك (وله) من تسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون (وله) : الكامل من عدت هفواته ، وقال يزيد بن محمد المهدي

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

(الحسن البصري) ألا تستحيون من طول مالا تستحيون ! ابن آدم راحل إلى الآخرة كل يوم مرحلة — ما أنصفك من كلفك إجلاله ، ومنعك ماله — بدن لا يشتكى مثل مالا يزكى — ان امرأ ليس بينه وبين آدم أب نجي لمعرق في الموتى (قال الطائي) حارس

تأمل رويداً هل تعدن سالماً * إلى آدم أم هل تعدن ابن سالم

وقال أبو نواس

وما الناس إلا هالك وإن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا ليبت تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

(وكان المأمون) يقول : لو قيل للدنيا صفى نفسك ما عدت هذا البيت

وهو مأخوذ من قول مزاحم العقيلي

قضين الهوى ثم ارمين قلوبنا * بأسهم أعداء وهن صديق

عمر بن عبد العزيز رحمه الله : ما الجزع مما لا بد منه ، وما الطمع فيما لا يرجي ؛ لا تكن ممن يلعن ابليس في العلانية ويواليه في السر (الشعبي)
 إني لأستحي من الحق إذا عرفت أنه لا أرجع اليه / قطعة من كلام لبني علي بن أبي طالب أهل البيت رضي الله عنهم (ولهم كلام يعرض في حلى البيان ، وينقش في فص الزمان ، ويحفظ على وجه الدهر ، ويفضح قلائد الدر ، ويخجل نور الشمس والبدر ، ولم لا يطؤون ذيل البلاغة ، ويجرون فضول البراعة ، وأبوهم الرسول ، وأمهم البتول ^(١) وكلهم قد غذى بدر الحكم ^(٢) وربّي في حجر العلم

ما منهم إلا مردّي بالحجي * أو مبشر بالأحذية مؤدّم ^(٣)

آخر

نمته العرائن من هاشم * إلى النسب الأصرح الأوضح ^(٤)

إلى تبة فرعها في السماء * ومغرسها في ذرى الأبطح ^(٥)

وهم كما قال مسلم بن بلال العبدي وقد قيل له : خطب جعفر بن سليمان خطبة لم ير أحسن منها ، فلا يُدرى أوجه أحسن أم خطبته ، فقال : أولئك قوم بنور الخلافة يُشِرُّون ، ولسان النبوة ينطقون ، وفيهم يقول القائل

لو كان يوجد عُرْفٌ مُجَدِّ قَبْلَهُمْ * لوجدته منهم على أميال

إن جئتهم أبصرت بين بيوتهم * كرمًا يقيك مواقف التسال

نور النبوة والمكارم فيهم * متوقد في الشيب والأطفال

- (١) البتول : لقب لمريم عليها السلام لأنها انقطعت عن الزواج وظلت عذراء ، ثم قيل لفاطمة البتول تشبيها بها في المنزلة عند الله (٢) الحكم : بضم الحاء هو الحكمة ، ومنه (وآتيناه الحكم صبيا) (٣) الأحذية : الخندق والخفّة — وهو مبشر بالأحذية ومؤدّم : يعني أن بشرته وأدمته أي جلده حشى بالمهارة والذشاط (٤) العرائن : الإناث (٥) الأبطال : مسيل واسع فيه دقاق الحصى

وسئل سعيد بن المسيب : من أبلغ الناس ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السائل : إنما أعنى من دونه ، فقال : معاوية وابنه ، وسعيد وابنه ، وإن ابن الزبير لحسن الكلام ، ولكن ليس على كلامه ملج . فقال له رجل : فأين أنت من علي وابنه ، وعباس وابنه ؟ فقال إنما عنييت من تقاربت أشكالهم ، وقدانت أحوالهم ، وكانوا كسهم الجمبة ^(١) وبنو هاشم أعلام الانام ، وحكام الاسلام

وصف قريش

(فصل لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في ذكر قريش وبنى هاشم)
قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف رأيها وذكاؤها ، وكيف سياستها وتدبيرها ، وكيف إنجازها وتحسیرها ^(٢) وكيف رجاحة أعلامها إذا خف الخليم ، وحدة أذهانها إذا كَلَّ الحديد ^(٣) وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها في اللاأواء ، وكيف وفاءها إذا استحسن الغدر ، وكيف جودها إذا حُب المال ، وكيف ذكرها لأحاديث غد ، وقلة صدورها عن جهة القصد ^(٤) وكيف إقرارها بالحق ، وصبرها عليه ، وكيف وصفها له ، ودعائها إليه ، وكيف سماحة أخلاقها ، وصونها لأعرافها ، وكيف وصلوا قديمهم بجديتهم ، وطريفهم بتليدهم ، وكيف أشبه علانيتهم سرهم ، وقولهم فعلهم ، وهل سلامة صدر أحدهم ، إلا على قدر بعد غوره ؟ وهل غفلته إلا في وزن صدق ظنه ، وهل ظنه إلا كيقين غيره ؟؟ (وقال عمر) انك لا تلتفع بعقله حتى تلتفع بظنه . قال أوس بن حجر

الألمى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمع

- (١) الجمبة : السكناة توضع فيها السهام والنشاب (٢) التحسير : الإيذاء ، والمراد وصف قريش بأنها تكبت الأعداء (٣) الحديد : القوى الذهن (٤) القصد : الاعتدال

وقال آخر

مليح نجيح أخو مازن * فصيح يحدث بالغائب

وقال بلعاء بن قيس

وأبني صواب الرأي أعلم أنه * إذا طاش ظن المرء طاشت مقادير

بل قد علم الناس كيف جاملها وقوامها ، وكيف نماؤها وبهاؤها ، وكيف سرؤها ونجابتها ^(١) وكيف بيانها وجهارتها ^(٢) وكيف تفكيرها وبداهتها ، فالعرب كالبدن وقريش روحها ، وقريش روح وبنو هاشم سرها ولبها ، وموضع غاية الدين والدنيا منها ، وهاشم ملح الأرض وزينة الدنيا ، وحى العالم ، والسنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولباب كل جوهر كريم ، وسر كل عنصر شريف والطينة البيضاء ، والمغرس المبارك ، والنصاب الوثيق ، ومعدن الفهم ، وينبوع العلم ، ونهلان ذو الهضاب في الحلم ^(٣) والسيف الحسام في العزم ^(٤) مع الأناة والحزم ، والصفح بعد المقدرة ، وهم الأنف المقدم ، والسنام الأكرم ، وكالماء الذي لا ينجسه شيء ، وكالشمس التي لا تخفى بكل مكان ، وكالذهب لا يعرف بالنقصان ، وكالنجم للحيران ، والبارد للظمان ، ومنهم النقلان ، والأطبيان ، والسبطان ، وأسد الله ، وذو الجناحين ، وذو قرنيها ، وسيد الوادي ، وساقى الحجيج ، وحلم البطحاء ، والبحر والخبر ، والأنصار أنصارهم ، والمهاجر من هاجر إليهم أو معهم ، والصديق من صدقهم ، والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيهم ، والحواري حواريهم ، وذو الشهادتين لأنه شهد لهم ، ولاخير إلا لهم أو فيهم أو معهم ، أو يضاف إليهم ، وكيف لا يكون كذلك ومنهم رسول رب العالمين ، وإمام الأولين والآخرين ، ونجيب المرسلين ، وخاتم النبيين ، الذي لم يتم أنبي نبوة إلا بعد التصديق به ، والبشارة بمجيئه ، الذي عم برسالته ما بين الخافقين ،

(١) السرور : الشرف (٢) الجهارة : قوة الصوت (٣) نهلان : اسم جبل (٤) الحسام : القاطع

وأظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون (قال الحسن بن علي) عليهما السلام لحبيب بن مسلمة الفهري : رب مسير لك في غير طاعة الله ! قال : أما مسيري الى أبيك فليس من ذلك ! قال : بلى ! لقد قعد بك في دينك ، فلو أنك إذ فعلت شراً قلت خيراً كنت كمن قال الله عز وجل (خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً) ولكنك كما قال (كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وكان الحسن عليه السلام جواداً كريماً لا يرد سائلاً ولا يقطع نائلاً ، وأعطى شاعراً مالا كثيراً فقيل له : أعطى شاعراً يعصى الرحمن ، ويقول البهتان ؟ فقال : إن خير ما بذلت من مالك ، ما وقيت به عرضك ، وإن من ابتغاء الخير ، اتقاء الشر . وقد روى مثل ذلك عن الحسين رضي الله عنه وقيل : إن شاعراً مدحه فأجزل ثوابه فلم يمدح على ذلك ، فقال أتراني خفت أن يقول لست ابن فاطمة الزهراء بنت رسول الله ولا ابن علي بن أبي طالب ، ولكني خفت أن يقول لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا كعلي رضي الله عنه فيصدق ويحمل عنه ، ويبقى مخلداً في الكتب ، محفوظاً على ألسنة الرواة ، فقال الشاعر : أنت والله يا ابن رسول الله أعرف بالمدح والذم مني

رثاء الحسن بن علي

ولما توفى الحسن أدخله قبره الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، ثم وقف محمد على قبره وقد اغرورقت عيناه وقال : رحمتك الله أبا محمد ! فلئن عزت حياتك ، فلقد هدت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه بدنك ، ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمنه لحبك ، وكيف لا تكون كذلك ، وأنت سليل الهدى ، وخامس أصحاب الكسا ، وخلف أهل التقى ، جدك النبي المصطفى ، وأبوك علي المرتضى ، وأمك فاطمة الزهراء ، وعمك جعفر الطيار في جنة المأوى ، وغدتك أكف الحق ، وريت في حجر الإسلام ، ورضعت ثدي الإيمان ، فطبت حيا وميتاً ، فلئن كانت الأنفس غير طيبة لفراقك ، إنها غير شاكّة أن قد خيرتك ، وإني وأخاك سيداً شباب

أهل الجنة فعليك يا أبا محمد منا السلام م وقام رجل من ولد أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب على قبره فقال : إن أقدامكم قد نقلت ، وإن أعناقكم قد حملت الى هذا القبر وإيّا من أولياء الله يبشر نبي الله بمقدمه ، وتفتح أبواب السماء لروحه ، وتبهج الحور العين بلقاءه ، ويأنس به سادة أهل الجنة من أمته ، ويوحش أهل الحجا والدين فقده ، رحمة الله عليه ، وعنده تحتسب المصيبة به

المصيبة بأبناء النبوة

(أَلْفَاظُ لِأَهْلِ الْعَصْرِ فِي ذِكْرِ الْمَصِيبَةِ بِأَبْنَاءِ النَّبَوَةِ) قد نعى سليل من سلالة النبوة ، وفرع من شجرة الرسالة ، وعضو من أعضاء الرسول ، وجزء من أجزاء الوصيِّ والبتول ، كتبت وايتنى ما كتبت ، وأنا ناعى الفضل من أقطاره وداعى المجد الى شق ثوبه وصيداره ، ونخبر أن شمس الكرم واجبة ^(١) والمآثر مودّعة ، وبقايا النبوة مرتفعة ، وآمال الامامة منقطعة ، والدين منخزل واجم ، وللتقوى دمعان هائم وساجم . كتابي وقد شلت يمين الدهر ، وفقت عين المجد ، وقصر باع الفضل ، وكسفت شمس المساعي ، وخسف قمر المعالي ، وتجدد في بيت الرسالة رزه جدد المصائب ، واستعاد النوائب ، كل هذا افتقد من حط الكرم بربه ، ثم أدرج في برده ، وامتزج المجد به ، فدفن بدفنه ، إنها لمصيبة عمت بيت الرسالة ، وغضت طرف الامامة ، وتحيفت جانب الوحي المنزل وذكرت بموت النبي المرسل . كتبت والدهر ينعي مهجته ، والمجد يندب بهجته ، وهابط الوحي والرسالة تحن ظهورها أسفا ، وما آق الامامة والوصية والرسالة تدرى دموعها لهفا ، وذلك أن حادث قضاء الله استأثر بفرع النبوة ، وعنصر الدين والمروءة

بين أخوين

ووقع بين الحسن ومحمد بن الحنفية لحاء ، ومشى الناس بينهما بالتأم ، فكتب اليه محمد بن الحنفية : أما بعد فإن أبي وأباك علي بن أبي طالب ، لا تفضلني فيه ولا أفضلك ، وأمي امرأة من بني حنيفة ، وأمك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو ملئت الأرض بمثل أمي لكانت أمك خيراً منها فإذا قرأت كتابي هذا فاقدم حتى تترضاني ، فإنك أحق بالفضل مني

وخطب الحسين بن علي رضوان الله عليهما غداة اليوم الذي استشهد فيه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : يا عباد الله اتقوا الله ، وكونوا من الدنيا على حذر ، فإن الدنيا لو بقيت على أحد ، لكانت الانبياء أحق بالبقاء ، وأولى بالرضا بالقضاء ، غير أن الله تعالى خلق الدنيا للفناء ، فجيدها بال ، ونعيمها مضمحل ، وسرورها مكفهر^(١) ، والمنزل تلعة ، والدار قلعة ،^(٢) فتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، واتقوا الله لعلكم تفلحون

معاوية والحسين

وكان لمعاوية بن أبي سفيان عين بالمدينة يكتب اليه بما يكون من أمور الناس وقريش فكتب اليه : إن الحسين بن علي أعنت جارية له وتزوجها ، فكتب معاوية الى الحسين : من أمير المؤمنين معاوية الى الحسين بن علي . أما بعد فإنه بلغني أنك تزوجت جاريته ، وتركت أكفائك من قريش ، ممن تستحسنه للولد ، وتمجد به في الصهر ، فلا لنفسك نظرت ، ولا لولدك انتقيت ! فكتب اليه الحسين ابن علي : أما بعد فقد بلغني كتابك وتعييرك إياي بأنني تزوجت مولاتي وتركت أكفائي من قريش ، فليس فوق رسول الله منتهى في شرف ، ولا غاية في نسب وإنما كانت ملك يميني خرجت عن يدي بأمر التمسست فيه ثواب الله تعالى ، ثم

(١) مكفهر : مغبر (٢) التلعة ما ارتفع من الارض ، والقلعة : الحصن

ارتجعتها على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد رفع الله بالاسلام الخسيصة ، ووضع
عناهم النقيصة ، فلا لوم على امرئ مسلم إلا في أمر ماثم ، وانما اللوم لوم الجاهلية :
فلما قرأ معاوية كتابه نبذه إلى يزيد فقرأه وقال : لشد ما فخر عليك الحسين !
قال لا ولكنها السنة بنى هاشم الخداد التي تفلق الصخر ، وتغرف من البحر !
والحسين رضى الله عنه هو القائل

لعمرك إني لأحب داراً * تحل بها سَكِينَةُ والربابُ
أحبهما وأبذل كلِّ مَالِي * وليس للأثم عندى عتابُ
سَكِينَةُ ابنته والرباب أمها وهي بنت امرئ القيس بن الجرول الكلبيَّة

ابن أبي ربيعة وسكينة

وفي سَكِينَةُ يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي كذباً عليها (١)
قالت سَكِينَةُ والدموع ذوارفُ * تجري على الخدين والجلبابِ
ليت المغيرى الذى لم أجزِهِ * فيما أطال تصيْدِي وِطْلَابِي
كانت تردُّ لنا المنى أيا منّا * إذ لا نلأم على هوًى ونصابِ
مُخْبِرَتِ ما قالت فبتُ كأنما * يُرمى الحشى بنوافد النشابِ
أُسْكِينُ ما ماء الفرات وطيبُهُ * منى على ظمإٍ وفقد شرابِ
بألذَّ منك وإن نأيتِ وقلما * ترعى النساء أمانه الغِيَابِ
إن تبدلى لى نائلاً أشقى به * داء الفؤاد فقد أطلت عذابِي
وعصيت فيك أقاربي وتقطعت * بيني وبينهم عرَى الأسبابِ
فتركتني لا بالوصال مُمتعاً * منهم ولا أسعفتني بثوابِ
فقدت كالمُرِيقِ فضلة مائه * فى حرٍّ هاجرة للمع سرابِ

وكانت سَكِينَةُ من أجمل نساء زمانها وأعقلهن ، وكان مصعب بن الزبير

(١) انظر كتاب «حب ابن أبي ربيعة وشعره» اترى عبث هذا الشاعر بالنساء

قد جمع بينها وبين عائشة بنت طلحة بنت عبد الله فلما قتل مصعب قالت سكينه
فان تقتلوه تقتلوا الماجد الذي * يرى الموت إلا بالسيوف حراما
وقبلك ما خاض الحسين منية * إلى القوم حتى أوردوه حماما

فضل البيان

وقال علي بن الحسين رحمه الله : لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل
الاستبانة ، وجملة الحال في فضل التبیین ، لأعربوا عن كل ما يتلجلج في صدورهم
ولو جدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المازعة الى كل حال سوى حالهم . على
أن إدراك ذلك كان لا يعدمهم في الأيام القليلة العدة ، والفكرة القصيرة المدة ،
ولكنهم من بين مغموه بالجهل ، ومفتون بالمعجب ، وممدول بالهوى عن باب
التثبت ، ومصرف بسوء العادة عن فضل التعلم ، وقال رضى الله عنه : المرء
يفسد الصداقة القديمة ، ويحل العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن تكون به المغالبة ،
والمغالبة من أمتن أسباب القطيعة . ومن دعائه : اللهم ارزقني خوف الوعيد ، وسرور
رجاء الموعد ، حتى لا أرجو إلا ما رجيت ، ولا أخاف ما خوفت

الفرزدق وعلي بن الحسين

وحج هشام بن عبد الملك ، أو الوليد أخوه ، فطاف بالبيت وأراد استلام
الحجر فلم يقدر ، فنصب له منبر فجلس عليه ، فبينما هو كذلك إذ أقبل علي
بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في إزار ورداء ، وكان أحسن
الناس وجها ، وأعطرهم رائحة ، وأكثرهم خشوعا ، وبين عينيه سجادة كأنها
ركبة عنز ^(١) وطاف بالبيت وأتى يستلم الحجر فتمنحى له الناس هيبة وإجلالا ،
فعاظ ذلك هشاما ، فقال رجل من أهل الشام : من الذى أكرمه الناس هذا

(١) المراد بالسجادة أثر السجود

الإكرام ، وأعظموه هذا الإعظام ؟ فقال هشام : لا أعرفه ، لئلا يعظم في صدور أهل الشام ، فقال الفرزدق وكان حاضراً

هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا النقيُّ النقيُّ الطاهر العلمُ
 هذا الذي تعرف البطحاء وطائهُ * والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ
 إذا رأته قریشٌ قال قائلاً * إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
 يكاد يمسكه عرفان راحته * رُكن الحطيم إذا جاء يستلم^(١)
 في كفه خيزران ريحة عبق * في كف أروع في عرفته شم^(٢)
 يغضى حياةً ويغضى من مهابة * فما يكلم إلا حين يتسم
 مشتقة من رسول الله تبعته * طابت عناصره والخيم والشيم^(٣)
 ينمي إلى ذروة العز التي قصرت * عن نيلها عرب الإسلام والمجم^(٤)
 ينجاب نور الهدى عن نور غرته * كالشمس ينجاب عن إشراقها القم^(٥)
 حمال أنقال أقوام إذا اقترحوا * حلوا الشمائل تحلو عنده نعم
 هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
 الله فضله قدماً وشرّفه * جرى بذلك له في لوحه القلم
 من جده دان فضل الأنبياء له * وفضل أمته دانت له الأمم
 عم البرية بلا حسان فانتشمت * عنها الغياية والاملاق والظلم^(٦)
 كاتماً يديه غياث عمّ نفعهما * تستوكفان ولا يعرفهما العدم^(٧)
 سهل الخليفة لا نخشى وادرده * تزيده الاثنان الحلم والكرم
 لا يخلف الوعد ميمون بغيرته * رحب القناء أريب حين يعتزم^(٨)

(١) يريد أن ركن الحطيم يكاد يمسكه لعرفان راحته ويقينه بأنها من سلالة الرسول (٢) أروع : ذكي الروح ، بضم الراء ، وهو الفؤاد . والعرين الأنف ، والشمم الارتفاع (٣) الخيم : الأصل (٤) ينمي : ينسب (٥) القتم والقمام الغبار (٦) الغياية : غيبة الرشد ، والاملاق الفقر (٧) تستوكفان : تجريان والعدم بضم العين الفقر (٨) الأريب : وافر العقل

ما قل لا قط إلا في تشبهه * لولا التشبه كانت لاءه نعم
 من معشر حبيهم دين وبغضهم * كُفِرَ وقربهم منجى ومعتصم
 يستدفع السوء والبلوى بحبهم * ويسترب به الاحسان والنعم^(١)
 مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * في كل بدء ومختوم به الكلم
 إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أوقيل من خير أهل الارض قبلهم
 لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
 هم الغيوث إذا ما أزمة أزمتم * والأسد أسد الشرى والبأس محتم^(٢)
 يابى لهم أن يحل الذم ساحتهم * خيم كريم وأيدى بالندى هضم^(٣)
 لا ينقص العسر بسطا من أكرههم * سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
 أى الخلائق ليست فى رقابهم * لأولية هذا أوله نعم^(٤)
 من يعرف الله يعرف أوليته * فالدين من بيت هذا ناله الأمم
 وليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم
 وقد روى أن الحزین الكنانی وفد على عبد الله بن عبد الملك بن مروان

وهو أمير على مصر فأنشده قصيدة منها

لما وقفت عليه فى الجموع ضحى * وقد تعرضت الحجاب والخدم
 حيثته سلام وهو مرتفق * وضجة القوم عند الباب تزدحم^(٥)
 فى كفه خيزران والبيت الذى يليه. ويقال انها لدود بن سلم فى قثم بن العباس
 ابن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهو الذى يقول فيه الأخطل
 ولقد غدوت على التجار بسمح * هرت عواذله هرير الأكل^(٦)
 لدن تقبله النعم كأنما * مسحت ترائبه بماء مذهب^(٧)

(١) يسترب : يصلح (٢) الشرى : جانب الفرات (٣) هضم : جمع
 هضم وهو كثير الانفاق (٤) المراد بالأولية الآباء والأجداد (٥) مرتفق :
 متكئ على مرققه (٦) هرت : صاحت (٧) الترائب : موضع القلادة من الصدر
 والمذهب المزوج بالذهب

لباس أردية الملوك تروقه * من كل مرتقب عيون الرب (١)
 ينظرون من خلل الستور إذا بدا * نظر الهجان الى الفتيق المصعب (٢)
 ويقال بل قلها في على بن الحسين اللعين الشنفرى ، وسمى اللعين لأن عمر
 سمعه ينشد شعراً والناس يصلون ، فقال من هذا اللعين ؟ فعلق به هذا الاسم ،
 وابتغاه من شاء ، فقد أحسن ماشاء ، وأجاد وزاد (٣)

هيبه اللقاء

وقال ذو الرمة في بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري
 من آل أبي موسى ترى الناس حوله * كأنهم الكروان عابزاً بازياً (٤)
 فما يعرفون الضحك الاتسماً * ولا ينبسون القول الاتناجيا (٥)
 وما الفحش منه يرهبون ولا الخنا * عليه ولكن هيبه هي ماهيا
 قى السن كهل الحيا يسمع قوله * يوازن أدناه الجبال الرواسيا
 ومن أجود ما للمحدثين في ذلك قول أبي عبادة البحرى في الفتح بن خاقان
 ولما حضرنا سدة الإذن أخرت * رجال عن الباب الذى أنا داخله
 فأفضيت من قرب الى ذى مهابة * أقابل بدر التم حين أقبله
 بدالى محمود السجية شمرت * سرايله عنه وطالت حمائله (٦)
 كما انتصب الرمح الردينى ثقت * أنا يبيه واهتز للطعن عامله (٧)
 وكالبدر وافته النم سعوده * وتم سناه واستهلت منازلها

(١) الربوب : الغباء والمراد بها النساء (٢) المصعب : الجمل الذى لم يركب ،
 والفتيق السمين ، والهجان الابل البيض (٣) يريد أن الشعر جيد بغض
 النظر عن ينسب اليه من الشعراء (٤) الكروان بكسر الكاف جمع الكروان
 بفتحها مع سكون الراء وهو طائر مفرد ، تجمد ما قاله عنه الشعراء في كتاب « مدافع
 العشاق » والبازي الصقر (٥) ينبسون : ينطقون (٦) السرايل : الثياب ،
 والحائل جمع حمالة بالكسر وهى علاقة السيف (٧) عامل الرمح : صدره

فَسَلَّمْتُ فَاعْتَاقَتْ جَنَانِي هَيْبَةً * تُكَارِعُنِي الْقَوْلَ الَّذِي أَنَا قَائِلُهُ
إِلَى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا * لَدَيْهِ لِأَضْحَى حَاتِمٌ وَهُوَ عَاذِلُهُ
فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ الطَّلَاقَ وَانْتَنَى * إِلَى بَيْتِ بَشَرٍ آتَسْتَنَى مَخَايِلُهُ
دَنَوْتُ فَقَبِلْتُ النَّدَى مِنْ يَدِ امْرِئٍ * جَمِيلٍ مَحْيَاهُ سَبَاطٌ أَنَامِلُهُ
صَفْتُ مِثْلَ مَا تَصِفُوا الْمَدَامُ خِلَالَهُ * وَرَقْتُ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهُ
وَوَقَعَتْ حَرْبٌ بِالْجَزِيرَةِ بَيْنَ بَنِي تَغْلِبٍ فَتَوَلَّى الْأَصْلَاحَ بَيْنَهُمُ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ،
فَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ فِيهَا تَعْلُقُ بَعْضُهُ بِذِكْرِ الْهَيْبَةِ

بَنِي تَغْلِبٍ أَعَزُّ عَلَى بَأْنٍ أَرَى * دِيَارَكُمْ أُمَسْتُ وَلَيْسَ لَهَا أَهْلٌ
خَلَّتْ دِمْنَةٌ مِنْ سَاكِنِيهَا وَأَوْحَشَتْ * مَرَايِعُ مِنْ سَنَجَارٍ يَمِي بِهَا الْوَبْلُ^(١)
إِذَا مَا اتَّقَوْا يَوْمَ الْهَيَاجِ تَحَاجَزُوا * وَالْمَوْتُ فِيمَا بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلٌ
كَفَنِي^(٢) مِنَ الْأَحْيَاءِ لَا فِي كَفَنِيَّةٍ * وَمِثْلُ^(٣) مِنَ الْأَقْوَامِ رَاجِعُهُ مِثْلُ^(٤)
إِذَا مَا أَخْجَرَّ الرِّمَاحَ انْتَهَى لَهُ * أَخٌ لَا بَلِيدٌ فِي الطَّعَانِ وَلَا وَغْلٌ^(٥)
نَحْوُ طُهُمِ الْبَيْضِ الرِّقَاقِ وَضُمُرُ^(٦) * عِتَاقٍ وَأَنْسَابٍ بِهَا يَدْرِكُ التَّبَلُ^(٧)
بَطْنٌ يَكْبُ الدَّارِعُونَ دِرَاكُهُ * وَضُرِبَ كَمَا تَرَعُو الْخَزْمَةَ الْبُزْلُ^(٨)
تَجَافَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اتِّي * عَلِمْتُ وَلِلْجَانِينِ فِي مِثْلِهَا الشُّكْلُ^(٩)
وَكَانَتْ يَدُ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ عِنْدَكُمْ * يَدُ الْغَيْثِ عِنْدَ الْأَرْضِ أَجْدِبُهَا الْمَحْلُ^(١٠)
وَلَوْلَاهُ طَلَّتْ بِالْعُقُوقِ دِمَاؤُكُمْ * فَلَا قَوْدٌ يُعْطَى الْأَذْلُ وَلَا عَقْلٌ^(١١)

(١) سَنَجَارُ : مَدِينَةٌ فِي نَوَاحِي الْجَزِيرَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَوْصِلِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، وَالْوَبْلُ
الْمَطَارُ الشَّدِيدُ ، وَيَهْمِي يَنْسَكِبُ (٢) كَفَنِي : نَظِيرُ (٣) الْوَعْلُ : الضَّعِيفُ
النَّذْلُ (٤) الْبَيْضُ الرِّقَاقُ : السِّبُوفُ الْمَرْهُفَةُ ، وَالضُّمُرُ الْعِتَاقُ : الْخِيُولُ الضَّامِرَةُ
الْكُرَيْمَةُ ، وَالتَّبَلُ : الثَّأْرُ (٥) الدَّارِعُونَ : لَا بَسْوَ الدَّرُوعِ ، وَدِرَاكُهُ : تَتَابَعُهُ ،
وَتَرَعُو : تَصِيحُ ، وَالْخَزْمَةُ : الَّتِي وَضَعُ فِي شَدْقِهَا الْخَزَامَ ، وَالْبُزْلُ جَمْعُ بَازِلٍ . وَهُوَ الْبَعِيرُ
يَبْلُغُ تِسْعَ سَنِينَ (٦) الشُّكْلُ : الْفَقْدُ (٧) الْمَحْلُ : الْجَدْبُ (٨) طَلَّتْ : هَدَرَتْ ،
وَالْعَقْلُ : الدِّيَّةُ

تَلَا فَيَتَّ يَفْتَحُ الْأَرْقَمَ بَعْدَ مَا * سَقَاهُمْ بِأَوْحَى سَمِّهِ الْأَرْقَمَ الصَّلُّ (١)
وَهَبْتَ لَهُمْ بِالسَّلَامِ بَقِيَ نَفْسُهُمْ * وَقَدْ أَشْرَفُوا أَنْ يَسْتَمْتَهُمُ الْقَتْلُ
أَنَّكَ وَفُودُ الشُّكْرِ يَثْنُونَ بِالَّذِي * تَقَدَّمُ مِنْ نِعْمِكَ عِنْدَهُمْ قَبْلُ (٢)
فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرُ سُوءِ دَدَا * مِنَ الْيَوْمِ ضَمَّتَهُمْ إِلَى بَابِكَ السَّبِيلُ (٣)
تَرَأَوْكَ مِنْ أَقْصَى السَّمَاءِ فَقَصَّروا * خُطَاهُمْ وَقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وَهُمْ عَجَلُ (٤)
وَلَمَّا قَضَوْا صَدْرَ السَّلَامِ تَهَافَتُوا * عَلَى يَدِ بَسَامٍ سَجِيَّتُهُ الْبَذْلُ
إِذَا شَرَعُوا فِي خُطْبَةٍ قَطَعْتَهُمْ * جَلَالَةَ طَلْقِ الْوَجْهِ جَانِبَهُ سَهْلُ (٥)
إِذَا نَكَسُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ * وَمَالُوا بِلَحْظٍ خِلَتْ أَنْهُمْ قَبْلُ (٦)
نَصَبْتَ لَهُمْ طَرَفًا حَدِيدًا ، وَمَنْطَقًا * سَدِيدًا ، وَرَأْيَا مِثْلَ مَا تَنْتَضِي النِّصْلُ (٧)
وَسَلْتَ سَخِيَّاتِ الصَّدُورِ فَمَا لَكَ إِلَّا * كَرِيمٌ وَأَبْرَأُ غِلْمًا قَوْلِكَ الْفَصْلُ (٨)
بِكَ التَّأَمُّ الشَّعْبُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ * عَلَى حِينٍ بَعْدٍ مِنْهُ وَاجْتَمَعَ الشُّمْلُ (٩)
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى تَعَاظَتْ أَوْ كَفُّهُمْ * قِرَاكَ فَلَا ضِغْنَ لَدَيْهِمْ وَلَا دَخْلُ (١٠)
وَجَرُّوْا ذِيُولَ الْعُصْبِ تَضْفُو ذِيُولَهَا * عَطَاءُ كَرِيمٍ مَا تَكْأَدُهُ بَخْلُ
وَمَا عَمَّهُمْ عَمْرُو بْنُ غَنَمٍ بِنَسْبَةٍ * كَمَا عَمَّهُمْ بِالْأَمْسِ نَائِلُكَ الْجَزْلُ
فَهَمَّا رَأَوْا مِنْ غَبِطَةٍ فِي اصْطِلَاحِهِمْ * فَذَكَ بِهَا النِّعْمَى جَرَتْ وَلَكَ الْفَضْلُ
عَمْرُو بْنُ غَنَمٍ بْنُ تَغْلِبَ بْنِ وَائِلَ بْنِ قَاسِطٍ

- (١) أَوْحَى: أَسْرَعَ ، وَالسَّمُّ الْوَحْيُ السَّرِيعُ وَالْأَرْقَمُ الصَّلُ : الْحَيَّةُ الَّتِي لَا تَنْفَعُ فِيهَا الرِّقُّ (٢) السَّبِيلُ : جَمْعُ سَبِيلٍ وَهُوَ الطَّرِيقُ وَالْمُرَادُ بِهِ الْحَاجَةُ (٣) عَجَلُ : جَمْعُ عَاجِلٍ وَهُوَ الْمُسْرَعُ (٤) طَلْقُ الْوَجْهِ : وَافِرُ الْبَشَرِ (٥) قَبْلُ : جَمْعُ أَقْبَلُ ، وَهُوَ الَّذِي يَنْظُرُ بِأَنْحَرَاكَ كَأَنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى أَنْفِهِ (٦) النِّصْلُ : السِّيفُ
(٧) السَّخِيَّاتُ : جَمْعُ سَخِيْمَةٍ وَهِيَ الْحَقْدُ (٨) التَّأَمُّ الشَّعْبُ : اجْتَمَعَ
(٩) الْقَرْبَى بِكَسْرِ الْقَافِ مَا يَتَنَاوَلُهُ الضَّيْفَانُ ، وَالِدَخْلُ الْفُلُ (١٠) تَكْأَدُهُ: مِنْهُ

عاقبة الحرب

وللطائيين في ذلك أشعار كثيرة مختارة ، منها قول البحترى يحذر عاقبة الحرب

- أما لربيعة الفرس انتهاء * عن الزلزال فيها والحروب^(١)
 وكانوا وقعوا أيام سلم * على تلك الضغائن والندوب^(٢)
 إذا ما الجرح رُمَّ على فساد * تبين فيه تفريط الطيب
 رزية هالك جلبت رزايا * وخطبات يكشف عن خطوب
 يشق الجيب ثم يحى أمره * يصغر فيه تشقيق الجيوب
 وقبر عن أيام برقعيد * إذا هي فاخرت أفق الجنوب^(٣)
 تسح ترابه أبداً عليها * عهاداً من مرق دم صيب
 فهل لا بنى عدى من رشيد * يرد شريد يحملها الغريب
 أخاف عليهما إمرار مرعى * من الكلال الذي عقباه توبى^(٤)
 وأعلم أن حربهما خبال * على الداعى إليها والمجيب
 لعل أبا المعمر يتليها * بعد الهم والصدر الرحيب^(٥)
 فكم من سودد قذبات يعطى * عطية مكث فيها مطيب
 أهينهم يا ابن عبد الله دعوى * مشير بالنصيحة أو مهيب^(٦)
 تناس ذنوب قومك إن حفظ الذ * نوب إذا قد من من الذنوب^(٧)
 فلا سهم السديد أحب غباً * إلى الرامى من السهم المصيب^(٨)
 متى أحرزت نصر بنى عبيد * إلى اخلاص ود بنى حبيب

- (١) ربيعة الفرس : أبو قبيلة وهو ابن نزار بن معد بن عدنان (٢) الندوب
 جمع ندب وهو الجرح (٣) برقعيد : بلدة بالموصل (٤) توبى : تهلك
 (٥) يتليها : يتبعها (٦) مهيب : داعى (٧) في هذا البيت حكمة بالغة
 (٨) غباً : عاقبة

فقد أصبحت أغلب تغلبى * على أيدي العشرة والقلوب
يناسب قوله * اذا ما الجرح رم على فساد * قول أبي الطيب المتنبي لعل
ابن ابراهيم التنوخي أحد بني القصيص
فلا تفرُّك السنة موال * تقلِّهن أفئدة أعادى
وكن كالموت لا يرئى لباك * بكى منه ويروى وهو صادى
فان الجرح ينفر بعد حين * اذا كان البناء على فساد^(١)
وفي هذه القصيدة

كأنَّ الهام في الهيجا عيون * وقد طُبعت سيوفك من رقاد
وقد صُغت الأسننة من هموم * فما يخطرُن الا في فؤاد
كأن البيت الأول من هذين ينظر الى قول مسلم بن الوليد من طرف خفي
ولو أن قوماً يخلقون منية * من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قومٌ إذا احمرَّ المهجير من الوغى * جملوا الجاهم للسيوف مقيلا^(٢)
وانما أخذه من قول منصور النميري وذكر سيفاً

ذَكَرَ بروقه الدماء كأنما * يعلو الرجال بأرجوانٍ فاقع^(٣)
وترى مساقطَ شَفَرَتَيْهِ كأنها * مِلْحٌ تَبَدَّدَ من وراء الدارع
وتراه مُعْتَمًا إذا جَرَّدَتْهُ * بدم الرجال على الأديم الفاقع^(٤)
وكان وقعتهُ بجمجمة الفقى * خَدَرُ المدامة أو نَعاسِ الهاجع^(٥)
أردت هذا البيت ، وقول النميري (وتراه معتما إذا جرته) يشير إليه قول أبي الطيب
وذكر سيفاً

(١) ينفر : يجيش بالدم (٢) احمرار المهجير ، وهو وقت الظهر ، كناية عن
سيل الدماء فيه (٣) سيف ذكر من الذكرة بضم الذال وهي الحدة — فاقع :
شديد الصفرة (٤) معتم : جمد الدم عليه حتى صار له كالعمامة (٥) يصف إمالة
السيف للرءوس وبشبه فعله بفعل المدام والنعاس

يبس النجيعُ عليه فهو مجرَّدٌ * من غمدهِ وكنما هو مُغمَدٌ^(١)

رَيَّانُ لو قَذَفَ الذي أسقيتهُ * لجرى من المهجات بحر مُزبدٍ^(٢)

وبنو عبيد وبنو حبيب اللذان ذكرهما البحترى هم بنو عبيد بن الحارث
ابن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وحبيب بن الهجرس بن تيم بن
سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب وفيهم حبيب بن
حرقة بن تغلب بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم فلا أدري أيهما أراد

قتال الاقارب

وقال البحترى

أسيت لأخوالى ربيعة أن عفت * مصانعا منها وأقوت ربوعها^(٣)

بكرهى أن باتت خلاء ديارها * ووحشاً مغانيها وشئى جميعها

إذا افرقوا من وقعة جمعهم * دماء لأخرى ما يطل نجيعها^(٤)

تدم الفتاة الرود شيمة بعلمها * إذا بات دون الثأر وهو ضجيعها^(٥)

حمية شعب جاهلي وعزة * كلاية أعيال الرجال خضوعها

وفرسان هيجاء نجيش صدورهم * بأحقادها حتى تضيق دروعها

تتل من ونر أعز نفوسها * عليها بأيدٍ ماتكاد تطيعها^(٦)

إذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

شواجر أرماع تقطع بينها * شواجر أرحامٍ ملوم قطوعها^(٧)

فكنت أمين الله مولى حياتها * ومولاك فتح يوم ذاك شفيعها

(١) النجيع : الدم المتجمد (٢) مزبد : يجرى بالزبد (٣) أسيت : حزنات —

أقوت : خلت (٤) يطل : يهدر (٥) الرود : الجميلة الوافرة الحياء

(٦) الوتر : الثأر (٧) الشواجر : القواطع ، أو الرابط ، فهي من أسماء الأضداد

وقال أبو تمام الطائي

- مهلاً بني مالك لا تجلبنَّ الى * حي الأراقم ذو لول ابنة الرقم^(١)
 لم يالكُم مالكٌ صفحا ومغفرة * لو كان ينفخ قَيْنُ الحَيِّ في فخم^(٢)
 أخرجتموه بكرهٍ من سجيته * والنارق قد تَنَتَضَى من ناضر السلم^(٣)
 أوطأنوه على جمر العقوق ولو * لم يُخرج الليث لم يُخرج من الأجم^(٤)
 لولا مناشدة القربى لغادركم * حصائد المرهقين السيف والقلم
 لا تجعلوا البنى ظهوراً انه جملٌ * من القطيعة يرعى وادى النقم

وقال أيضاً

- مهلاً بني عمرو بن نغم انكم * هدف الأسنّة والفنات تحطم^(٥)
 مامنكم الامردي بالحجي * أو مبشرٌ بالأحوزية مؤدم^(٦)
 عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سهمكم لا يسهم^(٧)
 خلقت ربعة من لدن خلقت يداً * جشم بن بكر كفها والمعصم^(٨)
 تغزو فتغلب تغلب مثل اسمها * وتسيح غنم في البلاد فتغنم
 وستدكرون غداً صنائع مالك * ان جلّ خطب أو تدو فع مغرم^(٩)
 مالى رأيت ثراكُم ببسالة * مالى أرى أطوادكم تهديم^(١٠)
 ماهذه القربى التى لا تُصطفى * ماهذه الرحم التى لا تُرحم

- (١) الأراقم : حى من تغلب ، وابنة الرقم : الحية ، والدؤلؤل السم ، يريد
 لا تقدموا السم بأنفسكم الى حى الأراقم ليقتلوكم به (٢) القين : الحداد
 (٣) تنفضى : تستخرج ، والسلم اسم شجر (٤) الأجم : مأوى الأسد
 (٥) الهدف : الغرض (٦) مردى بالحجا : يتخذ رداء ، والأحوزية
 الخفة والنشاط ، ومبشر بها ومؤدم : اتخذ منها بشرته وأدمه ، والأدم الجلد
 (٧) لا يسهم : لا يغلب (٨) من لدن : من منذ (٩) الصنائع : جمع صنيع
 وهو المعروف (١٠) من معانى البسالة الهلاك ، ورأيت ثراكُم ببسالة أى
 فى بسالة

حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قَرْحَةٌ * أُعِيتَ عَوَائِدُهَا وَجَرَحَ أَقْدَمُ^(١)
 تَلَكُمُ قَرِيشٌ لَمْ تَكُنْ أَبَاؤُهَا * تَهْفُو وَلَا أَحْلَامُهَا تَنْقَسِمُ^(٢)
 حَتَّى إِذَا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ * فِيهِمْ غَدَتِ شَحْنَاؤُهُمْ تَنْضَرُمُ^(٣)
 عَزَبَتْ عَقُولُهُمْ وَمَا مِنْ مَعْشَرٍ * إِلَّا وَهُمْ مِنْهُمْ أَلْبٌ وَأَحْزَمُ^(٤)
 لَمَّا أَقَامَ الْوَحْيُ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ * وَرَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ أَحَدَ مِنْهُمْ
 وَمِنَ الْحَزَامَةِ لَوْ تَكُونُ حَزَامَةٌ * أَنْ لَا تُؤَخَّرَ مِنْ بِهِ تَتَقَدَّمُ^(٥)

ومالك هو ابن طوق بن مالك بن عتاب بن زفر بن مرة بن شريح بن عبد الله
 ابن عمرو بن كلثوم بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم
 ابن تغلب وفيه يقول دعبل يهجو

الناس كلهم يغدو لحاجته * من بين ذى فرح فيها ومهموم
 ومالكٌ ظل مشغولا بنسبته * يرم منها بناء غير مرموم^(٦)
 والتكثير من المعنى المعترض يزيج عن ثغرة الغرض^(٧) لكنى أجرى منه الى
 غاية الإجادة ، وأقصد قصد الإفادة ، ثم أعود حيث أريد
 وقال ابن الخطاط المكي واسمه عبد الله بن سالم في باب الهيبة في مالك بن أنس
 الفقيه رحمة الله عليه وقيل إن هذا من قول ابن المبارك

يَأْبِي الْجَوَابِ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً * وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسَ الْأَذْقَانِ^(٨)
 أدب الوقار وعز سلطان التقى * فهو المهيب وليس ذا سلطان

(١) يريد من العوائد النكسات التي تعود بها القروح (٢) لا تنقسم أحلامها :
 لا تنفرك آراؤها (٣) الشحنة : البغضاء (٤) عزبت : غابت — ألب : أعقل
 (٥) الحزامة : الحزم (٦) يرم : يصلح (٧) الثغرة : الطريق (٨) نواكس
 الأذقان : مطرقون الى الأرض خشوعا

شعر أبي تمام

وقول الفرزدق * يكاد يمسكه عرفان راحته * قد نجاذبه جماعة من الشعراء

قال أشجع بن عمر السلمي لجعفر البرمكي

حبذا أنت قادمًا ترد الشا * مفتختال بين أرحل غيرك

ان أرضاً تسرى إليها لواسطا * عت لسارت إليك من قبل سيرك

واليه أشار أبو تمام الطائي في قوله

ديمة سمحة القيادر سكوب * مستغيث بها الثرى المكروب

لو سمعت بقعة لأعظام نعى * لسمى نحوها المكان الجديد

وفي هذه القصيدة في وصف الديمة ومدح محمد بن عبد الملك الزيات

لقد شؤبوبها وطاب فلو تسطيع * مع قامت فعاقتها القلوب^(١)

فهو مالا يجرى ومالا يليه * وعزال تنشا وأخرى تصوب^(٢)

أيها الغيث حتى أهلاً بمغدا * لك عند السرى وحين تؤوب^(٣)

لأبي جعفر خلّاق نحكي * هنّ قد يشبه النجيب النجيب

وأنشدها أبا جعفر بن الزيات فقال : يا أبا تمام والله انك لتحلّي شعرك من

جواهر لفظك ، وبدائع معانيك ، ما يزيد حسناً على بهيّ الجواهر ، في أجياد

الكواعب ، وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة ، إلا يقصر عن شعرك

في الموازنة . وكان بحضرته رجل من الفلاسفة فقال : هذا القتي يموت شاباً ! فقيل

له من أين حكمت عليه بهذا ؟ فقال : رأيت فيه من الجدة ، والذكاء ، والفظنة ، مع

لطافة الحس ، ما علمت به أن النفس الروحانية ، كل عمره ، كما يأكل السيف

المهند غمده ! قال الصولي مات وقد نيف على الثلاثين

وقال في أبي دلف المعجلي القاسم بن عيسى

(١) الشؤبوب : الدفمة من المطر (٢) عزال : جمع عزلاء وهي مصب الماء ،

والمراد بها السحابة — تصوب : تنسكب (٣) تؤب : ترجع

تسكاد عطاياه يُجَنّ جنونها * اذا لم يعوّذها بنعمة طالب
تسكاد مغانيه نهشُ عراسها * فتركب من شوقٍ الى كل راكب^(١)
وقال البحتري

لو أن مشتاقاً تكلف فوق ما * في وسعه لمشي اليك المنبرُ
وقال أبو الطيب المتنبي لبدر بن عمار

طربتُ مراكبنا نفلنا أنها * لولا حياءُ عاقها رقصت بنا
لو تعقل الشجر التي قابلتها * مدّت محبّةً اليك الأغصنا

شئ من الحكمة

رجع ما انقطع * قال أعرابي لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه
هل رأيت الله حين عبده ؟ فقال : لم أكن لأعبد من لم أره . قال : فكيف رأيته ؟
قال : لم تره إلا بأبصار بمشاهدة العيان ، ورأته القلوب بحقائق الإيمان ، لا يدرك
بالحواس ، ولا يُشبهه بالناس ، معروف بالآيات ، منعوت بالعلامات ، لا يجور
في القضايا ، ذلك الله الذي لا إله إلا هو . فقال الأعرابي : الله أعلم حيث يجعل
رسالته . قال الجاحظ قال محمد بن علي : صلاح شأن الدنيا بمخادفها في كلمتين
لأن صلاح شأن جميع الناس التعاشر وهو ملء مكبال : ثلثاه فطنة وثلثاه تغافل .
قال الجاحظ : لم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير ، ولا حظاً من الصلاح ، لأن
الإنسان لا يتغافل عن شيء إلا وقد عرفه وفطن له . قال الطائي :

ليس الغبيّ بسيدٍ في قومه * لكنّ سيد قومه المتغابي

وقال ابن الرومي لأبي محمد بن وهب بن عبيد الله بن سليمان :

تظلّ اذا نامت عيون ذوى العمى * وان حددوا زرقاً اليك جواحظاً^(٢)

تغاضى لهم وسان بل متواسنا * وتوقظهم يقظان بل متياقظاً^(٣)

(١) العراض : جمع عرصة وهي ساحة الدار (٢) جواحظ : جمع جاحظة
وهي النائمة الحديقة (٣) متواسن : متناوم وليس بنائم ، ومتياقظ متظاهر باليقظة

زيد بن علي

وكان أخوه زيد بن علي رضي الله عنه دينًا شجاعًا ناسكًا من أحسن بني هاشم
عبارة ، واجملهم إشارة

وكانت ملوك بني أمية تكتب الى صاحب العراق أن امنع أهل الكوفة
من حضور زيد بن علي ، فان له لسانا أقطع من ظبة السيف ، وأحد من شبا
الأسنة ^(١) وأبلغ من السحر والكهانة ^(٢) ومن كل نفث في عقدة ، وقيل لزيد
ابن علي : الصمت خير أم الكلام ؟ فقال : قبح الله المساكتة ، ما أفسدها للبيان
وأجلبها للعبي والخصر ^(٣) والله للماراة أسرع في هدم العبي من النار في يبيس
العرفج ، ومن السيل الى الحدور ^(٤) وقال له هشام بن عبد المالك : بلغني أنك تروم
الخلافه ، وأنت لا تصلح لها لأنك ابن أمة ، قال زيد : فقد كان اسماعيل بن ابراهيم
عليهما السلام ابن أمة ، وإسحاق بن حرة ، فأخرج الله من صلب اسماعيل خير
ولد آدم ، فقال له قم ، فقال : إذا والله لا تراني الا حيث تكروه ، فلما خرج من الدار قل
ما أحب أحد الحياة قط الا ذل . فقال له سالم مولى هشام : لا يسمعن هذا الكلام
منك أحد ، وكان زيد كثيرًا ما ينشد :

شرّده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حرا الجلاذ ^(٥)

منخرق الخفين يشكو الوجي * تسكبه أطراف مرّ وحيداد ^(٦)

قد كان في الموت له راحة * والموت حتم في رقاب العباد

وقد رويت هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ، وقد
رويت لأخيه موسى . قال عبد الرحمن بن يحيى بن سعيد حدثني رجل من بني هاشم

(١) ظبة السيف : طرفه ، وكذلك شبا السنان (٢) الكهانة : نوع من فتنة
الناس باسم البحث عن الغيب (٣) الخصر : عسر الكلام (٤) الحدور : المنحدرات
يجرى إليها الماء (٥) الجلاذ : الحرب (٦) المرو : الحكمة الطود ، والحداد
جمع حديد

قال كنا عند محمد بن علي بن الحسين وأخوه زيد جالس فدخل رجل من أهل الكوفة فقال له محمد بن علي : إنك لتروى طرائف من نوادر الشعر ، فكيف قال إلا نصارى لأخيه ؟ فأنشده

لعمرك ما إن أبو مالك * بوانٍ ولا بضعيفٍ قواه
ولا بالذَّ له نازع * يعادى أخاه إذا ما نهاه
ولكنه غير مخالفة * كريم الطباع حلو ثناه
وان سُدته سدت مطواعة * ومهما وكلت إليه كفاه

فوضع محمد يده على كتف زيد فقال : هذه صفتك يا أخي ، وأعيدك بالله أن تكون قنيل أهل العراق !

الحرص على الادب

وكانت بين جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي وبين زيد رضوان الله عليهم منازعة في وصية فكانا إذا تنازعا انثال الناس عليهما ليسمعوا محاورتهما ، فكان الرجل يحفظ على صاحبه اللفظة من كلام جعفر ويحفظ الآخر اللفظة من كلام زيد . فاذا انفصلا وتفرق الناس عنهما قال هذا لصاحبه قال في موضع كذا وكذا وقال الآخر قال في موضع كذا وكذا فيكتبون ما قال ثم يتعلمونه كما يتعلم الواجب من الفرض ، والنادر من الشعر ، والسائر من المثل ، وكانا أعجوبة دهرهما وأحدوثة عصرهما . ولما قتله يوسف بن عمرو صلب جثته بالكناسة وبعث برأسه مع شبة بن عقال ، وكاف آل أبي طالب البراءة من زيد ، وقام خطباؤهم بذلك فكان أول من قام عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رحمة الله عليه فأوجز في كلامه ثم جلس ، وقام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فأطنب ، وكان شاعراً خطيباً لساناً ناسباً ، فأنصرف الناس وهم يقولون : ابن الطيار من أخطب الناس ، فقيل لعبد الله بن الحسن في ذلك فقال : لو شئت أن أقول لقلت ، ولكن لم يكن مقام سرور ، وإنما كان مقام مصيبة

عبد الله بن الحسن

وعبد الله هذا هو أبو محمد وإبراهيم الخارجين على أبي جعفر المنصور وهو القائل لابنه محمد أو إبراهيم : أى بنى ! انى مؤدٍ حق الله فى تأديبك ، فأد الى حق الله فى الاستماع منى ، أى بنى ! كُفَّ الأذى ، وارفُض البذى ^(١) واستعن على الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك الى الكلام ، فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب ، واحذر مشورة الجاهل ، وان كان ناصحاً ، كما تحذر مشورة العاقل ، اذا كان غاشاً ، لانه يُرديك بمشورته ، واعلم يا بنى أن رأيك اذا احتجب اليه ، وجدته ناعماً ، ووجدت هواك يقظان ، فإياك أن تستبد برأيك ، فانه حينئذ هواك ، ولا تفعل فعلاً إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا تُرديك ، وأن نتيجته لا تُنجي عليك . وهو القائل : إياك ومعاداة الرجال فانك لن تعدم مكر حلیم ، أو معاداة لئيم . وكتب الى صديق له : أوصيك بتقوى الله تعالى فان الله تعالى جعل لمن اتقاه المخرج من حيث يكره ، والرزق من حيث لا يحتسب ، وعبد الله هو القائل

أُنْسُ حُرَّائِرُ مَا هَمَّ مِنْ بَرِيَّةٍ * كَطَبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامٌ ^(٢)

يُحَسِّنُ مَنْ لَيْنِ الْحَدِيثِ زَوَانِيًا * وَيَصْدَهُنَّ عَنْ الْخُلَا الْإِسْلَامُ ^(٣)

قال وهذا كما روى أن عبد الملك بن مروان استقبل عمر بن عبد الله بن أبي

ربيعة الخزومي فقال له : قد علمت قريش أنك أطولها صبوة ، وأبعدها توبة ، وبحك

أمالك فى نساء قريش ما يكفيك من نساء بنى عبد مناف ؟ أأست القائل

نظرت اليها بالمحصب من منى * ولى نظراً لولا التحرج عازم ^(٤)

فقلت أصبح أم مصابيح راهب * بدت لك خلف السجف أم أنت حالم ^(٥)

(١) البذا : مقصور البذاء وهو فحش القول (٢) أنس : آنسأت

(٣) الخنا : الفحش (٤) عازم : طامع (٥) السجف : الستر

بعيدة مهوى القرط إماً لتوفلي * أبوها وإماً عبد شمس وهاشم^(١)
فقال يا أمير المؤمنين فإن بعد هذا

طلبن الهوى حتى إذا ما وجدته * صدرن وهن المسلمات الكرام^(٢)
فاستحيا منه عبد الملك وقضى حوائجه ووصله^(٣) وقال آخر في هذا المعنى

تعطلن إلا من محاسن أوجه * فهن حوال في الصفات عواطل^(٤)

كواس عوار صامتات نواطق * بعف الكلام باخلات بواذل^(٥)

برزن عفاً واحتجبين تستراً * وشيب بحق القول منهن باطل^(٦)

فدو الحلم مرتاد وذو الجهل طامع * وهن عن الفحشاء حيد نواكل^(٧)

وقال العدیل بن الفرخ فيما يتطرف طرفاً من هذا المعنى

لعب النعيم بهن في أطلاله * حتى لبسن زمان عيش غافل^(٨)

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى * فاذا عطلن فهن غير عواطل

وإذا خبان خدودهن أرينى * حدق المها وأخذن نبأ القاتل^(٩)

برميننا لا يستترن بحجة * إلا الصبا وعلمن أين مقاتلي^(١٠)

يلبسن أردية الشباب لأهلها * ويحجرون باطمان ذيل الباطل

وتعرض لعبد الله بن الحسن رجل بما يكره فقال فيما أنشده ثعلب

أظنت سفاها من سفاهة رأيها * أن اهجوها لما هجتني محارب^(١١)

فلا وأبها انى بعشيرتى * ونفسي عن ذاك المقام لراغب^(١٢)

(١) القرط : حلى يعلق في الأذن وبعد مهوى القرط كناية عن طول العنق

(٢) صدرن : رجعن (٣) انظر كتاب « حب ابن أبي ربيعة وشعره » —

(٤) حوال : جمع حالية ، والعواطل جمع عاطل ، وهى التى تعطلت من الحلى

(٥) كواس : جمع كاسية ، والعف العفيف (٦) شيب : مزج (٧) حيد :

جمع حيداء وهى التى تحيد عن مواطن التهم ، النواكل جمع ناكلة وهى النافرة من

الفحش (٨) انظر (ربائب النعيم) فى كتاب « أفنان الجمال » —

(٩) المها : واحدها مهاة وهى الظبية (١٠) الجنة : ما يتقى به المرء السهام

(١١) محارب : اسم قبيلة (١٢) رغبت عن الشيء : زهدت فيه

وأُشيد هذين البيتين أبو العباس المبرّد لرجل لم يسمه في رجل يعرف
بابن البعير وقبلهما

يقولون أبناء البعير وما لهم * سنامٌ ولا في ذروة المجد غارب^(١)
وساير عبد الله بن الحسن أبا العباس السفاح بظهر مدينة الأنبار وهو ينظر
إلى بناء قد بناه أبو العباس ويدور به، فأشيد عبد الله

ألم تر جوشنا لما تبنّى * بناءً نفعه لبني بَقِيْلِهِ
يؤمّل أن يعمر عمر نوح * وأمر الله يحدث كلّ ليلة
وكان أبو العباس له مكرماً، ولحقه معظماً، فنبسم مغضباً وقال: لو علمنا لا شترطنا
حق المسيرة! فقال عبد الله: بوادر الخواطر، وأغفال المسامح، والله ما قلتمها عن
روية، ولا غرضني فيها ذكر، وأنت أجلّ من أقال، وأولى من صفح، قال
صدقت خذ في غير هذا، ولما قتل المنصور ابنه محمداً وكان عبد الله في السجن
بعث رأسه إليه مع الربيع حاجبه فوضع بين يديه فقال: رحمك الله أبا القاسم فقد
كنت من الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، والذين يصلون ما أمر
الله به أن يوصل، ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب! ثم تمثّل

قبيّ كان بحميه عن الذل سيفه * ويكفيه سوائت الأمور اجتنابها
ثم التفت إلى الربيع فقال له: قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا مدة، ومن
نعيمك مثلها، والموعود الله تعالى! قال الربيع فما رأيت المنصور قط أكثر انكساراً
منه حين أبلغته الرسالة * أخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى وقيل عمارة بن
عقيل بن بلال بن جرير فقال

فإن تلحظي حالي وحالك مرة * بنظرة عين عن هوى النفس تُحجبُ
ترى كل يوم مرّ من بؤس عيشي * يمرّ بيوم من نعيمك يُحسبُ
ولما قتل المنصور محمد بن عبد الله اعترضته امرأة معها صبيان فقالت يا أمير

المؤمنين أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناه ، أيتمهما سيفك ، وأضرعهما خوفك ^(١) فنادتك الله يا أمير المؤمنين أن تصغر لهما خدك ، أو ينأى عنهما ردفك ^(٢) ، ولتعطفك عليهما شوابك النسب ، وأواصر الرحيم ^(٣) ، فالتفت إلى الربيع ، فقال : اردد عليهما ضياع أبيهما ، ثم قال : كذا والله أحب أن تكون نساء بني هاشم . وكان أهل المدينة لما ظهر محمد أجمعوا على حرب المنصور ، ونصر محمد فلما ظهر المنصور أحضر جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق ، فقال له : قد رأيت إطباق أهل المدينة على حربي ، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يغور عيونهم ويجمّر نخلهم ^(٤) فقال له جعفر يا أمير المؤمنين ؛ إن سليمان أعطى فشكر ، وإن أيوب ابتلى فصبر ، وإن يوسف قدر فغفر ، فاقتد بأبيهم شئت ، وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون ، فقال أبو جعفر : ان أحداً لا يعلمنا الحلم ، ولا يعرفنا العلم ، وإنما قلت هممت ، ولم ترني فعلت ، وإنك لتعلم أن قدرتي عليهم ، تمنعني من الاساءة اليهم . وعزى جعفر بن محمد رجلا فقال : أعظم بنعمة في مصيبة جلبت أجرا ، وأفزع بمصيبة في نعمة أكسبت كفرا . هذا كقول الطائي

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت * ويتلى الله بعض القوم بالنعيم

وكان جعفر بن محمد يقول : إني لأملق أحيانا فأتاجر الله بالصدقة فيربحني . وقال جعفر رضى الله عنه من تخلق بالتخلق الجميل وله خلق سوء أصيل ، فتخلقه لاحالة زائل ، وهو إلى خلقه الأول آيل ، كطلى الذهب على النحاس ينسحق وتظهر صفوته للناس . وهذا كقول العرجي

يا أيها المتحلى غير شيمته * ومن خلأته الإقصار والملق ^(٥)

ارجع إلى خلقك المعروف وأرض به * ان التخلق يأتى دونه الخلق ^(٦)

(١) أضرعه : أذله (٢) الردف : المطاء (٣) الشوابك والأواصر هي الروابط (٤) جمر النخلة تجميرا قطع جمارها (٥) المراد من الاقصار القصور والضعف ، والملق اظهار الود ذلة وخضوعا (٦) التخلق : تكلف المرء ما ليس فيه من حسن الخلق

وكان يقول : ما نوسل إلى أحد بوسيلة هي أقرب إلى من يد سبقت مني إليه ،
أنبعمها أختها لتحسن ربها وحفظها^(١) لأن منع الأواخر ، يقطع لسان الأوائل .
وقيل لجعفر رحمه الله : إن أبا جعفر المنصور لا يلبس مذ صارت إليه الخلافة الا
الخشن ، ولا يأكل إلا الجشب^(٢) فقال يابجه مع ما مكن له من السلطان وجي
اليه من الخراج ! قالوا انما يفعل ذلك بخلا وجمعاً للمال . فقال : الحمد لله الذي حرمه
من دنياه ما ترك له من دينه . انتهى . قال ومن دعاء جعفر رضى الله عنه : اللهم انك
بما أنت أهل له من العفو أولى بما أنا أهل له من العقوبة

عبد الله بن معاوية

وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر عالماً ، ناسباً ، وكان خطيباً
مفوهاً ، وشاعراً مجيداً ، كتب إلى بعض اخوانه : أما بعد فقد عاقني الشك
في أمرك ، عن عزيمة الرأي فيك ، وذلك انك ابتدأتني بلطف عن غير خبرة ، ثم
أعقبني جفاء عن غير جريرة ، فأطعمني أولئك في إخوانك ، وأياسني آخرك عن وفائك
فلا أنا في غير الرجاء مجمع لك اطراحاً ، ولا أنا في عدم انتظاره منك على ثقة
فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الشك في أمرك ، عن عزيمة الرأي فيك ، فاجتمعنا
على ائتلاف ، أو افترقنا على اختلاف ، والسلام . وهو القائل

رأيت فضيلاً كان شيئاً مملوعاً * فكشفه التمجيص حتى بداليا^(٣)
لما كنت أختي ما لم تكن لي حاجة * فان عرّضت أيقنت أن لا أخاليا
كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا
فلأزاد ما بيني وبينك بعدما * ما بلوتك في الحاجات الاتماديا
فعبين الرضى عن كل عيب كليله * كما أن عين السخط تبدى المساويا

(١) رب الشيء : أصلحه (٢) الجشب : هو الطعام القفار الذي لا ادم فيه

(٣) مملوع : مغطى ، وتقول : تلفع الشجر بالخضرة

والقائل أيضاً

لسنا وإن أحسابنا كُرِّمَتْ * يوماً على الأحساب تَسَكَّلُ
 نبني كما كانت أوائلنا * تبنى ونفعل مثل ما فعلوا
 وهذا كقول عامر بن الطفيل قال أبو الحسن علي بن سليمان الاخفش أنشدني
 محمد ابن الحسن بن الحرون لعمري بن الطفيل

تقول ابنة العمرى مالك بعدما * أراك صحيحاً كالسليم المَعْدَبِ (١)
 قُلت لها هَيَّ الذي تعرفينه * من الثار في حَيِّ زبيد وأرحب
 إن أغزُ زبيداً أغزُ قوماً أعزَّة * ومر كبهم في الحى من خير مَرَكَب
 وإن أغزحَيَّ خشم فدمائهم * شفاء وخير الثار للمتأوب (٢)
 فما أدرك الأوتار مثل محقق * بأجر دطاو كالعسيب المشدَّب (٣)
 وأسمر خطى وأبيض باتر * وزغف دِلاص كالغدير المَثُوب (٤)
 وائى وإن كنت ابن سيد عامر * وفى السَّرمِنها والصريح المَهْدَب
 فاسودَّتْني عامر عن ورائة * أبى الله أن أسمو بأَم ولاأب
 ولكننى أحمى حماها وأنتى * أذاها وأرمى من وراها بمنكب

وقال أيضاً بنى بعض الهاشميين بأملاك (٥) : زاد الله فى نعمته ، وبارك لكم فى فواضله
 وجميل نوافله ، ونسأل الله الذى قسم لكم ما تحبون من السرور ، أن يجنبكم ما تنكرهون
 من الخذور ، ويجعل ما أحدثه لك زينا ، ومتاعا حسنا ، ورشداً ثابتا ، ويجعل سبيل
 ما أصبحت عليه ، تماماً لصالح ماسموت اليه ، من اجتماع الشمل ، وحسن موافقة
 الأهل ، أَلَفَ الله ذلك بالصلاح ، وتممه بالنجاح ، ومدلك فى ثروة العدد ، وطيب
 (١) السليم : المدوغ (٢) المتأوب : الذى يطرق ليلاً (٣) الطاوى : الضامر ،
 والأجر د الحصان سقط شعره من الضمور ، والعسيب جريدة من النخل مستقيمة دقيقة
 يكشط خوصها ، والمشدب القلم (٤) الاسمر الخطى : هو الرمح ، والأبيض
 الباتر : السيف القاطع ، والزغف الدروع ، والدلاص اللينة اللساء ، والغدير المَثُوب
 النهر الممتلئ (٥) الاملاك : الزواج

الولد ، مع الزيادة في المال ، وحسن السلامة في الحال ، وقوة العين ، وصلاح ذات البين

الحسن بن زيد

وهجا أبو عاصم محمد بن حمزة الأسلمي المدني الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه فقال

له حقٌ وليس عليه حقٌ * ومهما قال فالحسن الجميلُ

وقد كان الرسول يرى حقوقاً * عليه لغيره وهو الرسولُ

فلما ولي الحسن المدينة أتاه متنكراً في زى الأعراب فقال

ستأني مدحني الحسن بن زيدٍ * وتشهد لي بصِفَتَي القبور^(١)

قبور لم تزل مذ غاب عنها * أبو حسن تعاديهما الدهور

قبور لو بأحمد أو عليٍّ * يلوذ مجيرها حي المجير

هما أبواك من وضعا فضمة * وأنت برفع من رفعا جديرُ

فقال من أنت؟ قال أنا الأسلمي قال: ادن حياك الله! وبسط له رداءه وأجلسه

عليه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . وكان الحسن بن زيد قد عود داود بن سلم

مولى بني تيم أن يصله ، فلما مدح داود جعفر بن سليمان بن علي وكان بينهما وبين

الحسن بن زيد تباعد أغضبه ذلك ، وقدم الحسن من حج أو عمرة فدخل عليه

داود بن سلم مهنثا فقال: أنت القائل في جعفر بن سليمان بن علي

وكنا حديثاً قبل تأمير جعفرٍ * وكان المنى في جعفر أن يؤمراً^(٢)

حوى المنبرين الطاهرين كليهما * إذا ما خطا عن منبر أم منبرا^(٣)

كأن بني حواء صفوا أمامه * فخبر في انسابهم فتخيرا

فقال داود: نعم جعلني الله فداك، فكنتم خيرة اختياره! وأنا القائل

(١) صفين : موضع واقعه مشهورة (٢) يؤمر : يولى الامارة (٣) أم : قصد

لعمري لئن عاقبت أوجدت منعاً * بعفو عن الجاني وإن كان معذراً^(١)
لأنت بما قدمت أولى بمدحه * وأكرم نفرا إن نفرت وعُصرا
هو الغرة الزهراء من فرع هاشم * ويدعو علياً ذا المعالي وجعفر^(٢)
وزيد الندى والسبط سبط محمد * وعثك بالالطف الزكي المطهرا
وما نال منها جعفر غير مجلس * إذا ما نفاه العزل عنه تأخرا^(٣)
بحقكم نالوا ذراها وأصبحوا * يرون به عزا عليكم ومظهرا
فعاد له الحسن بن زيد إلى ما كان عليه ولم يزل يصله ويحسن إليه إلى أن مات
قوله (وإن كان معذراً) لأن جعفرأ أعطاه على أبياته ثلاثة ألف دينار

ابراهيم بن هرمة

ولما ولي الحسن بن زيد المدينة دخل عليه ابراهيم بن علي بن هرمة فقال له الحسن
يا ابراهيم: لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك ، أو خوف ذمك ، فقد رزقني الله
تعالى بولادة نبيه صلى الله عليه وسلم المادح ، وجنبني المقابح ، وإن من حقه على
أن لا أغضى على تقصير في حق وجب ، وأنا أقسم لئن أتيت بك سكران
لأضربنك حداً للخمر ، وحداً للسكر ، ولأزيدن لموضع حرمتك بي ، فليكن
تركك لها لله عز وجل نعن عليه ، ولا تدعها للناس فتوكل اليهم . فنهض ابن هرمة
وهو يقول

نهاني ابن الرسول عن المدام * وأدبني بآداب الكرام
وقال لي اصطبر عنها ودعها * لخوف الله لا خوف الأنام
وكيف نصبري عنها وحي * لها حُبٌ تمكُن في عظامي

(١) معذر : قدم العذر (٢) الغرة : البياض في الجبين ولها جمال خاص
(٣) العزل : الضعف

أرى طيف الخيال على خُبْنًا * وطيب العيش في خبث الحرام
 وكان إبراهيم منهوماً في الحر، وجلده خيثم بن عراك صاحب شرطة
 المدينة لرباح بن عبد الله الحارثي في ولاية أبي العباس، ولما وفد على أبي جعفر
 المنصور ومدحه، استحسن شعره ووصله، وقال له: سل حاجتك. قال: تكتب لي إلى
 عامل المدينة أن لا يحدني إذا أتني بسكران، فقال أبو جعفر: هذا حد من حدود
 الله تعالى لا يجوز أن أعطه. قال فاحتل لي يا أمير المؤمنين! فكتب إلى عامل
 المدينة «من أنك بآبن هرمة سكران فاجلده مائة، واجلده ابن هرمة ثمانين»
 فكان الشرط يمرون به مطروحاً في سكك المدينة فيقولون من يشتري
 مائة ثمانين!

موسى بن عبد الله

وقال موسى بن عبد الله بن علي بن أبي طالب

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما * تكررته منه طال عتبي على الدهر
 إلى الله كل الأمر في الخلق كلهم * وليس إلى الخلق شيء من الأمر
 تعودت مس الضر حتى ألفت * وأسلمني طول البلاء إلى الصبر
 ووسع صدرى الأذى أنس بالأذى * وإن كنت أحياناً بضيق به صدرى
 وصبرني يأسى من الناس راجياً * لسرعة لطف الله من حيث لا أدري
 وموسى بن عبد الله هو القائل

تولت بهجة الدنيا * فكل جديد لها خلق^(١)
 وخان الناس كلهم * فما أدري بمن أنق
 رأيت معالم الخير * تسدت دونها الطرق
 فلا حسب ولا نسب * ولا دين ولا خلق

فلمست مصدق الأقوا * مفي شيء وان صدقوا
وكان المنصور حبسه لخروجه عليه مع أخويه ثم ضربه ألف سوط فمات
بحرف واحد، فقال الربيع: عذرت هؤلاء الفساق في صبرهم، فما بال هذا الفتى الذي
نشأ في النعمة والدعة؟ فقال

اني من القوم الذين يزيدهم * جلدًا وصبراً قسوة السلطان
وولدت هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمة موسى ولها ستون سنة
ولا يعلم امرأة ولدت بنت ستين سنة الاقرشية

اجتاز على بن محمد العلوي بالجسر بحد ثمان قتل عمر بن يحيى بن عبد الله بن
الحسن^(١) وقاتله الحسين بن اسماعيل هناك قد جرد رجلا للقتل فلما رأت أم الرجل
عليها سألته أن يشفع فيه فقال على الى الحسين فأنشده

قتلت أبرم من ركب المطايا * وجئتك أستلينك بالكلام

وعزّ على أن ألقاك الا * وفيما بيننا حدّ الحسام

ولكنّ الجناح اذا أصيبت * قوادمه يرف على الأكام^(٢)

فقال له: وما حاجتك؟ قال العفو عن ابن هذه المرأة. فتركه

العباس بن الحسين

وسئل العباس بن الحسين عن رجل فقال لجليسه أطرب من الإبل على الحذاء،
ومن الثمل على الغناء. وذكر العباس رجلاً فقال: ما الحمام على الأحرار، وطول
السقم في الأسفار، وعظم الدّين على الإقتار، بأشدّ من لقاءه * وقال العباس بن
الحسين للأمّون: يأمر المؤمنين، ان لسانى ينطلق بمدحك غائباً، وقد أحببت
أن يتزید عندك حاضرًا، أفتأذن يأمر المؤمنين في الكلام؟ فقال له قل، فوالله
انك لتقول فتحسن، وتحضر فتزين، وتغيب فتؤتمن. فقال ما بعد هذا كلام

(١) حدثان الامر: أوله، وهو بكسر الحاء وسكون الدال (٢) القوادم: مقدم
الريش ولا كذلك الخوافي، والأكام: جمع أكمة

يأمر المؤمنين أفتأذن بالسكوت؟ قال اذا شئت * وذكر رجلا بليغا فقال: ماشبهت كلامه الا بشعبان ينهال بين رمال ، وماء يتغلغل بين جبال. وسمع المنتجع بن نبهان كلام العباس بن الحسين فقال: هذا كلام يدل سائره ، على غايته ، وأولنه على آخره . وسأل المأمون العباس بن الحسين عن رجل فقال : رأيت له حلما وأناة ، ولم أسمع لحنا ولا إحالة ^(١) يحدّثك الحديث على مطاويه ^(٢) وينشدك الشعر على مدارجه . وكان المأمون يقول : من أراد أن يسمع لهوا بلا حرج فليسمع كلام العباس والعباس بن الحسين من أشعر الهاشميين وهو يعدّ في طبقة ابراهيم بن المهدي ، وهو القائل

أناح لك الهوى بيض حسان * سبينك بالعيون وبالشعور ^(٣)
نظرت الى النحور فكدت تقضي * وأولى لو نظرت الى الخصور ^(٤)
وهو القائل أيضا

صادتك من بعض القصور * بيض نواعم في الخدور
حور تحور الى صبا * كباعين منهن حور ^(٥)
وكأنما بثغورهن * جنى الرضاب من الخجور ^(٦)
يصبغن تفاح الخدو * ديماء رمان الصدور

وهو العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأم عبيد الله جدة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب عم محمد بن علي أبي الخلفاء — وكان الرشيد والمأمون يقربان العباس غاية التقريب لنسبه وأدبه ، قال أبو داف : دخلت على الرشيد وهو في طارمة على طنفسة ^(٧) ومعه عليها شيخ جميل المنظر فقال لي الرشيد : يا قاسم ما خبر أرضك ؟ فقلت يأمر

(١) الاحالة : التكلم بالمحال (٢) على مطاويه : على خفائاه (٣) انظر (سواد الشعر) في كتاب : « أفنان الجمال » (٤) تقضي : تهلك — (٥) تحور : تميل (٦) الرضاب : الريق (٧) الطارمة : بيت من خشب كالقبة

المؤمنين ، خراب يباب ، أخربها إلا كراد والاعراب ، فقتل قاتل : هذا آفة الجبل ، وهو أفسده ، فقلت أنا أصلحه ، قل الرشيد وكيف ذلك ؟ قلت أفسدته وأنت على وأصلحه وأنت معي ! فقال الرشيد : إن همته ترمى به من وراء سنه مرمى بعيداً ، فسألت عن الشيخ فقيـل العباس بن الحسين . وكان أبو دلف ذلك الوقت صغير السن

وأتى موسى بن جعفر رضى الله عنه محمد بن الرشيد الأمين بالمدينة وموسى على بغلة فقال للفضل بن الربيع : عائب هذا فقل له الفضل : كيف أقيت أمير المؤمنين على هذه الدابة التي ان طلبت عليها لم تسبق ، وان طلبت عليها تلحق ، فقال لست أحتاج أن أطلب ، ولا إلى أن أطلب ، ولكنها دابة تنحط عن خيلاء الخيل ، وترتفع عن ذلة العير^(١) وخير الأمور أوساؤها

على بن موسى

أصيب على بن موسى بصيبة فصار إليه الحسن بن سهل فقال : إنا لم نأتك معزّين ، بل جئناك متقدمين ، فالحمد لله الذي جعل حياتكم للناس رحمة ، ومصائبكم لهم قنودة . وكان على بن موسى الرضى رحمه الله قد ولاد المؤمنين عهداً ، وعقد له الخلافة بعده ، ونزع السواد عن بني العباس وأمرهم بلباس الخضرة ، ومات على بن موسى في حياة المؤمنين بطوس ، فشق قبر الرشيد ودفن فيه تبركاً به ، وكان الرشيد قد مات بطوس فدفن هناك . ولذلك قل دعبل بن علي الخزاعي

أربع بطوس على قبر الزكى بها * ان كنت تربع من دين على وطر^(٢) ما ينفع الرّجس من قرب الزكى ولا * على الزكى بقرب الرّجس من ضرر هيات كل امرئ رهن بما كسبت * له يداه فخذ من ذاك أو فذر قبران في طوس خير الناس كنهم * وقبر شرهم هذا من العبر

وكان دعبل مداحاً لأهل البيت، كثير التعصب لهم، والغلو فيهم. وله
المرثية المشهورة وهي من جيد شعره وأولها

مدارس آياتٍ عفت من تلاوةٍ * ومنزل وحي مُتفرِّعٍ العَرَصاتِ^(١)
لآل رسول الله بالخيف من منى * وبالييت والتعريف والنجرات
ديار عليٍّ والحسين وجعفرٍ * وحمزة والسجاد ذى النفثاتِ
فَمَا نَسأل الدار التي خَفَّ أهلها * متى عهدها بالصوم والصلوات
وأين الألى شطت بهم غربة النوى * أفانين في الافاق مفترقات^(٢)
أحب قِصَى الدار من أجل حبهم * وأهجر فيهم أسرتي وثقاني
وهي طويلة

دعبل والمأمون

ولما دخل المأمون بغداد أحضر دعبلاً بعد أن أعطاه الأمان وكان قد هجاه
وهجا أباه، فقال: يادعبل من الحضيض الأوهدي؟ فقال يا أمير المؤمنين قد عفوت
عن هو أشد جرماً مني! أراد المأمون قول دعبل بهجوه

اني من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعدٍ
شادوا بذكرك بعد طول خموله * واستنقذك من الحضيض الأوهدي

يفتخر عليه بقتل طاهر بن الحسين بن مصعب ذي اليمينين أخاه محمد بن طاهر مولى
لخزاعة فاستنشد هذه القصيدة الثانية فاستعفاه فقال: لا بأس عليك، وقد رويتها
وانما أحييت أن أسمعها منك. فأنشدها دعبل فلما انتهى الى قوله

ألم تر أني منذ ثلاثين حجةً * أروح وأغدو دائماً الحشراتِ
أرى فيهم في غيرهم مُتَقَسِّماً * وأيديهم من فيهم صفيرات^(٣)

(١) العَرَصات : الساحات (٢) غربة النوى : بعده (٣) صفيرات : خاليات

إذا وُتروا مدوا إلى أهل وترهم * أكفّأ عن الأوتار منقبضات
وآل رسول الله نُحِفَّ جُسُومَهُم * وآل زياد غُلُظ القَصَرَاتِ ^(٢)
بنات زياد في القصور مصونة * وبنات رسول الله في الغلوات
بكي المأمون وجدّله الأمان وأحسن له الصلة

والشيء يستدعى ما قرع بابه ، وجذب أهدا به ، قال سليمان بن قتيبة
مرت على أبيات آل محمد * فلم أرها عهدي بها يوم أحلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها * وإن أصبحت من أهلها قد نخلت
وكانوا رجاء ثم عادوا رزية * ألا عظمّت تلك الرزايا وجلّت
وإن قتل الطّف من آل هاشم * أذلّ رقب المسلمين فذلت ^(٣)

ويشبه قوله * وكانوا رجاء ثم عادوا رزية * قول امرأة من العرب مرت
بالجسر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي مصلوبا فقالت: لئن أصبحت نهاية في البلاء ،
لقد كنت غاية في الرجاء

أوصاف الأشراف

(ألقاها لأهل العصر في أوصاف الأشراف لها في هذا الموضع موقع)
فلان من شرف العنصر الكريم ، ومعدن الشرف الصميم ، أصل راسخ ،
وفرع شامخ ، ومجد باذخ ، وحسب شاذخ ^(٤) فلان كريم الطرفين ، شريف الجانبين ،
قد ركب الله دوحته في قرارة المجد ، وغرس نبعته في محل الفضل ، أصل شريف ،
وعرق كريم ، ومغرس عظيم ، ومغرز صميم ، المجد لسان أوصافه ، والشرف نسب
أسلافه ، نسب نخم ، وشرف ضخم ، يستوفي شرف الأرومة ^(٥) بكرم الأبوة
والأمومة ، وشرف الخؤولة والعمومة ، ماأنته المحاسن عن كلاله ^(٦) ولاظفر

(١) القصرات : أصول العنق جمع قصرة بفتح تين (٢) الطّف : موضع قرب الكوفة

(٣) شامخ و باذخ وشاذخ مترادفات بمعنى عال (٥) الارومة الأصل

(٦) الكلاله : ماعدا الوالد من الأقرباء

بالهدى عن ضلالة ، بل تناول المجد كابر اعن كابر ، وأخذ الفخر عن أسرة ومنابر
شرف تنقل كابر اعن كابر * كل رمح أنبوبا على أنبوب (١)

استقى عرقه من منبع النبوة ، ورضعت شجرته من ندى الرسالة ، وتهدلت
أغصانه عن نبتة الإمامة ، وتبججت أطرافه في عرصة الشرف والسيادة (٢)
وتفتأت بيضته عن سلالة الطهارة (٣) ، قد جذب القرآن بضبعه (٤) وشق الوحى عن
بصره وسمعه ، مختار من أكرم المناسب ، منتخب من أشرف العناصر ، مرتضى
من أعلى المحاند ، مؤثر من الشائر ، قد ورث الشرف جامعاً عن جامع ، وشهد له
نداء الصوامع ، هو من مضر في سويداء قلبها ، ومن هاشم في سواد طرفها ، ومن
الرسالة في مهبط وحيها ، ومن الإمامة في موقف عزها ، ينزع الى المحامد بنفس
وعرق ، ويحن الى المكارم بورانة وخلق ، يتناسب أصله وفرعه ، ويتناصف
بحره وطبعه ، وهو الطيب أصله وفرعه ، الزكى بذره وزرعه ، يجمع الى عز النصاب
مزية الآداب ، لاغرؤ أن يجرى الجواد على عرقه ، وتلوح مخايل الليث في شبلة ،
ويكون النجيب فرعاً مشيداً لأصله ، له مع نباهة شرفه ، نزاهة سلفه ، ومع كرم
أرومته ، وحزمه ، مزية أدبه ، وعلمه ، لن تخلف ثمرة غرس ارتيد لها من المنابت
أزكاها ، ومن المغارس أطيبها وأغذاها وأنماها ، قد جمع شرف الأخلاق ، الى
كرم الأنساب ، له في المجد أول وآخر ، وفي الكرم تليد وطارف ، وفي الفضل
حديث وقديم ، لاغرؤ أن يغمر فضله وهو نجل الصيد الكرم ، أو ينزر علمه
وهو فيض البحور الخضارم . دوحه رسب عرقها ، وسقى فرعها (٥) وطاب عودها ،
واعتمد عمودها ، وتفتأت ظلالها ، وتهدلت ثمارها ، وتفرعت أغصانها ، ويرد
مقبلها ، مجد يلحظ الجوزاء من عال ، ويطول النجم كل مطال ، شرف تضع له الأفلاك

(١) الأنبوب : القصبة (٢) تبججت : تمكنت ، والعرصة الساحة

(٣) تفتأت : تفتحت (٤) جذب بضبعه : نوه به (٥) سقى : ارتفع

خُدودها وجباهها ، وتلثم النجوم أرضه بأفواجرها وشفاهها ، نسب المجد به عريق
وروض الشرف به أنيق ، ولسان الثناء بفضله نطوق ، فلك المجد عليه يدور ، والعلی
إليه تشير ، محله شاق ، ومجده باسق

الابتداء بحمد الله

قد تم ما استفتحت به التأليف ، وجعلته مقدمة التصنيف ، مع ما اقترن به
وانضاف إليه ، والنف به وانعطف عليه ، ورأيت ان أبتدىء مقدمات البلاغات
بغرر التحاميد وأوصافها ، وما يتعلق بأثنائها وأطرافها ، وقد قل سهل بن هارون
في أول كتاب عمله : يجب على كل مبتدئ مقالة أن يبتدىء بحمد الله قبل استفتاحها ،
كما بُدئ بالنعمة قبل استحقاقها (ولأهل العصر) أولى ما فغر به الناطق فيه ^(١) وافتتح
به كلمه ، حمد الله جل ثناؤه ، ونقّدت أسماؤه ، حمد الله خير ما ابتدىء به القول ،
وختم ، وافتتح به الخطاب وتميم . وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله : ان الله
جل ثناؤه لا يمثل بنظير ، ولا يغلب بظهير ^(٢) جل عن موقع تحصيل أدوات البشر ،
ولطف عن الحافظ خطرات الزكر ، لا بحمد الابتوفيق منه يقتضى حمداً ، فنى
نحصى نعمائه . وتكافأ لاؤه : عجز أقصى لشكر عن أداء نعمته ، وتضاءل ما خلق
في سعة قدرته ، قدر ققدر ، وحكم فأحكم ، وجعل الدين جامعاً لشمع عبادته ،
والشرائع مناراً على سبيل طاعته ، يتبها أهل اليقين به ، ويحيد عنها أهل
الشك فيه

محمود الوراق

أخذ أبو العباس قوله (ولا بحمد الا بتوفيق منه يقتضى حمداً) من قول

محمود بن الحسين الوراق

إذا كان شكرى نعمة الله نعمةً * على له في مائها يجب الشكر

(١) فقر : فتح (٢) الظهير : المين

فكيف بلوغ الشكر الا بفضلِهِ * وان طالت الايام واتصل العمرُ
اذا عمَّ بالسراء عمَّ سرورها * وان مَسَّ بالضراء أعقبها الاجرُ
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والبر والبحر
وانما أخذه محمود من قول أبي العتاهية

أحمد الله فهو ألهنَى الح * د على الحمد والمزيد لديه
كم زمانٍ بكيت فيه فلما * صرت في غيره بكيت عليه
وقد اضطربت الراوية في هذين البيتين وقائلهما ، وهذا البيت الثانى كثير ،
قال ابراهيم بن العباس

كذلك أيامنا لاشك نندبها * اذا تقضت ونحن اليوم نشكوها
آخر

وما مرَّ يوم أرتجى فيه راحة * فافقده الا بكيت على أمس
ومحمود القائل أيضا

تمضى الآله وأنت تظهر حبه * هذا محمل فى القياس بدیع
لو كان حبك صادقاً لأطعته * ان الحب لمن أحب مطیع
وكان كثيراً ما ينقل أخبار الماضين ، وحكم المتقدمين ، فيحلى بها نظامه ،
ويزين بها كلامه ، وهو القائل

إني وهبت لظالمى ظلمى * وشكرت ذاك له على علمى
ورأيت أسدى الى يدًا * لما أبان بجهله حلمى
رجعت لإساءته عليه ولى * فضل فعاده ضاعفَ الجرم
فكأنما الاحسان كان له * وأنا المسيء اليه فى الزعم
ما زال يظلمنى وأرحه * حتى رثيت له من الظلم

وهو القائل

أرانى اذا ما ازددت مالا وثروة * وخيراً الى خير تزايدت فى الشر

فكيف بشكر الله ان كنت انما * أقوم مقام الشكر لله بالكفر
بأيّ اعتذار أو بآية حجة * يقول الذي يدري من الأمر ما أدري
إذا كان وجه العذر ليس بيّن * فان أطراح العذر خير من العذر

البلاغة والبيان

ولابن المعتز : البيان ترجمان القلوب ، وصيقل العقول ، ومجلى الشبهة ،
وموجب الحجة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ،
وهو من سلطان الرسل الذي انقاد به المستصعب ، واستقام الأصيل^(١) وبُهِت
الكافر ، وسلم الممتنع ، حتى أشب الحق بأنصاره^(٢) ، وُخِّلَى رُبع الباطل من عماره ،
وخير البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ، ليسرع الى الفهم تلقّيه ، وموجزاً ليخف
على اللفظ تعاطيه ، وفضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر
غير خفي ، يشهد بذلك عجز المتعاطين ، ورهن المتكلفين ، وتحير الكذابين ،
وهو المبلغ الذي لا يُمل ، والجديد الذي لا يخلق^(٣) ، والحق الصادع ، والنور الساطع ،
والمأخى لظلم الضلال ، ولسان الصدق النافي للكذب ، ونذير قدمته الرحمة قبل
الهلاك ، وناعى الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المخلدة ، ومفتاح الخير ، ودليل
الجنة . إن أوجز كان كافياً ، وإن أكثر كان مذكراً ، وإن أوماً كان مقنعاً ،
وإن أطال كان مفهماً ، وإن أمر فناصحاً ، وإن حكم فعادلاً ، وإن أخبر فصادقاً ،
وإن بيّن فشافياً ، سهل على الفهم ، صعب على المتعاطي ، قريب المأخذ ، بعيد
المرام ، سراج تستضيء به القلوب ، حلوة إذا تذوّقته العقول ، بحر العلوم ،
وديوان الحكم ، وجوهر الكلم ، ونزهة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ،
تنزل به الروح الأمين ، على محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ،

(١) الأصيل : المائل العنق كبرا (٢) أشب : تجمع وقوى : (٣) لا يخلق : لا يبلى

نقص الباطل ، وصدع بلق ، وثأف من الثمرة ، وأتق من الحكمة ، فوصل
الله النصر ، وأضرع به خد الكفر^(١)

قل على بن عيسى انماني : البلاغة ماحط التكاف عنه ، وبنى على التبيين ،
وكانت الفائدة أغلب عليه من القافية ، بأن جمع مع ذلك سهولة الخرج ، مع قرب
المتناول ، وعذوبة اللفظ ، مع رشاقة المعنى ، وأن يكون حسن الابتداء كحسن
الانتهاء ، وحسن الوصل ، كحسن القطع ، في المعنى والسمع . وكانت كل كلمة قد
وقعت في حقه ، وإلى جنب أختمها ، حتى لا يقال لو كان كذا في موضع كذا
لكان أولى ، وحتى لا يكون فيه لفظ مختلف ، ولا معنى مستنكر ، ثم ألبس بهاء
الحكمة ، ونور المعرفة ، وشرف المعنى ، وجزالة اللفظ ، وكانت حلالاته في الصدر
وجلالته في النفس ، تفتق الفهم ، وتثرد دقق الحكم ، وكان ظاهر النفع ، شريف
القصد ، معتدل الوزن ، جميل المذهب ، كريم المطلب ، فصيحاً في معناه ، بيناً
في خواه ، وكل هذه الشروط قد حواها القرآن ، ولذلك عجز عن معارضته
جميع الأنام

وصف القرآن

ألفاظ لأهل العصر في ذكر القرآن . القرآن حبل الله الممدود ، وعهد
العهود ، وظله العميم ، وصراطه المستقيم ، وحجته الكبرى ، ومحجته الوسطى ،
وهو الواضح سبيله ، الراشد دليله ، الذي من استضاء بمصابحه أبصر ونجا ،
ومن أعرض عنه ضل وهوى ، فضائل القرآن لا تستقصى في ألف قرن ، حجة
الله وعهده ، ووعيده ووعدده ، به يعلم الجاهل ، ويعمل العامل ، ويتنبه الساهي ،
ويتذكر اللاهي ، بشير الثواب ، ونذير العقاب ، وشفاء الصدور ، وجلاء الأور
من فضائله أنه يقرأ دائماً ، ويكتب ، ويحلى ، ولا يمل — ما أهون الدنيا على من جعل
القرآن إمامه ، وتصور الموت أمامه ، طوبى لمن جعل القرآن مصباح قلبه ، ومفتاح

(١) أضرع : أذل

أنبه — من حق القرآن حفظ ترتيبه ، وحسن ترتيبه . قل بعض الحكماء : الحكمة موقظة للقلوب من سنة الغفلة ، ومنقذة للبصائر من سكرة الخيرة ، ومحمية لها من موت الجهالة ، ومستخرجة لها من ضيق الضلالة ، والعلم دواء للقلوب العلية ، ومشهد للأذهان الكلية ، ونور الظلمة ، وأنس في الوحشة ، وصاحب في الوحدة ، وسمير في الخلوة ، ووصلة في المجاس ، ومادة للعقل ، وتلقيح للفهم . وناف للعبي المزرى بأهل الاحساب ، المقصر بذوى الألباب ، أنطق الله سبحانه أهله بالبيان الذى جعله صفة لكلامه فى تنزيله ، وأيد به رسله ايضاحاً للمشكلات ، وفصلاً بين الشبهات ، شرف به الوضع ، وأعز به الدليل ، وسود به المسود ، من تحلى بغيره فهو معطل ، ومن تعطل منه فهو مغفل ، لا تبليه الأيام ، ولا تخترمه الدهور يتجدد على الابتدال ، ويزكو على الاتفاق ، لله على ما من به على عباده الحمد والشكر

عمرو بن عبيد

قيل لعمرو بن عبيد ما البلاغة؟ قال : ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وبصرك مواقع رشك ، وعواقب عمالك . قل السائل ليس هذا أريد ، قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول قال ليس هذا أريد . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا معشر الأنبياء فينا بك ، أى قلة كلام ، وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله . قال السائل : ايس هذا أريد قال : كانوا يخافون من فتنة القول ، ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنة السكوت ، وسقطات الصمت ، قال ليس هذا أريد قال عمرو يا هذا فكأنك تريد تخمير اللفظ فى حسن الإقوام^(١) ، قال نعم قال إنك إن أردت تقرير حجة الله عز وجل فى عقول المكلفين ، وتخفيف المؤونة عن المستمعين ،

(١) المراد من تخمير اللفظ التروى فى تخيره ، كما تخمر الخمر لتجود

وتزيين تلك المعاني في قلوب المريرين ، بالألفاظ الحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة إجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، واستوجبت من الله جزيل الثواب ، فقيل لعبد الكريم بن روح الغفاري من هذا الذي صبر له عمرو هذا الصبر ؟ قال سألت عن ذلك أبا حفص الشمري فقال : ومن يجترئ عليه هذه الجراء الاحفص بن سالم ؟

وعمر بن عبيد بن باب هو رئيس المعتزلة في وقته ، وهو أول من تكلم على المخلوق ، واعتزل مجلس الحسن البصري ، وهو أول المعتزلة ^(١)

ودخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر المنصور فقال : عظمي . فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها ، يا أمير المؤمنين ، إن هذا الأمر لو كان باقيا لأحد قبلك ، ما وصل اليك ، ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، قال : فبكي المنصور حتى بل ثوبه ثم قال حاجتك يا أبا عثمان ! وكان المنصور لما دخل عليه طرح عليه طيلسانا . فقال : يرفع هذا الطيلسان عني ! فرفع فقال له أبو جعفر : لاتدع إتياننا ! قال : نعم ، لا يضمتني وإيك بلد إلا دخلت اليك ، ولا بدت لي حاجة إلا سألتك ، ولكن لاتعطني حتى أسألك ، ولا تدعني حتى آتيك ، قال إذا لانأيتنا بدأ !

وقد روى مثل هذا لابن السماك مع الرشيد ، وقوله لو كان هذا الأمر باقيا لأحد قبلك ما وصل اليك ؛ كقول ابن الرومي

لعمرك ما الدنيا بدار إقامة * إذا زال عن عين البصير غطاؤها

وكيف بقاء الناس فيها وانما * يُنال بأسباب الفناء بقاؤها

ووعظ شبيب بن شيبه المنصور فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله لم يجعل فوقك أحدا ، فلا تجعل فوق شكره شكرا . ودخل عمرو بن عبيد على المنصور

(١) ارجع الى مناقشة آراء المعتزلة وأهل السنة في كتاب « الاخلاق عند الغزالي »

وعنده المهدي فقال له : هذا ابن أخيك المهدي ، ولي عهد المسلمين ، يقال : سميت به اسما لم يستحق حمله ، ويفضي إليك الأمر وأنت عنه مشغول — وكان عمرو بن عبيد يقول : اللهم اغني بالافتقار إليك ، ولا تفقرني بالاستغناء عنك — وقال له المنصور يا أبا عثمان ، أعني بأصحابك ، قل يا أمير المؤمنين ، أظهر الحق يتبعك أهله ! وقال عمر الشعمري : كان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم ، وإن تكلم لم يكده يطبل ، وكان يقول : لا خير في المتكلم ، إذا كان كلامه لمن يشهده دون قائله ، وإذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ، ولا خير في شيء يأتيك به التكلف

البلاغة عند أهل الهند

قل معمر ابن الأشعث قالت لبهلة الهندي أيام اجتلب بجي بن خالد أطباء الهند : ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهلة عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ، ولكنني لا أحسن ترجمتها ، ولم أعالج هذه الصناعة ، فأثق من نفسي بالقيام بخصائصها ، واطيف معانيها ، قل ابن الأشعث فتلفت تلك الصحيفة المترجمة فاذا فيها : أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ^(١) ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوق ، ويكون في قواه فضل النصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ، ولا يصفى بها كل التصفية ، ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكما أو فيلسوفا عليما ، قد تعود حذف فضول الكلام ، واسقاط مشتركات الالفاظ ، وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لاعلى جهة التصفح والاعتراض ^(٢) ووجه النظر والاستظراف * قال اسحاق بن حسان ابن قوهي (١) الجأش : الصدر ، ومثله الجؤشوس بضم الجيم (٢) التصفح : تقليب الصفحات

لم يفسر أحد البلاغة تفسير عبد الله بن المقفع إذ قل : البلاغة اسم لمعان تجري في وجود كثيرة ، فمنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون في الحديث ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون شذرا ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون جوابا ، ومنها ما يكون سجما ، ومنها ما يكون خطبا ، ومنها ما يكون رسائل ، فغاية هذه الابواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى ، والايجاز هو البلاغة ، فاما الخطب فيا بين السماطين ^(١) وفي اصلاح ذات البين ، فالإكثار في غير خطل ^(٢) والاطالة في غير إملال ، ولكن ليكن في صدر كلامك ، دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي اذا سمعت صدره عرفت قافيته - كأنه يقول : فرقي بين صدر خطبة النكاح ، وخطبة العيد ، وخطبة الصلح ، وخطبة التواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه - فانه لاخير في كلام لا يدل على معنك ولا يشير الى مغزائك ، والى العمود الذي اليه قصدت ، والغرض الذي اليه نزعتم فقل له : فان ملّ المستمع الاطالة التي ذكرت أنها حق ذلك الموضع ؟ قال : إذا أعطيت كل مقام حقه ، وقتت بالذي يجب من سياسة الكلام ، وأرضيت من يعرف حقوق ذلك ، فلا تهنم لما فاتك من رضى الحاسد والعدو ، فانهما لا برضيان بشئ ، فأما الجاهل فليست منه وليس منك ، ورضى جميع الناس شئ لا ينال

الاطالة والايجاز

وقد مدحوا الاطالة في مكانها كما مدحوا الايجاز في مكانه . قال أبو داود ابن جرير في خطباء أئد

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحنى الملاحظ خيفة الرقباء ^(٣)

(١) بين السماطين : الصفيين (٢) الخطل : السخف (٣) المراد من وحنى الملاحظ اشارة العيون

قال أبو وجرة السدي يصف كلام رجل

يكفي قليل كلامه وكثيره * ثبت إذا طال النضال مُصِيبُ ^(١)

وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ولم يسم قائله وهو مولد ولم ينقصه
توليد من حظ القديم شيئاً

طبيب بداء فنون الكلام * فلم يعي يوماً ولم يهذر

فان هو أطنب في خطبة * قضى للمطيل على المنزر ^(٢)

وإن هو أوجز في خطبة * قضى للمقل على المنكر

وقال آخر يصف خطيباً

فاذا تكلم خيلته متكلاً * بجميع عِدَّةِ السِّنِّ الخطباء

فكان آدم كان علمه الذي * قد كان علمه من الأسماء

وكان أبو داود يقول : تخلص المعاني رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ،

والتشديق في الإعراب نقص ، والنظر في عيون الناس عي ، ومس اللحية هلاك ،

والخروج عما بُني عليه الكلام إسهاب . وقال بعضهم يهجو رجلاً بالمي

ملي : يَهْزِرُ والتفاتٍ وسِعةٍ * ومسحة عُشْنُونٍ وفتل الأصابع ^(٣)

ووصف العتابي رجلاً بليغاً فقال : كان يظهر ماغض من الحاجة ، ويصور

الباطل في صورة الحق ، ويفهمك الحاجة من غير إعادة ولا استعانة ، قيل له :

وما الاستعانة ؟ قال : يقول عند مقاطع كلامه ياهناة ، واسمع ، وفهمت ؟ وما أشبه

ذلك . وهذا من أمارات العجز ، ودلائل الحصر ؛ وإنما ينقطع عليه كلامه فيحاول

وصله بهذا ، فيكون أشد لا تقطاعه ، وكان أبو داود يقول : رأس الخطابة الطبع ،

وعمودها الدربة ، وجناحها رواية الكلام ، وحليها الإعراب ، وبهاؤها تخيير

اللفظ ، والمحبة مقرونة بقلّة الاستكراه

(١) ثبت : مثبت (٢) المنزر : المقل (٣) البهر : تتابع النفس وانقطاعه

من الأعياء . والعشنون اللحية

المعاني والالفاظ

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ قال بعض جهابذة الالفاظ ، وثقّاد المعاني :
المعاني القائمة في صدور الناس ، والمتصورة في أذهانهم ، المختلجة في نفوسهم ،
المتصلة بنحو اطّارهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة
مكنونة ، وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة
أخيه ، وخليطه ، ولا معنى شريكه ، والمعاون له على أمره ، وعلى ما لا يبلغه من
حاجات نفسه الا بغيره ، وانما يجي تلك المعاني ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم
اياها . وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفهم ، وتجلّيها للعقل ، وتجعل الخفي منها
ظاهرا ، والغائب شاهدا ، والبعيد قريبا ، وهي التي تلخص الملتبس ، وتحل المنعقد ،
وتجعل المهمل مفيدا ، والمقيد مطلقا ، والمجهول معروفا ، والوحشي مألوفا ، وعلى
قدر وضوح الدلالة ، وصواب الاشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون
ظهور المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الاشارة أبين وأنور ،
كانت أنفع وأنجع في البيان ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي
سمعت الله يمدحه ، ويدعو اليه ، ويحث عليه ، بذلك نطق القرآن ، وبذلك
تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم . والبيان اسم لكل شيء كشف لك
عن قناع المعنى ، وهناك لك الحجب دون الضمير ، حتى يفضى السامع الى
حقيقته ، ويهجم على محصولة ، كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان
ذلك الدليل ، لأن مدار الأمر ، والغاية التي اليها يجري القائل والسامع : انما هو
الفهم والافهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام ، وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو
البيان في ذلك الموضع

ثم اعلم حفظك الله ان حكم المعاني خلاف حكم الالفاظ ، لأن المعاني مبسطة
الى غير غاية ، وممتدة الى غير نهاية ، وأسما المعاني محصورة معدودة ، ومحسلة

محدودة ، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد . أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة ، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات ، ولكل واحدة من هذه الدلائل الخمسة صورة بآئنة من صورة صاحبها ، وحلية مخالفة لحلية أختها ، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، وعن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقذارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها ، في السار والضرار ، وعما يكون منها لغوا بهرجا ^(١) ، وساقطا مطرطا وفي نحو قول أبي عثمان (إن المعاني غير مقصورة ولا محصورة) يقول أبو تمام

الطائي لأبي داف القاسم بن عيسى العجلي

ولو كان يفنى الشعر أفنته ماقرت * حياضك منه في العصور الذواهب ^(٢)

ولكنه فيض العقول اذا انجلت * سحائب منه أعقبت بسحائب

كما أشار الى قول أوس بن حجر الاسدي

أقول بما صبت على غمامتي * وجهدي في حبل العشيرة أحطب ^(٣)

وقال بعض البلغاء: في اللسان عشر خصال محمودة ، أداة يظهر بها البيان ،

وشاهد يجبر عن الضمير ، وحاكم يفصل الخطاب ، وواعظ ينهي عن القبيح ،

وناطق يردّ الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الأشياء ،

ومعرب يشكر به الاحسان ، ومُعرّز تذهب به الاحزان ، وحامد يذهب الضغينة ،

ومونق يلهي الاسماع . وقال أبو العباس بن المعتز : لحظة القلب ، أسرع خطرة

من لحظة العين ، وأبعد مجالا ، وهي الفائضة في أعماق أودية الفكر ، والمتأمل

لوجوه العواقب ، والجامعة بين ما غاب وحضر ، والميزان الشاهد على ما نفع وضر ،

والقلب كالملى للكلام على اللسان اذا نطق ، واليد اذا كتبت ، والعاقل يكسو

(١) بهرج : ردى (٢) قرت : أخذت (٣) يحطب في حبل العشيرة أي

يستعين بها كما يستعين الحاطب بالحبل

المعاني وشئ الكلام في قلبه ، تم يبدئها بألفاظ كواس في أحسن زينة ، والجاهل يستعجل باظهار المعاني قبل العناية بتزيين معارضها ، واستكمال محاسنها . وقيل لجعفر بن يحيى البرمكي ما البيان ؟ قال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك ، ويكشف عن مغزاك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يستعان عليه بالفكرة ، ويكون سليما من التكلف ، بعيداً من الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنيا عن التأويل . وذكر سهل بن هارون وقيل ثمامة بن أشرس جعفر بن يحيى فقال : قد جمع في كلامه وبلاغته الهدى والتمهل ^(١) والجزالة والحلاوة ، وكان يفهم إفهاماً يغنيه عن الاعادة للكلام ، ولو كان يستغنى مستغنى عن الاشارة بمنطقه لاستغنى عنها جعفر ، كما استغنى عن الاعادة . فانه لا يتحبس ولا يتوقف في منطق ولا يتلجلج ، ولا يتسعل ، ولا يترقب لفظاً قد استدعا من بعد ، ولا يلتبس معنى قد عصاه بعد طلبه له

بشار بن برد

قيل لبشار بن برد : بيم فقت أهل عمرك ، وسبقت أهل عصرك ، في حسن معاني الشعر ، وتهذيب ألفاظه ؟ فقال : لأنى لم أقبل كل ما تورده على قريبى ، ويناجينى به طبعى ، ويبعثه فكرى ، ونظرت الى مغارس الفطن ، ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات ، فسرت اليها بفهم جيد ، وغريزة قوية ، فأحكمت سيرها ، وانتقيت حرثها ، وكشفت عن حقائقها ، واحترزت من متكلفها ، والله ماملك قيادى قط الاعجاب بشئ مما آتى به — وكان بشار بن برد خطيباً ، شاعراً ، راجزاً ، سجعاً ، صاحب منشور ، ومزدوج . ويلقب بالمرعث لقوله

من لظبي مرعث * ساحر الطرف والنظر ^(٢)

قال لى لن تنالى * قلت أو يغلب القدر

وليس هذا موضع استقصاء ذكره ، واختيار شعره . وسأستقبل ذلك ان شاء الله

(١) الهدى: السرعة (٢) مرعث : يلبس الرعث وهو القرط

وصية أبي تمام للبحثرى

قال الوليد بن عبيد البحتري : كنت فى حدائق أروم الشعر وكنت أرجع فيه الى طبعى ، ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ، ووجوه اقتضابه ، حتى قصدت أبا تمام وانقطعت فيه إليه ، وانكلت فى تعريفه عليه ، فكان أول ما قال لى : يا أبا عبادة تخيّر الأوقات وأنت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، واعلم أن العادة جرت فى الأوقات أن يقصد الانسان لتأليف شئ أو حفظه فى وقت السحر ، وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة ، وقسطها من النوم ، وإن أردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقاً ، والمعنى رقيقاً ، وأكثرفيه من بيان الصبابة ، وتوَجّع الكآبة ، وقلق الاشواق ولوعة الفراق . فإذا أخذت فى مديح سيد ذى أياذٍ فأشهر مناقبه ، وأظهر مناسبه وأبن معاملة ، وشرف مقامه ، ونضد المعانى ^(١) واحذر المجهول منها ، وإيك أن تشين شعرك بالألفاظ الرديئة ، ولتكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجساد . وإذا عارضك الضجر ، فأرح نفسك ، ولا تعمل شعرك إلا وأنت فارغ القلب ، واجعل شهوتك تقول الشعر الذريعة إلى حسن نظامه ، فان الشهوة نعم المعين ^(٢)

وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده ، وما تركوه فاجتنبه ، ترشد إن شاء الله

قال : فأعملت نفسى فيما قال فوقفت على السياسة
وقالوا : البليغ من يحوك الكلام على حسب الأمانى ، ويخيط الالفاظ على
قدود المعانى

(١) نضد : من التنضيد ، وهو ضم بعض الشئ الى بعض (٢) الذريعة : الوسيلة

فضل الليل

ولذكر الطائي الليل ذكر بعض أهل العصر وهو أبو علي محمد بن الحسن ابن المظفر الحاتمي الليل فقال: فيه نجم الأذهان^(١)، وتنقطع الأشغال، ويصح النظر، وتواف الحكمة، وتدر الخواطر، ويتسع مجال القلب. والليل أضوء في مذاهب الفكر، وأخفى لعمل البر، وأعون على صدقة السر، وتلاوة الذكر ومدبرو الأمور يختارون الليل على النهار، فيما لم تصف فيه الأناة لرياضة التدبير وسياسة التقدير، في دفع الملم، وإمضاء المهم، وإنشاء الكتب، وتصحيح المعاني وتكوين المباني، وإظهار الحجج، وإيضاح المنهج، وإصابة نظم الكلام، وتقريبه من الأفهام؛ وقال بعض رؤساء الكتاب: ليس الكتاب في كل وقت على غير نسخة لم تحرر بصواب، لأنه ليس أحد أولى بالأناة وبالروية من كاتب يعرض عقله، وينشر بلاغته، فينبغي له أن يعمل النسخ ويرويها، ويقبل عفو القريحة ولا يستكرهها، ويعمل على أن جميع الناس أعداء له، عارفون بكتابته منتقدون عليه، متفرغون إليه، وقال آخر: إن لا بدء الكلام فتنه تروق، وجدة تعجب، فإذا سكنت القريحة، وعدل التأمل، وصفت النفس، فليعد النظر، وليكن فرحه بإحسانه، مساوياً لغمه بإساءته، فقد قالت الخوارج لعبد الله بن وهب الراسبي نبايك الساعة فقد رأينا ذلك فقال: دعوا الرأي حتى يبلغ أناته، فانه لا خير في الرأي الفطير، والكلام القضيبي^(٢) وقال معاوية بن أبي سفيان رحمه الله لعبد الله بن جعفر: ما عندك في كذا وكذا فقال: أريد أن أصقل عقلي بنومة القائلة ثم أروح فأقول أبعده ما عندي^(٣)، وقال الشاعر

إن الحديث نغرا القوم جالوته * حتى يغيره بالوزن مضمار^(٤)

(١) نجم: تستريح (٢) الرأي الفطير: الذي لم ينضج، والكلام القضيبي: المرتجل (٣) نومة القائلة: نومة الظهيرة (٤) الجلوة: الزينة

فعند ذلك تُستكفى بلاغته * أو يستمرُّ به عيٌّ وإكثارُ
وقالوا كلُّ حجرٍ بالخلاء يُسرُّ (١) . وقال أبو الطيب المتنبي

وإذا ما خلا الجبان بأرض * طلب الطعن وحده والنزلا

وكان قلم ابن المقفع يقف كثيراً فقليل له في ذلك فقال : ان الكلام يزدهم
في صدرى ، فيقف قلبي ليتخير . وقالوا : الكتاب يُتصفح أكثر مما يتصفح
الخطاب ، لان الكاتب متخيرٌ ، والمحاطب مضطر ، ومن يرد عليه كتابك
فليس يعلم أأسرعت فيه أم أبطأت ، وانما ينظر أخطأت أم أصبت ، فباطواك
غير قاذح في إصابتك ، كما إن إسرائك غير مغطٍ على غلطك

واجب النساخ

ووصف بعض الكتاب النسخ فقال : ينبغي أن يصحبها الفكر الى استقرارها
ثم تستبرأ باعادة النظر فيها بعد اختيارها (٢) ويوسع بين سطورها ، ثم تحرر على
ثقة بصحتها ، وتأمل بعد التحرير حرفاً حرفاً الى آخرها . فقد كتب المأمون
مصحفاً اجتمع عليه ؛ فكان أوله بسم الله الرحيم فأغفلوا الرحمن ، لان العين
لا تعتبر ذلك ثقة أنه لا يغلط فيه حتى فطن المأمون له . وقال محمد بن عبد
الملك الزيات للحسن ابن وهب : حرّر هذه النسخة وبكر بها ، فتصبّح الحسن (٣) ،
فقال له لم تصبّحت ؟ قال حتى تصفحت ! وقال احمد ابن اسماعيل بطاحه كان بعض

العلماء الاغبياء ينظر في نسخه بعد نفوذ كتبه ، فقال بعض الكتاب

مُسْتَلَبُ اللَّبِّ غَوَى الشَّبَابُ * عَذَّبَهُ الْهَجْرُ أَشَدَّ الْعَذَابِ

يؤمل الصبر وأنى له * به وقد مكن منه التصاب

كنّاظرٍ في نسخة يبتغى * إصلاحها بعد نفوذ الكتاب

(١) يريد أن الذى يجرى فرسه بالخلاء يسر بظفره حيث لا مناضل ، وهو
مثل في التهمك (٢) تستبرأ : تجفف (٣) تصبّح : تأخر عن الحضور صباحاً

صور مختلفة للبلاغة

أوصاف بليغة في البلاغات على ألسنة أقوام من أهل الصناعات (قال) بعض من ولد عقائل هذا المنشور ، وألف فواصل هذه الشذور : تجمع قوم من أهل الصناعات فوصفوا بلاغتهم ، من طريق صناعاتهم ^(١) (فقال الجوهرى) أحسن الكلام نظاماً ما نقتبه يد الفكرة ، ونظامه الفطنة ، ووُصل جوهر معانيه ، في سُمُوط ألفاظه ، فاحتملته محور الرواة (وقال المطار) أطيب الكلام ما عُجن عنبر ألفاظه بسك معانيه ، ففاح نسيم نَشَقِه ، وسطمت رائحة عبقه ، فتعلقت به الرواة ، وتقطرت به الشراة (وقال الصائغ) خير الكلام ما أحميته بكبر الفكر ، وسبكته بمشاعل النظر ، وخلّصته من خبث الإطناب ، فبرز بروز الأبريز ، في معنى وجيز (وقال الصيرفى) خير الكلام ما نقدته يد البصيرة ، وجلته عين الروية ، ووزنته بمعيار الفصاحة ، فلا نظر يزيفه ، ولا سماع يهرجه (وقال الحداد) أحسن الكلام ما نصبت عليه منفة القريحة ، وأشعلت عليه نار البصيرة ، ثم أخرجته من فحم الإفهام ، ورقّته بفطيس الإفهام ^(٢) (وقال النجار) خير الكلام ما أحكمت نجر معناه بقُدُوم التقدير ، ونشرته بمنشار التدبير ، فصار باباً لبيت البيان ، وعارضة لسقف اللسان (وقال النجاد) أحسن الكلام ما لطفت رفارف ألفاظه ، وحُسنّت مطارح معانيه ، فتزهت في زراى محاسنه عيون الناظرين ، وأصاحت لمبارق بهجته آذان السامعين (وقال المائح) أبين الكلام ما علقت وذم ألفاظه ببكرة معانيه ^(٣) ثم أرسلته في قلب الفطن ^(٤) فتمتحت به سقاء يكشف الشبهات ، واستنبطت به معنى يروى من ظلم المشكلات (وقال الخياط) البلاغة قيص : فُجْر بَّانِه البيان ^(٥) وجبيه المعرفة ، وكماه الوجازة ، ودخاريصه الإفهام ^(٦) ودروزه الخلاوة ^(٧) ولا بس

(١) تنسب هذه التعابير للسكاكى (٢) الفطيس : المطرقة (٣) الودم : الدلو

(٤) القلب : البئر (٥) الجربان : الطوق (٦) الدخاريص : فتحات الأزرار

(٧) الدروز : الأطراف الرقاق

جسده اللفظ ، وروحه المعنى (وقال الصباغ) أحسن الكلام ما تنض بهجة إيجازه ^(١) ولم تكشف صيغة إعجازه ، قد صقلته يد الروية من كمود الاشكال ، فراع كواعب الآداب ، وألف عذارى الأبواب (وقال الحائك) أحسن الكلام ما اتصلت لُحمة ألفاظه بسدى معانيه ^(٢) نخرج مفوقاً منيراً ، وموشى مجبراً (وقال البزاز) أحسن الكلام ما صدق رقم ألفاظه ، وحسن نشر معانيه ، فلم يستمعجم عنك نشر ، ولم يستبهم عليك طي (وقال الرائي) خير الكلام ما لم يجرح عن حدّ التخليع ، الى منزلة التقريب ، إلا بعد الرياضة ، وكان كالمهر الذى أطعم أول رياضته ، فى تمام ثقافته (وقال الجمال) البليغ من أخذ بخطام كلامه ، فأناخه فى مبرك المعنى . ثم جعل الاختصار له عقلاً ، والايجاز له مجالا ، فلم يند عن الآذان ، ولم يشد عن الاذهان (وقال الخنث) خير الكلام ما تكسرت أطرافه ، وتشت أعطافه ، وكان لفظه حلّة ، ومعناه حلية ^(٣) (وقال الخمار) أبلغ الكلام ما طبخته مراجل العلم ، وصفاد راووق الفهم ، وضمته دنان الحكمة ، فتمشت فى المفاصل عذوبته ، وفى الافكار رفته ، وفى العقول حدته (وقال الفقاع) خير الكلام ما أزاحت ألفاظه غباوة الشك ، ورفعت رفته فظاظه الجهل ، فطاب حساء فطنته ، وعذب مص جرّعه (وقال الطيب) خير الكلام ما إذا باشر دواء بيانه سقم الشبهة ، استطلقت طبيعة الغباوة ، فشفى من سوء التفهم ، وأورث صحة التوهم (وقال الكحال) كما أن الرمد قذى الأبصار ، فكذا الشبهة قذى البصائر ، فاحل عين اللكنة بميل البلاغة ، واجل رَمَص الغفلة ، بمرود اليقظة — ثم قال : أجمعوا كلهم على أن أبلغ الكلام ما إذا شرقت شمسُه ، انكشف لبّسه ، وإذا صدقت أنواده ، اخضرت أحماءه ^(٤)

﴿ فقر فى وصف البلاغة لغير واحد ﴾ قال اعرابى : البلاغة التقرب

(١) لم تنض : لم تمح (٢) اللحمة والسدى : ما يسدى وياحم به الثوب

(٣) انه لمعجب أن يرى السكاكى أن التخنث صنعة (٤) الاحماء : جمع حمى وهو المكان يحميه الرجل ويحميه

من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل على كثير — قال عبد الحميد بن يحيى: البلاغة تقرير المعنى في الأفهام ، من أقرب وجوه الكلام (ابن المعتز) البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام (سهل بن هارون) البيان ترجمان العقول ، وروض القلوب ، وقال : العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم (ابراهيم بن الامام) يكفي من البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء لفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع (العنابي) البلاغة مد الكلام بمعانيه اذا قصر ، وحسن التأليف اذا طال (اعرابي) البلاغة ايجاز في غير عجز ، وإطناب في غير خطل ؛ وقيل لليوناني ما البلاغة قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام * وقيل للرومي ما البلاغة ؛ قال حسن الاقتضاب عند البدهة ، والغزارة يوم الاطالة (وقيل للهندي ما البلاغة) قال وضوح الدلالة ، وانهاز الفرصة ، وحسن الاشارة (وقيل للفارسي) ما البلاغة قال معرفة الفصل من الوصل (وقال علي بن عيسى الرماني) البلاغة ايصال المعنى الى القلب في حسن صورة من اللفظ

صفة البلاغة والبلغاء

(ومن كلام أهل العصر) في صفة البلاغة والبلغاء : أبلغ الكلام ما حسن ايجازه ، وقل مجازه ، وكثير إعجازه ، وتناسبت صدورده وأعجازه — أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه ، ويؤنس مضيقه — البليغ من يجتنى من الألفاظ أنوارها ، ومن المعاني ثمارها — ليست البلاغة أن يظال عنان القلم أو سنانها ، أو ييسط رهان القول وميدانه ، بل هي أن يبلغ أمد المراد بالفاظ أعيان ، ومعان أفراد ، من حيث لا تزيد على الحاجة ، ولا اخلال يفضي إلى الفاقة — البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الاذهان ، ولا يسلك الا ببصائر البيان * فلان يعبث بالكلام ، ويقوده بألين زمام ، حتى كأن الالفاظ تتحاسد في التسابق الى خواطره ، والمعاني تتغاير في الانثيال على أنامله . هذا كقول أبي تمام الطائي

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له * حتى ظننت قوافيه مستقتل
 — فلان مشرفى المشرق ، وصيرفى المنطق ، البيان أصغر صفاته ، والبلاغة
 عفو خطراته ، كأنما أوحى بالتوفيق الى صدره ، وحسن الصواب بين طبعه وفكره ،
 — فلان يحز مفاصل الكلام ، ويسبق فيها الى درك المرام ، كأنما جمع الكلام حوله حتى
 انتقى منه وانتخب ، وتناول منه ما طلب ، وترك بعد ذلك أذنا لا رءوسا ، وأجسادا
 لا نفوسا — فلان يرضى بعفو الطبع ، ويقنع بما خف على السمع ، ويوجز فلا يخل ،
 ويطنب فلا يمل — لله فلان أخذ بأزمة القول يقودها كيف أراد ، ويجذبها أنى شاء ،
 فلا تعصيه بين الصعب والذلول ، ولا تسلمه عند الحزونة والسهول ، كلامه يشتد
 مرة حتى تقول الصخر الأملس ، ويلين تارة حتى تقول الماء أو أسلس ، يقول
 فيصول ، ويجيب فيصيب ، ويكتب فيطبق المفصل ، وينسق الدر المفصل ، ويرد
 مشارع الكلام وهي صافية لم تطرق ، وجمامة لم ترنق ^(١) خاطره البرق أو أسرع
 لمعا ، والسيف أو أحد قطعا ، والماء أو أسلس جريا ، والفلك أو أقوم هديا ، هو
 ممن يسهل الكلام على لفظه ، وتزاحم المعاني على طبعه ، فيتناول المرمى البعيد
 بقليل سعيه ، ويستنبط المشرع العميق يسير جريه ، لسانه يفلق الصخور ، ويغيض
 البحور ، ويسمع الصم ، ويستنزل العصم ^(٢) خطيب لا تناله حُبسة ، ولا ترتبه
 لكنة ، ولا تمشى فى خطابه رثة ، ولا تتحيف بيانه عُجمة ، ولا تعترض لسانه
 عُدَّة * فلان رقيق الأسئلة ، عذب العذبة ^(٣) لو لوضع لسانه على الشعر حلقه ،
 أو على الصخر قلعه ، أو على الصفاخرقة ^(٤) قد أحسن السقارة ، واستوفى العبارة ،
 وأدى الالفاظ ، واستغرق الاغراض ، وأصاب شواكل المراد ، ^(٥) وطبق
 مفاصل السداد ، وبسط لسان الخطاب ، ومدّ أطناب الاطناب ^(٦) ، وطلب الأمد
 فى الاِسهاب ، قال حتى قال الكلام لو أعفيت ! وكتب حتى قالت الاقلام قد
 (١) جمامة لم ترنق : ساكنة لم تعكر (٢) العصم جمع أعصم وهو الوعل
 يعصم بالجبال (٣) المراد من الأسئلة والعذبة طرف اللسان (٤) الصفا : الصخر
 (٥) الشواكل : جمع شاكلة وهي ما بين الاذن والصدغ (٦) الاطناب : الجبال

أحفيت ، قد اتسع له مَشْرَع الإِطْناب ، وانفرج له مَسْلَك الإِسْهَاب ، أرسل
لسانه في ميدانه ، قال وأطال ، وجال في بسط الكلام كل مجال ، إذا اسحنفر
في الكلام طفح آذيه ، وسال أنيه ، ^(١) وانتال عليه الكلام ، كاثيال الغمام ،
واستجاب له الخطاب ، كصوب الرِّبَاب ^(٢) ألفاظ ، كغمزات الألفاظ ، ومعان ،
كأنها فك عان ^(٣) ألفاظ كما نوّرت الأشجار ، ومعان كما تنفست الأسحار ، ألفاظ
قد استعارت حلوة العتاب ، بين الاحباب ، واستلانت كتشكى العشاق ، يوم
الفراق ، كلام قريب شاسع ^(٤) ومُطمع مانع ، كالشمس تقرب ضياءً ، وتبعد علاءً
أو كالماء ، يرخص موجوداً ، ويفلوم مفقوداً — كلام لا تمجّه الآذان ، ولا تبليه الأزمان
كالبشرى مسموعة ، أو أزهير الرياض مجموعة ، ومعان كأفاس الرياح ، تعبق بالريحان
والراح ، كلام سهل متسلسل ، كالمدام ، بماء الغمام ، يقرب إذنه على الأفهام — كلام كبرد
الشراب ، على الأكلاد الحار ، وبُرد الشباب ، في خلّع العذار ، كلام كثير العيون ،
سلس المنون ، رقيق الحواشي ، سهل النواحي — كلام هو السحر الحلال ، والماء الزلال ،
والبرود والخبر ، والأمثال والعبر ، والنعم الحاضر ، والشباب الناضر . نظرت
منه الى صورة الظرف بحتاً ، وصورة البلاغة سبكاً ونحتاً ، ألفاظ هي خدع الدهر
وعتد السحر — كلام يسرّ الحزون ، ويسهل الحزون ^(٥) ، ويعطل الدر الحزون ،
كلام بعيد من الكلف ، نقي من الكلف ^(٦) — كلام كما تنفس السحر عن نسيمه
وتبسم الدر عن نظيمه — ألفاظ تأتق الخاطر في تذهيبها ، ومعان غنى الفهم بتهديبها ،
ألفاظ حسبته من رقنها منسوخة في صحيفة الصبا ، وظننتها من سلاستها مكتوبة
في نحر الهوى — كلام كالبشرى بالولد الكريم ، قُرْع به سمع الشيخ العقيم — كلام
قرب حتى أطمع ، وبعد حتى امتنع ، وقرب حتى صار قاب قوسين أو أدنى ، ثم علا

(١) الآذنى : اللوج ، والآتى : السيل ، واسحنفر اتسع (٢) الرياب : السحاب

(٣) عان : أسير (٤) شاسع : بعيد (٥) الحزون : جمع حزن بفتح الحاء وهو

ما غلظ من الارض (٦) الكلف : تمش في الوجه ، لم تسلم منه صفحة القمر !

حتى صار بالمنزل الأعلى ، رقيق المزاج ، حلو السماع ، نقي السبك ، مقبول اللفظ
قرأت لفظاً جلياً ، حوى معناخفياً ، وكلاماً قريباً رمى غرضاً بعيداً ، لو أن كلاماً
أُذيب به صخر ، أو أطنى به حجر ، أو عوفى به مريض ، أو جبر به مهيب ^(١)
لكان كلامه الذي يقود سامعيه الى السجود ، ويمجى في القلوب كجوى الماء
في العود ، ألقاظه أنوار ، ومعانيه ثمار ، ، كلامه أنس المقيم الحاضر ، وزاد الراحل
المسافر ، كلامه يصفى اليه المقبور ، وينتفض له العصفور ، كلام يقضى حق البيان
ويتلك ريق الحسن والاحسان ، كلام منه يجتنى الدر ، وبه يُعقد السحر ، وعنده
يُعْتَب الدهر ^(٢) ، وله ينشرح الصدر

وصف النثر والشعر

(ومن ألقاظهم في وصف النظم والنثر والشعر والشعراء) نثر كثر الورد
نظم كنظم العقد ، نثر كالسحر أو أدق ، ونظم كاللؤلؤ أو أرق ، رسالة كالروضة
الأنيقة ، وقصيدة كالخندرة الرشيقة ، رسالة تقطر ظرفاً ، وقصيدة تخرج بماء الراح
إطفاً ، نثر دسحر البيان ، ونظمه قطع ألحان ، نثر كما تفتح الزهر ، ونظم كما تنفّس
السحر ، نثر ترق نواحيه وحواشيه ، ونظم تروق ألقاظه ومعانيه ، نثر كالخندقة
تفتحت أحداق وردّها ، ونظم كالخريدة توردت أسرار خدّها ^(٣) رسالة تضحك
عن غرر وزهر ، وقصيدة تنطوى على حبر ودُرر ، لم ترض في برك بأخوات النثرة
من نثر ك ، حتى وصاتها بينات الشعرى من شعرك ^(٤) كلام كما هبّ نسيم السحر ، على
صفحات الزهر ، ولذّ طعم الكرى بعد برّح السهر ^(٥) ، وشعر في نفسه شاعر ، توسم
به المواسم والمشاعر ، كلام أنسى حلاوة الأولاد بحلاوته ، وطلاوة الربيع بطلاوته

(١) مهيب : مكسور (٢) يعتب يصفو : من أعتب إذا ترضى وازال
أسباب العتب (٣) الخريدة : الفتاة الخندرة (٤) النثرة : اسم كوكب ، وكذلك
الشعرى (٥) برح السهر : شدته

وشعر من حُلَّة الشباب مسروق ، ومن طينة الوصال مخلوق ، قصيدة في قنهار فريدة ،
 هي عروس كسوتها القوافي ، وحليتها المعاني ، شعر يترقرق فيه ماء الطبع ، ويرتفع له
 حجاب القلب والسمع ، لامزية الاعجاز أخطأته ، ولا فضيلة الایجاز تخطته ، شعر
 رَوَيْته لما رأيته ، وحفظته لما لحظته ، أبيات لو جُعِلت خِلَماً على الزمان لتحلى بها
 مكثراً ، وتحلى فيها مفاخرها ، شعر راقى حتى شاقى ، فانه مع قرب لفظه بعيد المرام ،
 مستمر النظام ، قوى الأسر^(١) صافى البحر ، نظم قد ألبس من البداوة فصاحتها ،
 وُعْثِي من الحضارة سَجَاحَتِها^(٢) ، فان شئت قلت عبيد ولبيد ، وإن شئت حبیب
 والوليد ، قصيدته روضة تجتنى بالافكار ، وتَقْلُ يُتناول بالاسماع والابصار^(٣) ،
 ونقل العلم والأدب ، ألد من نقل المأكَل والمشرب ، وفاكهة الكلام ، أطيب
 من فاكهة الطعام ، نظم كنظم الجمان ، وروض كالجنان ، وأمن الفؤاد ، وطيب
 الرقاد ، قصيدة لم أر غيرها بكَراً استوفت أقسام الحُنْكَة ، واستكملت أحكام
 الدَّرْبَةِ^(٤) ، فعليها رونق الشباب ، ولها قوة المذَكِّيات الصَّلاب^(٥) ، روح الشعر
 وتاج الدهر ، ومقدمة عساكر السحر ، كل بيت شعر ، خير من بيت تَبَر ، شعر
 يُحْكَم له بالاعجاز والتبريز ، ويُشَبَّه في صفاء سبكه بالذهب الابريز ، شعر تأتلف
 القلوب على درره ائتملاً ، ونصير الأذان له أصدافاً — لله دَرُّه ما أحلى شعره ،
 وأنقى دَرُّه ، وأعلى قدره ، وأعجب أمره ، قد أخذ برقاب القوافي ، وملك رق
 المعاني ، فضله برهاق حق ، وشعره لسان صدق ، فلان يُغْرِب بما يجلب ، ويُبدع
 فيما يصنع ، حسن السبك ، محكم الرصف ، بديع الوصف ، مرغوب في شعره ،
 يتنافس في سحره ، هو ضارب في قِدَاح الشعر بأعلى السهام ، أخذ في عيون
 الفضل بأوفى الأقسام ، شعاره أشعاره ، ودأبه آدابه ، هو ممن يبتدعه فيبتدع ،

(١) الأسر . إحكام الخلقة (٢) السجاجة . استواء الصورة (٣) النقل .
 ما ينتقل به من أنواع الفواكه على الشراب (٤) الحنكة . التجربة ، والدربة :
 التعرین (٥) المذكيات والمذاكي : الخيول بلغت سن القوة

طبعه على عليه ، مالا يمل الاستماع اليه ، قريحة غير قريحة ، وطبع غير طبع^(١) ،
وخيم غير وخيم ، لبيد عنده بليد ، وعبيد لديه من العبيد ، والفرزدق عنده أقل
من فرزدقة خبير^(٢) وجريير يقاد إليه بجريير^(٣) قد نسج حللا لا يبلى جدها الجديدان
ولا تزدد إلا حسنا على تردد الا زمان ، نظمه قد نظم حاشيتي البر والبحر ، وأدرك
ناحيتي الشرق والغرب ، أشعار قد وردت المياه ، وركبت الأفواه ، وسارت
في البلاد ، ولم تسر بزاد ، وطار في الآفاق ، ولم تمش على ساق ، شعره
أسير من الأمثال ، وأسرى من الخيال ، سار مسير الرياح ، وطار بغير جناح ،
أشعاره سارت مسير الشمس ، وهبت هبوب الرياح ، وطبقت تخوم الأرض ،
وانتظمت الشرق الى الغرب ، قد كادت الأيام تنشدها ، واليا الى تحفظها ، والجن
تدرسها ، والطير تتغنى بها ، أبيات أسفر عنها طبع المجد ، فعلت كيف يتكسر
الزهر ، على صفحات الحقائق ، وكيف تغرس الدرة ، في رياض المهارق^(٤) ،
شعر قد أحسن خدمته بكمال فكره ، ووقف كيف شاء عند على أمره ، شعر
يعلق في كعبة المجد ، ويتوج به مفرق الدهر ، جاءت القصيدة ومعها عزة الملك ،
وعليها رواء الصدق ، وفيها سماء العلم ، وعندها لسان المجد ، ولها صيال الحق ،
لا غرو إذا فاض بحر العلم على لسان الشعر ، أن ينتج مالا عين وقعت على مثله ،
ولا أذن سمعت بشبهه ، ، شعر يكتب في غرة الدهر ، ويشرح في جبهة الشمس

أبو الفضل بن العميد

(وهذه جملة من فصول أهل العصر تليق بهذا الموضع)

كتب أبو الفضل بن العميد الى أبي محمد خلاد الرامهر مزي القاضى « وصل

- (١) غير طبع . غير لثيم ، وهى من طبع السيف ، على وزن علم ، اذاركه الصدا
الكثير (٢) الفرزدقة : القطعة من المعين (٣) الجريير . الحبل
(٤) المهارق . جمع مهرق ، على صيغة المفعول ، وهو الرسالة

كتابك الذي وصلت جناحه بفنون صلاتك وتفقدك ، وضروب برك وتعمدك ،
فارتحمت لكل ما أوليت ، وابتهجيت بجميع ما أهديت ، وأضفت إحسانك في
كل فصل الى نظائره التي وكلت بها ذكرى ، ووقفت عليها شكرى ، وتأملت
النظم فإلكنى العجب به ، وبهرنى التعجب منه ، وقد رمت أن أجرى على
العادة : فى تشبيهه بمستحسن من زهر جنى ، وحلل وحلى ، وشذور الفرائد ،
فى نحور الخرائد

والعذارى غدون فى الحلل البية ض وقد رحن فى الخطوط السود
فلم أره لشيء عدلاً ، ولا أراضى ما عدته له مثلاً ، والله يزيدك من فضله
ولا يخليك من إحسانه ، ويلهمك من برّ اخوانك ، ما تتمم به صنيعك لديهم ،
ويُرَبُّ معه إحسانك اليهم .

الصاحب بن عباد

وكتب أبو القاسم اسماعيل بن عباد الصاحب الى أبي سعيد الشيبى
« قد رأى شيخ الدولتين كيف الكاف بسادى من أهل ميكال أيدهم الله
بن ود أضمره على البعد ، وإيثار أظهره على تراخى المزار ، وتقريظ يمليه
على المملوكان ^(١) ومدح أنطق فيه بلسان الزمان ، حتى إن ذكرهم إذا جرى على
لسانى ، اهتزت له نفسى ، وفضلهم إذا جرى على سمعى انفرج له صدرى ، فتلك
عصبة خير فضلها باهر ، وشرفها على شرف النماء زاهر ، وشجرة طيبة أصلها
ثابت وفرعها فى السماء ، والله يتمم أعدادها ، ولا يعدمنى ودادها ، وإذا كان
إكبارى لهم هذا الاكبار ، فكل منتسب إلى جنبهم أثير لى ^(٢) ، كثير
فى يدي ، وطراً على فلان منتسباً إلى جملتهم ، وحبذا الجملة ، ومعتزياً إلى
خدمتهم ، ونعمت الخدمة ، ففررناه عن طبع سَمَح ^(٣) ، ولفظ عذب ، وصلة نثر
(١) المملوكان . الليل والنهار (٢) أثير . عزيز (٣) فررناه . اختبرناه ، والفر
فى الاصل اختبار أسنان الدابة ليعرف مبلغها من القوة

بنظم ، فان شاء قال أنا الوليد ، وان شاء قال أنا عبد الحميد ، ولم أعظم بمن
خرّجته تلك النعمة ، ونتجته تلك الشدة ، أن يأخذ من كل حسنة بعروة ،
ويقدح في كل نار بجذوة ، وآنسنا بالمقام مدة ، أكثمتها شوافع عدة ، الى أن
تذكر ما هدر رأى فيها الدهر طلقاً ، والزمان غلاماً ، والفضل رهناً ، والإفضال
لزاماً ، فحنّ حنين الركب ، وركب عزم الإياب ^(١)

أبو الفضل الميكالي

(فصل) كتبه الامير أبو الفضل عبيد الله بن احمد الميكالي الى أبي القاسم
الداوودي جواباً عن كتابه ورد عليه . وأبو الفضل رئيس نيسابور وأعمالها
في وقتنا هذا ، وسيمر من كلامه ، ونثره ونظامه ، ما يغني عن التنويه ، ويكفي
عن التنبيه ، ويجل عن التشبيه ، ويكون كما قال أبو الحسن الاخفش على بن سليمان
« استهدى ابراهيم بن المدير أبا العباس محمد بن يزيد جليساً يجمع الى تأديب ولده
الإمتاع بإيناسه ، فندبني لذلك ، وكتب اليه معي : قد أنفذت اليك أعزك الله
فلانا ، وجملته أمره انه كما قال الشاعر

إذا زرت الملوك فان حسبي * شفيعاً عندهم أن يخبروني

(وفصل لأبي الفضل) وقفت على ما أتخفى به الشيخ : من نظمه الرائق
البديع ، وخطه المزرى بزهر الربيع ، موشحاً بغرر ألفاظه ، التي لو أعيرت حليتها
لعطلت قلائد النحور ، وأبكار معانيه التي لو قُسمت حلاوتها لأعذبت موارد
البحور ، فسرت طرفي منها في رياض جادتها سحائب العلوم والحكم ، وهب عليها
نسيم الفضل والكرم ، وابتسمت عنها ثغور المعالي والهمم ، ولم أدر وقد حيرتني
أصنافها ، وبهرتني ثغورها وأوصافها ، حتى كستني اهتزازاً وإعجاباً ، وأنشأت بيني
وبين التماسك سترا وحجاباً ، ولم أدر أدهمتني لها نشوة راح ، أم ازدهتني نعمة

(١) المزيم : الجري الشديد

ارتياح ، وانتظم عندي منها عقد ثناء وقريض ، أم قرع سمعى منها غناء معبد
وغريض ، وكيفما كان فقد حوى رتبة الإعجاز والابداع ، وأصبح نزهة القلوب
والأسماع ، فما من جارحة إلا وهى نود لو كانت أذنا فتلتقط درره وجواهره ،
أو عيننا تجتلي مطالعه ومناظره ، أو لساناً يدرس محاسنه ومفاخره

وله فصل من كتاب إلى أبى منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي
« وصل كتاب مولاي وسيدى ، أبداع الكتب هوادى وأعجازا ^(١) ، وأبرعها
بلاغة وإعجازا ، فحسبت ألفاظه در السحاب ، أو أصفى قطراً وديمة ، ومعانيه در
السحاب ^(٢) ، بل أوفى قدراً وقيمة . وتأملت الايات فوجدتها فائقة النظم والرصف
عبقة النسيم والعرف ، فائزة بقداح الحسن والظرف ، مالكة لزمام القلب والظرف
ولا غرو أن يصدر مثلها عن ذلك الخاطر ، وهو هدف الفقر والنوادر ،
وصدف الدرر والجواهر ، والله يمتعه بما منحه من هذه الغرر والأوضح ، كما
أطلق فيه ألسنة الثناء والامتداح

أبو منصور الثعالبي

وأبو منصور هذا يعيش الى وقتنا هذا ، وهو فريد دهره ، وقريع عصره ،
ونسيج وحده ، وله مصنفات فى العلم والأدب ، تشهد له بأعلى الرتب ، وقد
فرقت ما اخترته منها فى هذا الكتاب ، مع ما تعلق بشا كلته من الخطاب *
منها من كتاب سماه « سحر البلاغة » قال فى صدره هذا الكتاب « أخرجت بعضه
من غرر نجوم الارض ، ونسكت أعيان الفضل ، من بلغاء العصر ، فى النثر ،
وحملت بعضه من نظم أمراء الشعر ، الذين أوردت ملح أشعارهم فى كتابى
المترجم بيتيمة الدهر ، فلففت جميع ذلك وحررته ، وسقته ونسقته ، وأنفقت
عليه مارزقته ، وعملته بكد الناظر ، وجهد الخاطر ، وتعب اليمين ، وعرق الجبين ،

(١) الهوادى والاعجاز : البدايات والنهايات (٢) السحاب : قلادة من القرنفل

وتعمدت فيه لذة الجِدَّة ، ورونق الحدائنة ، وحلاوة الطَّرَاوَةِ ، ولم أشبه بشيء من كلام غير أهل العصر ، إلا في قلائل وقلائد ، من ألفاظ الجاحظ وابن المعتز ، تخللت أثناءه ، وتوشحت تضاعيفه ، ولم أخل كلماته التي هي وسائل الآداب ، وصياقل الألباب ، وما تستمتع به أنفس الأدباء ، وتلذ أعين الكتّاب ، من لفظ صحيح ، أو معنى صريح ، أو تجنبيس أنيس ، أو تشبيه بلا شبيه ، أو تمثيل بلا مثيل ، ولا عديل ، واستعارة مختارة ، أو طباق ، ذي رونق باق ، فمن رافق هذا الكتاب قرب تناوله من الكتّاب ، إذا وشوا ديباجة كلامهم بما يقتبسونه من نوره ، وسماحة قياده لأفراد الشعراء إذا رصعوا عقود نظامهم بما يلتقطونه من شذوره ، فاما المحادثات والمحاورات ، فاتها تبرّج بغرة من غرره ، وتُوج بدرة من درره

ألفاظ أهل العصر

وقد ذكر من أخرج معظم كتابه من نثرهم ونظمهم ، وهم الصابيان والخالديان ، وبديع الزمان ، وأبو نصر بن المرزبان ، وابن أبي العلاء الإصبهاني ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو الفتح البستي ، وأبو الفضل الميكالي ، وشمس الممالي ، والصاحب بن عباد ، وجماعة يكثر بهم التعداد ، قد ذكرهم في كتابه

فكل مامر أو يمر من ذكر ألفاظ أهل العصر فمن كتابه نقلت ، وعليه عوّلت

وفي أبي منصور يقول أبو الفتح علي بن محمد البستي

قلبي رهين بنيسابور عند أخ * مامثله حين تستقرى البلاد أخ

له صحائف أخلاق مهذبة * من الحجا والعلی والظرف تندسخ

وأما الذين ذكر أسماءهم في كتابه فساظهر من سرائر شعرهم الرصين ، وأجلو

من جواهر نثرهم الثمين ، ما أخذ من البلاغة باليمين

رسائل الميكنالى

(فصل لأبى الفضل) وصل كتاب الشيخ المبشر من خبر سلامته التى هى غرة الزمان البهيم^(١)، وعذر الدهر المليم^(٢)، بما أشرقت له آفاق الفضل والكرم وتمت به نفائس الآلاء والنعم، فسرحت طرفى من محاسن ألفاظه، فى أنوار تروق أزاهرها، وقلائد تزوع دررها، وجواهرها، ومبارك يسترق الرقاب باطنها وظاهرها^(٣)

وله الى أبى سعيد بن خلف الهمداني :

وصل كتابك منحملاً من أخبار سلامتك، وآثار نعم الله بساحتك، ما أدى روح البر ونسيه، وجمع فنون الفضل وتقاسيمه، ومجددا عندى من عمر مواصلته، ومعمول كلامه ومحاورته، ما ترك غصن المقة غضاً تروق أوراقه^(٤) ووجه الثقة طلقاً يتهال لإشراقه، فكم جنيت عنه من ثمر مسرة كانت عوائق الأيام تجاذبنيه، وحويت به من علق مضنة قلما يجود الدهر بمثله لبنيه^(٥)

وله فصل الى بعض الحكام بجوين :

« وصل كتاب الحاكم قد وشّحه بمحاسن فقره، ونتائج فكره، من لفظ شهي أعطته القلوب فضل المقادة، ومعنى سنيّ جاده صوب الاصابة والاجادة، وبرّ هنيّ انفتحت على الاعتراف بفضله السنة الثناء والشهادة، فسرّحت طرفى فيما حواه من بدائع وطرف، قد جمعت فى الحسن والاحسان بين واسطة وطرف حتى لم تبق فى البلاغة يتيمة الا نظمها، ولا فى الظرف غنيمة الا اقتسمتها، ولا فى البر نقيصة الا جبرتها وتمتها

وله الى الأمير السيد أبيه يهنئه بالقدوم

(١) البهيم : المظلم (٢) المليم : المذنب (٣) مبار : جمع مبرة (٤) المقة : الحب (٥) العلق : الشيء النفيس

كتبت وأنا بمنزلة من ارتد اليه شبابه بعد المشيب ، وارتدى برداء من العمر قشيب ^(١) والحمد لله رب العالمين ، وصل كتاب مولاي مبشراً من خبر عوده الى مقر عزه وشرفه ، محروسا في حفظ الله وكنفه ، بما لم تزل الآمال تتنسم رواحه ، وتترقب غادي صنع الله فيه ورائحه ، واثقة بأن عادة الله الكريمة عنده تسايره وتراققه ، وتلزم جنابه فلا تفارقه ، حتى تخرجه من غمرة الغمائم ، خروج السيف من الغمد ، والبدر بعد السرار ، الى الانجلاء ، فعددت يوم وروده عيداً أعاد عهد السرور جديداً ، وردّ طرف الحسود كايلاً وقد كان حديداً ، ولم أشبهه في اهداء الروح والشفاء ، وتلا في الروح بعد أن أشفى على المكروه كل الاشفاء ^(٢) إلا بقميص يوسف حين تلقاه يعقوب عليه السلام من البشير ، وألقاه على وجهه فنظر بعين البصير ، فكلم أوسعته لثماً واستلاماً ، والتقطت منه برداً وسلاماً ، حتى لم تبق غلة في الصدر إلا برّذتها ، ولا غمة في النفس إلا طردتها ولا شريعة من الأنس إلا وردتها

وله فصل من رسالة

وكان فرط التعجب مرة ، وعظيم الاعجاب تارة ، يقف بي عند أول فصل من فصوله ، ويشبطني من استيفاء غرره وحجوله ، ويوهمني ان المحاسن ما حوته قلائده ، ونظمته فرائده ، فليس في قوس احسان وراءها منزع ^(٣) ولا لاقتراح جنان فوقها منطلق ، حتى اذا جاوزته الى لفه وتزيينه ، وأجلت فكري في نكته وعبونه ، رأيت ما ببحير الطرف ، ويعجز الوصف ، ويعلو على الأول محلا ومكاناً ويفوقه حسناً واحساناً ، فرتعت كيف شئت في رياضه وحداثته ، واقتبست نور الحكم من مطالعه ومشاركه ، وسألت لمعانيه وألفاظه فضيلة السبق والبراعة ،

(١) قشيب : جديد (٢) أشفى على المكروه : أشرف عليه (٣) منزع ، على وزن منبر ، السير الذي ينتزع به ، ويقولون : لم يبق في قوس الصبر منزع ، يريدون ان الصبر نفذت أسبابه

وتلقينها بواجبها من النشر والإذاعة ، فانها جمعت الى حسن الایجاز ، درجة
الاعجاز ، والى فضيلة الإبداع ، جلالة الموقع فى القلوب والأسماع
وله من فصل :

« وصل كتاب الشيخ فنشر عندى من حُلِّ إفضاله واكرامه ، ومحاسن
خطابه وكلامه ، ما لم أشبهه الا بأنوار النجود^(١) وحَبَر البرود ، وقلائد العقود

وصف الأمير أبى الفضل

وذكر أبو منصور الثعالبي الأمير أبا الفضل فى كتاب فقه اللغة فقال فى بعض
فصوله : من أراد أن يسمع سر النظم ، وسحر الشعر ، ورُقِيَّة الدهر ، ويرى
صَوْب العقل ، وذَوْب الظُّرْف ، ونتيجة الفضل ، فليستشده ما أسفر عنه طبع مجده
وأثمه على فكره ، من مُلَح تَمَزَج بالنفوس لنفاستها ، وتُشْرِب بالقلوب لسلاستها
قوافٍ اذا ما رواها المشو * قهرت له الغانيات القُدُودا

كسُون عبيداً ثياب العبيد * وأضحى لبيد لديها بليدا
وإيم الله مامرٌ يوم أسعفتى فيه الزمان بمواجهة وجهه ، وأسعدنى بالاقْتباس
من نوره ، والاغتراف من بحره ، فشاهدت ثمار المجد والسُودد تنثُر من شمائله ،
ورأيت فضائل الدهر عيالا على فضائله ، وقرأت نسخة الفضل والكرم من
الحاظه ، وانتهيت فضائل الفوائد من ألقاظه ، إلا تذكرت ما أنشدنيه أدام الله
تأييده لابن الرومى

لولا عجائب صنع الله ما ثبتت * تلك الفضائل فى لحم ولا عَصَبِ
وقول الطائى

فلو صوّرتَ نفسك لم تزدِها * على ما فيك من كرم الطباع

(١) النجود : جمع نجد ، وهو ما ارتفع من الارض ، وفيه ينبع الزهر

وقول كُشاجم

ما كان أحوج ذا الكمال الى * عَيْبٍ يُوقِيهِ مِنَ الْعَيْنِ

وربعت بقول أبي الطيب

فان تغق الأنام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

ثم استعرت فيه بيان أبي اسحق الصابي حيث يقول للصاحب «ورثه الله أعمارها
كما بلغه في البلاغة أنوارها» شعر

الله حسبي فيك من كل ما * تعوذ العبد على المولى

فلا تزل ترفل في نعمة * أنت بها من غيرك الأولى

وقال في فصل منه « وما أنسَ لا أنسَ أيامي عنده بغير وزاباد احدى قراه

برستاق جوين ، سقاها الله ما يحكى أخلاق صاحبها من سيل القطر ، قائمها كانت

بطلعته البدرية ، وعشرته العطرية ، وآدابه العلوية ، وألفاظه اللؤلؤية ، مع

جلائل نعمه المذكورة ، ودقائق كرمه المشكورة ، وفوائد مجالسه المعمورة ، ومحاسن

أقواله وأفعاله ، التى يعيا بها الواصفون ، ، أنهم وذجات من الجنة ، التى وعد الممتقون

وإذا تذكرتها فى تلك المراجع ، التى هى مراتع النواظر ، والمصانع ، التى هى مطالع

العيش الناضر ، والبساتين التى إذا أخذت بدائع زخارفها ، ونشرت طرائف

مطارفها ، طوى لها الديباج الخسر وانى ، ونفى معها الوشى الصنعانى ، فلم تشبه إلا

بشيمه ، وآثار قلعه ، وأزهار كلمه ، ، تذكرت سحر أوسيا ، وخير أعينها ، وارتياحا

مقيما ، وروحاً وربحاً وانوعيا . وكثيراً ما أحكى للاخوان انى استغرقت أربعة أشهر

بحضرتة ، وتوفرت على خدمته ، ولازمت فى أكثر أوقاى على مجلسه ، وتعطرت

بغبار موكبه ، فبالله يمينا كنت غنيا عنها لو خفت لإنها ، أنى ما أنكرت

طرفاً من أخلاقه ، ولم أشاهد الا مجداً وشرفاً من أحواله ، وما رأيتة اغتاب غائباً

أو سباً حاضراً ، أو حرم سائلاً ، أو خيب آملاً ، أو أطاع سلطان الغضب

في الحضر ، أو تسلي بنار الضجر في السفر ، أو بطش بطش المتجبر ، ولا وجدت المآثر إلا ما يتعاطاه ، والمآثم إلا ما يتخطاه .

وقال في فصل منه بصفه « وأما فنون الأدب فهو ابن بجدتها^(١) وأخو جملتها وأبو عذرها^(٢) ومالك أزمته ، وكأنا يوحى إليه في الاستئثار بمحاسنها ، والتفرد ببدائعها ، والله هو إذا غرس الدر في القراطيس ، وطرز بالظلام رداء النهار ، وألقت بحار خواطره ، جواهر البلاغة على أنامله ، فهناك الحسن برؤيته ، والحسن بكليته

أمراء البيان

وذكر عمر بن علي المطوعي في كتاب ألفه في شعر أبي الفضل ومنثوره والشعراء فقال : رأيت أهل هذه الصناعة قد تشعبوا على طرق ، وانقسموا على ثلاث فرق ، فمنهم من اكتسب كلامه شرف الاكتساب ، دون شرف الانتساب ، كالملكسين من الشعراء بالمدايح ، المترشحين بها لأخذ الجوائز والمناح ، وهم إلا كثرون من أهل هذه الصناعة ، ومنهم من شرفت بنات فكره عند أهل العقول ، وجلبت لديهم فضائل القبول ، اشرف قائمها لا لكثرة عقائلها ، وكرم واشبهها لا لرقه حواشيه ، كالعدد الكثير ، والجم الغفير ، من الخلفاء والأمراء والجلة والوزراء ، ومنهم من أخذ بجبل الجودة من طرقيه ، وجمع رداء الحسن من حاشيتيه ، كامرئ القيس بن حجر الكندي في المتقدمين ، وهو أمير الشعراء غير منازع ، وسيدهم غير مجاذب ولا مدافع ، وعبد الله بن المعتز بالله أمير المؤمنين في المولدين ، وهو أشعر أبناء الخلافة الهاشمية ، وأبرع انشاء الدولة العباسية ، ومن جلّ كلامه في التشبيه ، عن أن يمثل بنظير أو شبيه ، وغلت أشعاره

(١) ابن بجدتها . هو الخبير بها ، وتقول . فلان عالم ببجدة أمرك ، أى بحقيقته

(٢) أبو عذرها . العذر : البكارة ، وأبو عذرها أول من افتضاها ، كناية عن المهارة

في الأوصاف ، عن أن تتعاطاها ألسنة الوُصَّاف ، والأمير أبي فراس بن حمدان
 فارس البلاغة ، ورجل الفصاحة ، ومن حكمت له شعراء العصر قاطبة بالسيادة ،
 واعترفت لكلامه بالاحسان والاجادة ، حتى قال أبو القاسم اسماعيل بن عباد
 صاحب : بدئ الشعر بملك وختم بملك ، يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وهذه
 الطائفة أشهر الثلاثة تقدماً ، وأنبئها في مواطن الفخر ومواطن الشرف قدماً ،
 وأسبق الشعراء في ميدان البلاغة ، وأرجحهم في ميزان البراعة ، فإن الكلام
 الصادر عن الأعيان والصدور ، أقر للعيون وأشفي للصدور ، فشرف القلائد
 بمن قلدها ، كما أن شرف العقائل بمن ولدها

وخير الشعر أكرمه رجالاً * وشر الشعر ما قال العبيدُ

وإذا اتفق من اجتمعت فيه هذه الشرائط ، وانتظمت عنده هاتيك
 المحاسن ، كان خليقاً بأن يُخلد في صحائف القلوب أشعاره ، وتُدوّن في ضمائر
 النفوس آثاره ، وتكتب على الأحداق والعيون أخباره ، وجديراً بأن يختص
 بسرعة المجال في المجالس ، وخفة المدار في المدارس ، كالأمير الجليل السيد مولانا
 أبي الفضل من نال السماء بفضلِهِ * ومن وعدته نفسه بزيادة
 تود عقود الدر لو كن الغظة * فينظمها من توأم وفريد

وصف البلاغة

وهذه مقطعات لأهل العصر في وصف البلاغة . قال أبو الفتح البستي
 مدحتك فالتامت قلائد لم يفز * بأمثالها الصيّد الكرام الأعظم
 لأنك بحرٌ والممانى لآلى * وفكري غواصٌ وشعري ناظم
 وقال أيضاً

ما إن سمعت بنواري له ثمر * في الوقت بُمتع سمع المرء والبصرا
 حتى أتاني كتابٌ منك مبسم * عن كل لفظ ومعنى يشبه الدررا

فكان لفظك في لألائه زهراً * وكان معناه في أنثائه نمراً
تسابقاً فأصابا القصد في طلقٍ * لله من ثمر قد سبق الزهراً
وقال أيضاً :

لما أتاني كتاب منك مبتسم * عن كل برٍّ ولفظ غير محدودٍ
حكمت معانيه في أثناء أسطره * آثارك البيض في أحوالي السودِ
كانه ألمٌ بقول الطائي

يرى أقبح الأشياء أوبةً آملٍ * كسبها يد المأمول حلة خائبٍ
وأحسن من نورٍ تفتح الصبا * بياض العطايا في سواد المطالب
وقال أبو الفتح البستي في أبي نصر أحمد بن علي الميكالي

جمع الله في الأمير أبي له * برخصاً لا تعلو بها الأقدارُ
راحةً برّةً وصدرًا فضاءً * وذكاءً تبدوله الأسرار
خطه روضة وألفاظه الأرز * هار يضحكن والمعاني ثمارُ

وقال عمر بن علي المطوع يمدح أبا الفضل الميكالي من قصيدة

والى الأمير بن الأمير المعتلى * بكال سُودده على الأمراء
وطئت بي الوجناء وجنة مهمي * متقاذف الأكناف والأرجاء (١)
كما ألاحظ منه في أفق العلى * فلسكاً يدير كواكب العلياء
كالبر غير دوامه متكاملاً * كالبحر غير عذوبة وصفاء
بالفضل يكنى وهو فيه كامنٌ * كالرّمي يكنى في زلال الماء
يامن إذا خط الكتاب يمينه * أهدى البنا الوثني من صنعاء
لم تجر كفك في البياض موقعاً * إلا نجلت عن يد بيبضاء
قرمٌ يدها وقلبه مامنهما * في النظم والإعطاء إلا الطائي (٢)

(١) الوجناء . الناقة الصلبة ، من الوجين وهي الأرض الغليظة — المهمة : الوادي
المقفر — متقاذف الأكناف : متباعد الأطراف (٢) القرم : السيد — الطائي

وقال فيه أيضا

كلام الأمير الندب في ثنى نظمه * ينوب عن الماء الزلال لمن يظما^(١)
فتروى متى تروى بدائع نظمه * ونظما إذا لم ترو يوما له نظما
وكتب إليه أيضا

أقول وقد جادت جفوني بأدمع * كأني قد استمليت من السُخب
وقد علقت بي للنزاع نوازع * كتبني مُعانة العناء على قلبي
إلى سيّد أوفى على الشمس قدره * وزادت معاليه ضياء على الشهب
أبي الفضل من راحت فواضل كفه * وراحته تُربى على عدد الترب^(٢)
سقى الله أرضاً حل فيها سحائبها * كئنا لله الغياض أو لفظه العذب
سحائب يحدوها نسيم كخلقه * ويقدمها برق كصارمه العضب^(٣)
ولا زال أفلاك السعود مطيفة * بحضرته تنتابها وهو كالقطب

وقال أبو منصور الثعالبي للأمير أبي الفضل :

لك في الفضائل معجزات جمة * أبداً الفيرك في الورى لم تُجمع
بحران بحر في البلاغة شابه * شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي
كالنور أو كالسحر أو كالدرّ أو * كالوشى في بردٍ عليه موشع^(٤)
شكراً فكم من فقرّة لك كالغنى * وافي الكريم بعيد فقر مدقع^(٥)
وإذا تفتق نور شعرك ناصراً * فالحسن بين مرصع ومصرّع
أرجلت فرسان الكلام ورضت أفـ * راس البديع وأنت أجد مبدع
ونقشت في فصّ الزمان بدائماً * تزرى بأثار الربيع الممرع^(٦)

في الكرم هو حاتم ، وفي النظم أبو تمام (١) الندب : الشهم (٢) تربى : تزيد

(٣) الصارم العضب : السيف القاطع (٤) موشع : ذور قوم وطرائق (٥) فقر

مدقع : شديد ، لصق صاحبه بالدقعاء وهي التراب (٦) الممرع : المملوء بالكلأ والعشب

يَاهْدِي الطَّرْفَ الجَوَادَ كَأَنَّمَا * قد أفلوه بالرياح الأربع^(١)
 لا شئ أَمْرَعُ منه إلا خاطري * في شكر نائلك اللطيف المَوْقِعِ
 ولو انني أنصفت في إكرامه * لجلال مُهْدِيهِ الكَرِيمِ الأَرْوَغِ^(٢)
 أنظمتُه حَبَّ القُلُوبِ لِحَبِّهِ * وجعلت مربوطه سواد المدمع
 وخلصت ثم قطعت غير مضيقٍ * بُرْدَ الشَّبَابِ لَجَلِّهِ والْبُرْقِعِ
 وكتب اليه في جواب كتاب ورد عليه

أَنَسِمُ الرِّيَاضَ حَوْلَ الغَدِيرِ * مازجته رِيًّا الحَبِيبِ الأَثِيرِ^(٣)
 أَمْرُودَ البَشِيرِ بالنَّجْحِ مِنْ فَكِّ * أُسِيرِ أَوْ يُسِرُّ أَمْرَ عَسِيرِ
 فِي مُلَاءٍ مِنَ الشَّبَابِ جَدِيدِ * نَحْتَ أَيْكَ مِنَ التَّصَابِي نَضِيرِ^(٤)
 أَمْ كِتَابِ الأَمِيرِ سَيِّدِنا الْفَرِ * دُفِيَا حَبْذا كِتَابِ الأَمِيرِ
 وَنَمَارَ الصَّدُورِ مَا أَجْتَنِيهِ * مِنْ سَطُورِ فِيهَا شِفَاءُ الصَّدُورِ
 نَمَقَّتْهَا نَامِلٌ تَفْتَقُ الأَنَوا * رَ وَالزَّهْرَ فِي رِيَّاضِ السَطُورِ
 كَأَلْنِي قَدْ جُمِعَ فِي النِّعَمِ الْفَرِ * مَعَ الأَمْنِ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْورِ
 يَا أَبَا الْفَضْلِ وَابْنَهُ وَأَخَاهُ * جَلَّ بَارِيكَ مِنْ لَطِيفِ خَبِيرِ
 شَيْمٌ يَرْتَضِعُ دَرًّا مَعَالَى * وَيُعَبِّرُنْ عَنْ نَسِيمِ الْعَبِيرِ
 وَسَجَايَا كَأَنَّهُنَّ لَدَى النَّشْ * وَرُضَابِ الْحَيَا بِأَرْزِي مَشُورِ^(٥)
 وَمُحْيَا لَدَى الْمُلُوكِ مَحْيَا * صَادِقِ الْبَشْرِ مُخْجَلٍ لِلْبَدُورِ

فأجابه أبو الفضل بأبيات يقول فيها في صفة أبياته

وَهْدِي زُفْتُ إِلَى السَّمْعِ بَكْرٍ * تَهَادِي فِي حَلِيَةِ وَشُدُورِ^(٦)

(١) الطرف : الحصان (٢) الاروع : الذكي الروع ، بضم الراء ، وهو الفؤاد

(٣) الأثير : العزيز (٤) الأيك : الشجر الملتف (٥) الأرى : المسل ، والمشور

المصفي ، تقول ، شار المسل واشتاره إذا صفاه من الاقراص

(٦) الهدى : على وزن غنى ، هي العروس ، والشُدُور قطع الذهب

عجب الناس أن بدت من سوادٍ * في بياضِ كالمسك في الكافور
نُظِمت في بلاغةٍ من معانٍ * مثل نظم العقود فوق النحور
كم تذكرت عندها من عهودٍ * للتلاقى في ظل عيش نصير
فدمت الزمان اذ ضنَّ عنا * بأجتماع يضم شمل السرور
ولئن راعنا الزمان بين * ألبس الأُنس ذلة المهجور
فمسي الله أن يعيد اجتماعاً * في أمانٍ من حادثات الدهور
إنه قادر على ردِّ ما فا * ت وتيسير كل أمرٍ عسير

الوزير المهلبى

وقال أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابى فى الوزير المهلبى
قل للوزير أبى محمد الذى * قد أعجزت كل الورى أوصافه
لك فى المجالس منطق يشفى الجوى * ويسوغ فى أذن الأديب سلافة
وكان لفظك جوهر متنخلٌ * وكأنا آذاننا أصدافه (١)

والمهلبى هذا هو أبو محمد الحسن بن هارون بن ابراهيم بن عبد الله بن يزيد
ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، وُزِّر لأحمد بن بويه الديلمى ، وكانت وزارته
سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، وكان أبو محمد من سرّوات الناس ، وأدبائهم ،
وأجوادهم ، وأعفائهم ، وفيه يقول أبو اسحق الصابى

نعم الله كالوحوش فما تأ * لف الا الأخابر النساكا
نفرتها آثام قوم وصير * ن لها البر والتقى أشراكا

وكان قبل اتصاله بالسلطان سائحاً فى البلاد ، على طريق الفقر والتصوّف ،
قال أبو على الصوفى كنت معه فى بعض أوقاته أماشيته فى إحدى طرقاته فضجر
لضيق الحال فقال

ألا موتٌ يباع فأشتريه * فهذا العيش مالا خير فيه
ألا رَحِمَ المهيمَن نفس حرٍّ * تصدَّق بالوفاة على أخيه
ثم تصرف بما يرضيه الدهر ، وبلغ المهلب مبلغه . قال أبو علي : دخلت البصرة
فاجتزت بسرٍّ من رأى ، وإذا أنا بننا شطيات وحراقات وزيارات وطيارات في عُدَّة
وعدد^(١) فسألت لمن هذا فقبل للوزير المهلب واعتوا لي صاحبي ، فوصلت إليه
حتى رأيته ، فكنتبت إليه رقعة وتوصلت حتى دخلت فسلمت وجلست حتى خلا
مجلسه فدفعت إليه الرقعة وفيها

ألا قل للوزير بلا احتشامٍ * مقال مذكر ما قد نسيه
أنتذكر إذ تقول لضيق عيشٍ * ألا موتٌ يباع فأشتريه
فنظر إلى وقال : نعم ثم نبض وأنهضني معه إلى مجلس الأُس ، وجعل
يذاكرني ماضى ، ويذكر لي كيف ترقى حاله ، وقدم الطعام فطعمنا ، وأقبل
ثلاثة من العلمان على رأس أحدهم ثلاث بدر^(٢) ، ومع الآخر نخوت وثياب ، ومع
الآخر طيب وبخور ، وأقبلت بغلة رائعة بسرج ثقيل ، فقال : يا أبا علي تفضل
بقبول هذا ولا تتخلف عن حاجة تعرض لك . فشكرته وانصرفت ، فلما هممت
بالخروج من الباب استردني وأنشدني بديها

رقَّ الزمان لفاقي * ورثي لطول تحرُّق
وأنا لى ما أرنجى * وأجار مما أتقى
فلا غفرنَّ له الكثرة — بر من الذنوب السُّبق
إلا جنائنه التي * فعل المشيب بمفرقي

(١) الحراقات . السفن ، والزيارات المذهبات ، والطيارات الخيول السريعة الجرى
كانها تطير (٢) البدر : جمع بدرة وهي كيس الدنانير

الحكمة ضالة المؤمن

قال بعض العلماء : العقول لها صور مثل صور الأجسام ، فإذا أنت لم تسلك بها سبيل الأدب حارت وضلت ، وإن بعثتها في أوديتها كأت وملت ، فاسلك بعقلك شعاب المعاني والفهم ^(١) ، واستبقه بالجمام للعلم ^(٢) وارثد لعقلك أفضل طبقات الأدب ، وتوق عليه آفة العطب ، فإن العقل شاهدك على الفضل ، وحارسك من الجهل . واعلم أن مغارس العقول كمغارس الأشجار ، فإذا طابت بقاع الارض للشجر زكا ثمرها ، وإذا كرمت النفوس للعقول طاب خيرها ، فاغمر نفسك بالكرم تسلم من الآفة والسقم ، واعلم أن العقل في النفس اللثيمة ، بمنزلة الشجرة الكريمة ، في الارض الذميمة ، ينتفع بثمرها على خبث المغرس ، فاجتن ثمر العقول وإن أذاك من لثام الأنفس . وقيل : الحكمة ضالة المؤمن ، أينما وجدها أخذها . وسمع الشعبي الحجاج بن يوسف وهو على المنبر يقول : أما بعد فإن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء ، فلا فناء لما كتب عليه البقاء ، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء ، فلا يغرنكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة ، وأقصروا من الأمل ، لقصر الأجل . فقال : كلام حكمة خرج من قلب خرب ! وأخرج الواحه فكتب . وقد روى ذلك عن سفيان الثوري . وقد سَمِعَ ابراهيم بن هشام وهو يخطب المنبر ويقول : إن يوماً أشاب الصغير ، وأسكر الكبير ، ليوم شره مستطير !

وصف الكتاب

قال الجاحظ : الكتاب وعاء مليّ علماً ، وظرفٌ حشويٌّ ظرفاً ، وبستانٌ يحمل في رَدْنٍ ^(٣) وروضةٌ تَقْلِبُ في حجر ، ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحياء (وقال) من صنف كتاباً فقد استهدف ^(٤) فإن أحسن فقد استعطف ، وإن

(١) الشعاب جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق في الجبل (٢) الجمام بكسر الجيم الراحة (٣) الرَدْن . السكم (٤) استهدف : صير نفسه هدفاً لسهام النقد

أساء فقد استقذف ^(١) وقال : لا أعلم جاراً أبر ، ولا خليطاً أنصف ، ولا رفيقاً
أطوع ، ولا معلماً أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، وأقل جنائية ، ولا أقل إملا لا
وإبراما ، ولا أقل خلافا وإجراما ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعد من عَصِيَّة ^(٢) ولا
أكثر أعجوبة ونصرفا ، ولا أقل صلفا وتكلفا ، ولا أبعد من مراء ، ولا أترك
لشغب ، ولا أزهّد في جدال ، ولا أكف عن قتال ، من كتاب . ولا أعلم
قربنا أحسن مؤاتاة ، ولا أعجل مكافأة ، ولا أحضر معونة ، ولا أقل مؤنة ،
ولا شجرة أطول عمرا ، ولا أجمع أمراً ، ولا أطيّب ثمرة ، ولا أقرب مجتنى ،
ولا أسرع إدراكا في كل أوان ، ولا أوجد في غير إبان ، من كتاب . ولا أعلم
نتاجاً في حداثة سنه ، وقرب ميلاده ، ورخص نمته ، وإمكان وجوده ، يجمع
من التدابير الحسنة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأخبار
عن القرون الماضية ، والبلاد المترامية ، والأمثال السائرة ، والأمم البائدة
ما يجمع الكتاب لا

نجابة المأمون

(ودخل الرشيد) على المأمون وهو ينظر في كتاب ، فقال : ما هذا؟ فقال :
كتاب يشحذ الفكرة ، ويحسن العشرة . فقال : الحمد لله الذي رزقني من يرى
بين قلبه ، أكثر مما يرى بعين جسمه . وقيل لبعض العلماء : ما بلغ من سرورك
بأدبك وكتبك ؟ فقال : هي إن خلوت لذتي ، وإن اهتممت سلوكتي ، وإن قلت
إن زهر البستان ، ونور الجنان ، يجلوان الأبصار ، ويمتعان بحسنهما الألفاظ ،
فإن بستان الكتب يجلو العقل ، ويشحذ الذهن ، وبحبي القلب ، ويقوى القريحة ،
وبعين الطبيعة ، ويبعث نتائج العقول ، ويستدير دقائن القلوب ، ويمتّع في الخلو
ويؤنس في الوحشة ، ويضحك بنوادره ، ويسر بغرائب ، ويفيد ولا يستفيد ،

(١) استقذف : عرض نفسه للقف (٢) العصية : الافك

ويعطى ولا يأخذ ، وتصل لذته الى القلب ، من غير سامة تدركك ، ولا مشقة تعرض لك **وقال أبو الطيب المتنبي**

، وللسرّ منى موضع لا يناله * نديم ولا يفيض اليه شراب
وللخود منى ساعة ثم يئنا * فلاة الى غير اللقاء نجاب^(١)
وما العشق الا غرة وطاعة * يعرض قلب نفسه فيصاب
وغير فؤادى للغوانى رمية * وغير بنائى للرخاخ ركاب^(٢)
تركنا لأطراف القنا كل لذة * فليس لنا الا بهن لعاب^(٣)
ونصرفه للطعن فوق سواج * قد انقصت فيهن منه كعاب^(٤)
أعز مكان فى الدنيا سرج ساج * وخير جليس فى الزمان كتاب

(فقر فى الكتب) إتفاق الفضة على كتب الآداب ، بخلافك عليه ذهب
الألباب — ان هذه الآداب شوارد ، فاجعلوا الكتب لها أزيمة — كتاب الرجل
عنوان عقله ، ولسان فضله (ابن المعتز) من قرأ سطرًا من كتاب قد خط عليه
فقد خان كاتبه ، لأن الخط يحرز ماتحته (بزر جهر) الكتب أصداف الحكم ،
تنشق عن جواهر الكلم (بعض الكتاب) إعجام الخط يمنع من استعجابه ،
وشكله يؤمن من إشكاله . كأن هذا الكاتب نحا الى قول أبي تمام
ترى الحادث المستعجم الخطيب معجمًا * لديه ومشكولا إذا كان مشكلا
ما كتب قرّ ، وما حفظ فرّ — الخطوط المعجمة ، كالبرود المعلمة .

وقال ابن المعتز يصف كتابا

وذى نكت موشى نقتنه * وحاكته الأنامل أى حوك
بشكل يرفع الاشكال عنه * كأن سطورره أغصان شوك

(١) الخود: الفتاة الجميلة — تجاب: تقطع (٢) رمية فريسة . والرخاخ جمع رخ ،
وهو من أدوات الشطرنج (٣) اللعاب : هو الرضاب ، ويريد الشاعر ان القنا
أحب اليه من ريق الحسناء (٤) السواج : الخيول ، والكماب اطراف القنا

تهادى الكتب

(جملة من ألفاظ أهل العصر في صفة الكتب وتهاديبها ، وما يتعلق باسمائها ومعانيها)

حضرة مولاي نجل عن أن يهدي اليها غير الكتب ، التي لا يترفع عنها كبير ، ولا يمتنع منها خطير ، وقد فكرت فيما أنفذت به مقبلا للرسم في جملة الخدم ، وحافظا للاسم في غمار الحشم ، فلم أجدا الا الرق الذي سبق ملكه له ، والمال الذي منحه وخوَّله ، فعدلت الى الأدب الذي تنفق سوقه بباب سيدنا ولا تكمد ، وتهب ربحه بجانبه ولا تركد ، وأنفذت كتابي هذا راجباً أن أشرف بقبوله ، ويوقع الى بمصوله ، ولما وجب على ذوى الاختصاص اسيدنا اهداء ما جرت العادة بتسابق الاولياء الى الاجتهاد في اهدائه ، وجب المعدول في اقامة رسم الخدمة الى اتباع ما صدر عنه من الرخصة فيما تسهل كلفته ، وتجل عند ذوى الالباب قيمته ، وتحلو ثمرته ، وهو علم يقتنى ، وأدب يجتنى

قال أبو الحسن بن طباطبا العلوى

لا تنكرن اهداءنا لك منطقاً * منك استفدنا حسنة ونظامه
فالله عز وجل يشكر فعل من * يتلو عليه وحيه وكلامه
وأهدى احمد بن يوسف الى المأمون في يوم مهرجان هدية قيمتها ألف ألف درهم
وكتب

على العبد حق فهو لا بد فاعله * وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي الى الله ماله * وإن كان عنه ذا غنى وهو قابله
قال أبو الفتح البستي

لا تنكرن إذا أهديت نحوك من * علومك الغر أو آدابك الثنفا

فقيم الباغ قد يهدى للمالك * برسم خدمته من باغه التحفا^(١)
(وكتب) أبو اسحاق الصابي إلى عضد الدولة في هذا المعنى : العبيد
تلاطف ولا تكاثر الموالى فى هداياها ، والموالى تقبل الميسور منها قبولاً هو
محسوب فى عطاياها . ولما كان أدام الله تعالى عزه مبرزاً على ملوك الأرض
فى الخطار الذى قصرُوا عنه شديداً ، والمدى الذى وقعوا منه بعيداً ، والآداب
التي عجزوا عن استعمالها فضلاً عن علمها ، والأدوات التي نكلوا عن استفهامها
فضلاً عن فهمها ، وجب أن يعدل عن اختياراتهم فيما تحظى به الجسوم البهيمية ،
إلى اختياره فيما تحظى به النفوس العلية ، وعمّا ينفق فى سوقهم العامية ، إلى ما ينفق
فى سوقه الخاصة ، إفراداً لربته العليا ، وغايته القصوى ، وتمييزاً له عن لا يجرى
معه فى هذا المضمار ، ولا يتعلق منه بالغبار ، وقد حملت إلى الخزانة عمرها الله
شيئاً من الدفاتر وآلة النجوم ، فإن رأى مولانا أن يتطوّل على عبده بالأذن فى عرض
ذلك عليه مشرفاً له ، وزائداً فى احسانه اليه ، فعل إن شاء الله تعالى

وأهدى أبو الطيب المتنبي إلى أبي الفضل بن العميد فى يوم نوروز قصيدة
مدحه فيها يقول فى آخرها

كثير الفكر كيف يهدى كما تهـدى إلى ربها الرئيس عباده
والذى عندنا من المال والخيل — بل فمه هباته وقياده
فبعثنا بأربعين مهارة * كل مهر ميدانه إنشاده
فارتبطها فان قلباً نماها * مرّبط يسبق الجياد جياده

وفى هذه الكلمة يقول وقد احتفل فيها ، واجتهد فى تجويد ألفاظها ومعانيها
فتعقب عليه أبو الفضل فى مواضع وقف عليها فقال :

هل لعنرى إلى الهمام أبى الفضل — بل قبول سواد عيني مداده
أنا من شدة الحياء عليل * مكرمات المعلّم عوّاده^(٢)

(١) الباغ : الطيب (٢) المعلّم : من اضافة اسم الفاعل الى مفعوله

ما كفاني تقصير ما قلت فيه * عن علاه حتى تناه انتقاده

ما تعودت أن أرى كأبي الفضل — وهذا الذي أناه اعتياده

غمرني فوائده شاء منها * أن يكون الكلام مما أفاده

ما سمعنا بمن أحب العطايا * فاشتبهى أن يكون منها فؤاده

وقد كان مدحه بقصيدته التي أولها

بادٍ هو اك صبرت أم لم نصبرا * وبكاك ان لم يجرد معك أو جرى

وفيها معان مخترعة ، وأبيات مبتدعة ، يقول فيها

من مبلغ الأعراب أني بعدها * جالست رسطا ليس والاسكندرا

وملت نحر عشارها فأضافني * من ينحر البدر النضار لمن قرا^(١)

وسمعت بطليموس دارس كتبه * متملكا متبديا متحضرا^(٢)

ورأيت كل الفاضلين كأنما * رد الآله نفوسهم والأعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدا * وأنى فذلك إذ أنيت مؤخرا

وفيها يقول

فدعاك حسدك الرئيس وأمسكوا * ودعاك خالقك الرئيس الأكبرا

خلقت صفاتك في العيون كلامه * كالخط يملأ مسمعى من أبصرا

أخذه من قول الطائي يصف قصائده

يقرب يراها من يراها بسمعه * ويدنو إليها ذو الحجا وهو شاسع^(٣)

وصف خطاب

كتاب كتب لي أماناً من الدهر ، وهنائي أيام العمر ، كتاب أوجب من

الاعتداد ، فوق الأعداد ، وأودع بياض الوداد ، سواد الفؤاد . كتاب النظر

فيه نعيم مقيم ، والظفر به فتح عظيم ، كتاب ارتحت لعيانه ، واهتزرت بعنوانه ،

(١) البدر : جمع بدرة وهي السكيس فيه عشرة آلاف دينار (٢) متبديا : في

أخلاق أهل البداوة (٣) شاسع : بعيد

كتاب هو من الكتب الميامين ^(١) التي تأتي من قبل اليمن ، كتاب عدوته من حُجُول العرْوَ غُرْهِ ^(٢) واعتدته من فُرْص العيش وغُرْهِ ^(٣) كتاب هو أنفُس طالع ، وأكرم متطلع ، وأحسن راقع ، وأجل متوقع ، كتاب لوقرى على الحجارة لانفجرت ، أو على الكواكب لانتثرت ، كتاب كدت أبلية طيا ونشرا ، وقبلته ألفا ويد حامله عشر ، كتاب نسيت لحسنه الروض والزهر ، وغفرت للزمان ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، كتاب أملت هزة المجد على بنائك ، ونطق به لسان الفضل عن لسانك ، أنا ألتقط من كل حرف تديره أناملك تحفة ، وآخذ من كل سطر تتجشم تخطيطه نُزْهة . اذا قرأت من خطك حرفا ، وجدت على قلبي خِفْتا ^(٤) واذا تأملت من كلامك لفظا ، ازددت من أنسى حظا . كتاب كتب لى أمانا من الزمان ، وتوقع وقع منى موقع الماء من العطشان . كتاب هو تَعِلَّة المسافر ^(٥) وأنسة المستوحش ، وزبدة الوصال ، وعَقْلَة المستوفز ^(٦) كتاب هو رُقِية القلب السليم ^(٧) وغِرَّة العيش البهيم ^(٨) كتاب هو سَمَر بلا سَهَر ، وصفو بلا كَدَر ، كتاب تمنعت منه بالنعيم الأبيض ، والعيش الأخضر ، واستلمته استلام الحجر الاسود ^(٩) ووكلت طرفى من سطوره بوشى مهمل ، وتاج مكالم ، وأودعت سمعى من محاسنه ، ما أنساني سماع الاغاني ، من مطربات الغواني — نشأت سمحابة من لفظك غيمها نعمة سابعة ، وغيشها حكمة بالغة ، سَقَتْ روضة القلب ، وقد

- (١) الميامين : جمع ميمون (٢) الحُجُول والغرر جمع حجل وغرة : بياض فى الوجه والقوائم تجعل به الحبول (٣) غرر : جمع غرة بكسر الغين وهى النزق ، وقد يحلوفى الشباب (٤) الخف والخفة : الارتياح (٥) تعلقة المسافر : ما يتلهم به لقطع الوقت (٦) المستوفز : المتعجل (٧) السلام : المذوغ (٨) البهيم : المظلم (٩) يريد انه استلمه متيمنا باستلامه كما يتقرب الحاج إلى الله باستلام الحجر الاسود (٩) انظر ما كتب عن القيان وما قال فيهن الشعراء من الشعر البارع البديع فى كتاب «أفنان الجمال»

أجهدتها يد الجذب^(١) فاهتزت وربت ، واكتسبت ما اكتسبت . كتاب حسبته ساقطاً الى من السماء ، اهتزازاً لمطلعه ، وابتهاجاً بحسن موقعه ، تناولته كما يُتناول الكتاب المرقوم ، وفضضته كما يُفض الرحيق المختوم^(٢) . كتاب كالمشترى شرف به المسير ، وقميص يوسف جاء به البشير . كتاب هو من الحسن روضة حزن ، بل جنة عدن ، وفي شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان يعقوب . قد أهديت الى محاسن الدنيا مجموعة في ورقة ، ومباهج الحلى والحلل محصورة في طبقة . كتاب الصقته بالقلب والكبد ، وشممته شمم الولد ، ورد منك المسك ذكياً ، والزهر جنيّاً ، والماء مريّاً^(٣) والعيش هنيّاً ، والسحر بابلياً — كتاب مطلعه مطلع أهلة الأعياد ، وموقعه موقع نيل المراد ، كتاب وجدته قصير العمر ، كاليالى الوصال بعد الهجر ، لم أبدأ به حتى استكمل ، وقارب الآخر منه الاول — كتاب منتقض الأطراف ، منقطع الأكتاف ، أثير الجوارح ، مضطرب الجوانح ، كتاب كأنه توقيع متحرّز ، أو تعريض متبرّز^(٤) كاد يلتقى طرفاه ، ويتقارب مُفتتحه ومُنتهاد ، كتاب التقت طرفاه صغيراً ، واجتمعت حاشيتاه قصيراً ، ما أظننى ابتدأته ، حتى ختمته ، ولا استفتحتته ، حتى أنتمته ، ولا لمحتته ، حتى استوفيته ، ولا نشرته ، حتى طويته ، وأحسبني لو لم أجود ضبطه ، ولم ألزم يدي حفظه ، اطار حتى يختلط بالجوفلا أرى منه إلا هباء منشوراً ، وهواء منشوراً ، كتاب حسبته يطير من يدي لخفته ، ويلطف عن حسي لقلته ، وعجبت كيف لم تحمله الرياح قبل وصوله إلى ، وكيف لم يختلط بالهواء عند حصوله لدى ، كتاب قص الاقتصار أجنحته ، فلم يدع له قوادم ولا خوافى ، وأخذ الاختصار جشته ، فلم يبق ألفاظاً ولا معانى ، طلع كتابك كإيماء بطرف ، أو وحي بكف

(١) أجهدتها : أشقتها ، والجذب القحل (٢) الرحيق المختوم : الخمر الممتعة التي لم تفص عن دنائها الاختام (٣) مري : مريء هنيء (٤) متبرز : متعفف ، ورجل برز ، وامرأة برزة : عفيف وعفيفة ، وكلاهما بسكون الراء

(وقال أبو العباس) عبد الله بن المعتز : استعرت من علي بن يحيى المنجم جزءاً فيه أخبار معبد ، بخط حماد بن اسحاق الموصلي ، وكان وعدني به فبعث إليّ بست ورقات لطاف ، فرددتها وكتبت إليه :

« إن كنت أردت بقولك جزءاً الجزأ الذي لا ينتجزاً فقد أصبت ، وإن كنت أردت جزءاً فيه فائدة للقارىء ، ومنعة للسامع ، فقد أخلت ^(١) وقد رددته عليك ، بعد أن طار اللحظ عليه طيرة » فأجابني (إذا كان السفر عندك منجاة فما أصنع) ^(٢)

لو عة الشوق

وقال أبو العباس دخل رجل على الحسن بن سهل بعد أن تأخر عنه أياماً فقال « ما ينقضي يوم من عمري لأراك فيه الا علمت أنه مبتور القدر ، منحوس الحظ ، مغبون الأيام » فقال الحسن : هذا لأنك توصل إليّ بحضورك سروراً لا أجده عند غيرك ، وأنسم من أرواح عشرتك ما نجد الحواس به بغيتها ، وتستوفي منه لذتها ، فنفسك تألف مني مثل ما آلفه منك »

وكان يقال : محادثة الرجال تلقيح الألباب ^(٣) ، وقال ابن الرومي

ولقد سئمت ما ربي فكأن أطيبها خبيثُ

الا الحديث فإنه مثل اسمه أبداً حديثُ

قال مخارق : لقيني أبو اسحاق اسماعيل بن القاسم قبل نسكه ، فقال : أنا والله صَبُّ بك ، ولوع اليك ، مغمور القلب بشكرك ، واللسان بكرك ، متشوّف إلى رؤيتك ، ومفاوضتك ، وقد طالت الأيام على ما أعيد به نفسي من الاجتماع معك ومن قضاء الوطر منك ، فما عندك ، أنا الفداء لك ، أنزورني أم أنزورك ؟ قلت جعلني الله فداك ، ما يكون عند من هو منك بهذا الموضع ، وفي هذا المحل ،

(١) أحال : تسكلم بالمحال (٢) المنجاة ما يتطهر به من ورق أو ماء (٣) التلقيح : ما تلقح به النخلة لتثمر

الا الاتقياد إلى أمرك ، والسمع والطاعة لك ، ولولا أن أسبىء الأدب في أمر بدأت فيه بالفضل ، لقلت إن كثير ما ابتدأت به من القول ، يقل فيما عندي من الشوق اليك ، والشفف بك ، دون ما حرك هذا القول مني ، فوجبت لك المنة به على ، وأنا بين يديك ، فائن عنائي الى ما أردت ، وقُدني كيف شئت ، تجدني كما قال القائل

ما تشبهه فاني اليوم فاءه والقلب صب فاجشمته جشما

وذكر سهل بن هارون رجلا فقال : لم أر أحسن منه فهما لجليل ، ولا تفهمه لدقيق . أشار اليه أبو تمام فقال

وكنت أعز عزا من قنوع تعرضه صفوح من ملول^(١)
فصرت أذل من معنى دقيق به فقر إلى ذهن جليل

سعيد بن مسلم والمأمون

وقال سعيد بن مسلم للمأمون : لو لم أشكر الله تعالى إلا على حسن ما أبلاني من أمير المؤمنين من قصده إلى بحديثه ، وإشارته إلى بطرفه ، لقد كان في ذلك أعظم الرفعة ، وأرفع ما توجبه الحرمة . فقال يفعل أمير المؤمنين ذلك لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الإيفاء إذا حدثت ، وحسن التفهم إذا حدثت ، مالا يجده عند أحد ممن مضى ، ولا يظن أنه يجده عند أحد ممن بقى ، فانك لتستقصى حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتخبّر بما كنت أغفلته منه .

وقال المتوكل لأبي العيناء : ما تحسن ؟ قال أفهم وأفهم . وقال بعض الحكماء لتلميذه وقد ضرب الموسيقى أفهمت ؟ قال نعم قال بل لم تفهم لأنني لا أرى عليك سرور الفهم ! وقد قيل : من نظر الى الربيع وأنواره ، والروض وأصباغه ، ولم ينتهج ، كان عديم حس ، أو سقيم نفس

أبو تمام والجارية الفارسية

ومرّ أبو تمام بأبر شهر من أرض فارس فسمع جارية تغنى بالفارسية فشاقه
شجى الصوت فقال :

وَمُسْمِعةٌ تروق السمع حسناً * ولم تُصمِعهُ لا يصمم صداها
لَوَتْ أوتارها فشجت وشاقت * فلو يستطيع حاسدها فداها
ولم أفهم معانيها ولكن * ورت كبدي فلم أجهل شداها
فكنت كأننى أعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر قات لأبى تمام أخذت هذا المعنى من
أحد ؟ قال نعم أخذته من قول بشار بن برد

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم * الاذن كالعين توفى القلب ما كانا
وقال بشار أيضا فى هذا المعنى
قالت عقيل بن كعب إذ أعلقها * قلبي فأضحى به من حبها أثر
أنى ولم ترها تهذى فقلت لهم * إن الفؤاد يرى ما لا يرى البصر
وقال

يزهدنى فى حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب
وما تبصر العينان فى موضع الهوى * ولا تسمع الاذنان الا من القلب
وقد قال أبو يعقوب الخزيمى فى هذا المعنى ، وكان قد عور ثم عمى ، وقيل
انها للخليل بن احمد

قالت أتهزأ بى غداة لقيتها * يال الرجال لصبوة العميان
فأجبتها نفسى فداؤك انما * أذنى وعينى فى الهوى سريان

وقريب من هذا قول الحكم بن قنبر وان لم يكن منه
ان كنت لست معي قالذ كرمك معي * يرعاك قلبي وان غُيِّبَتْ عن بصرى
العين تبصر من تبوى وتفقدُهُ * وناظر القلب لا يخلو من النظر
وقال آخر

أما والذي لو شاء لم يخلق الهوى * لئن غبت عن عيني فما غبت عن قلبي
تُرينيك عين الوهم حتى كأني * أناجيك من قربٍ وان لم تكن قربي
وقال أبو عثمان سعيد بن الحسن الناجم

لئن كان عن عينيَّ أحمد غائباً * فما هو عن عين الضمير بغائب
له صورة في القلب لم يُقصها النوى * ولم تتخطفها أ كف النوائب
اذا ساءنى منه شحوط مزاره * وضائق بقلبي في نواه مذاهي^(١)
عطفت على شخص له غير نازح * محلته بين الحشا والثرائب^(٢)

طرفة أدبية

وذكراً أبو عبيدة كيسان مستملية في بعض الامر فقال : ما فهم ، ولوفهم لوهم^(٣)
وكان كيسان يوصف بالبلادة والغفلة (قال الجاحظ) كان يكتب غير ما يسمع
ويستقنى غير ما يكتب ، ويقرأ غير ما يستقنى^(٤) ، ويعلى غير ما يقرأ ، أمليت
عليه يوماً

عجبت لمعشر عدلوا * بمعتمرٍ أبا عمر

فكتب أبا بشر ، وقرأ أبا حفص ، واستقنى أبا زيد

(١) الشحوط : البعد (٢) النازح : البعيد (٣) وهم : غلط
(٤) استقنى : سود

واجب الجليس

قال أبو عبيد : للمحدث على جلسيه السامع لحديثه ، أن يجمع له باله ، ويصغي إلى حديثه ، ويكنم عليه سره ، وييسر له عذره . وقال : ينبغي للمحدث إذا أنكر عين السامع أن يستفهمه عن معنى حديثه ، فإن وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث ، وإن كان لاهياً عنه حرمة حسن الإقبال عليه ، ونفع المؤانسة له ، وعرفه بسوء الاستماع والتقصير في حق الحديث ، وقال : نشاط المحدث على قدر فهم المستمع (وكان عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه يقول : حدث الناس ما جدحوك بأسماعهم ^(١) ولخطوك بأبصارهم ، فإذا رأيت منهم فتوراً فأمسك . وقال أبو الفتح البستي .

إذا أحسست في لفظي فتوراً * وحفظي والبلاغة والبيان

فلا ترتب بفهمي أن رقصي * على مقدار إيقاع الزمان

وقال عامر بن عبد قيس : الكلمة إذا خرجت من القلب ، وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان ، لم تجاوز الآذان (وقال الحسن) وقد سمع متكلماً يعظ فلم تقع وعظته من قلبه ولم يرق لها : يا هذا إن بقلبك اشراً أو بقاقي !

الحديث المعاد

(وقال محمد بن صبيح) المعروف بابن السماك لجاريته : كيف ترين ما أعظ الناس به ؟ قالت هو حسن إلا أنك تكرره ، قال : إنما أكرره ليفهمه من لم يكن فهمه ، قالت إلى أن يفهمه البطيئ يشغل على سمع الذكي — واستعيد ابن عباس حديثاً فقال : لولا أني أخاف أن أغض من بهائيه ، وأريق من مائه ، وأخلق من جدته روائيه ، لأعدته * وقال أبو تمام الطائي يصف قصائده

(١) جدحوك بأسماعهم : وجهوها نحوك

منزّهة عن السرّق المؤدى * مكرمة عن المعنى المعاد
أخذه البحتري فقال

لا يعمل اللفظ المكرّر فيه واللفظ المردّد
والاطالة مملولة كما يُملّ التكرير

أنواع الادب

وقد قال الحسن بن سهل: الآداب عشرة فثلاثة شرجانية، وثلاثة أنوشروانية
وثلاثة عربية، وواحدة أربت عليهن. فأما الشرجانية فضرب العود، ولعب
الشطرنج، ولعب الصواج، وأما الأنوشروانية فالطب، والهندسة، والفروسية،
وأما العربية فالشعر، والنسب، وأيام الناس. وأما الواحدة التي أربت عليهن:
فقطعات الحديث، والسمر، وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس. وكان يقال
خذ من العلوم نتفها، ومن الآداب طرفها، وكان يقال: مقطعات الأدب،
قراضات الذهب

وحضر بشار بن برد مجلسا فقال: لا تجمعوا مجلسنا غناء كله، ولا شعرا
كله، ولا سمرأ كله، ولكن انهبوه اثهابا

اللهو المباح

(وقال الحسن) رحمه الله: حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدثور، واقدعوا
هذه الأنفس فانها طامعة^(١) وانكم إن لا تقدعوها تنزع بكم الى شر غاية. وقال
ازدشير بن بابك: إن للأذهان كلالا، وللقلوب ملالا، ففرقوا بين الحكمتين،
يكن ذلك استجماما (ويروى) في حكمة آل داود: لا ينبغي للعاقل أن يخلّي نفسه
من أربع: عدّة لمعاده، وصلاح لمعاشه، وفكر يقف به على ما يصلحه من فساد.

(١) طلعة: كثير التطلع، والقصد الزجر

ولذة في غير محرّم يستعين بها على الحالات الثلاث .^(١)

وما أحسن ما قال أبو الفتح ابن كشاجم

عجبي ممن تناهت حاله * وكفاه الله ذلات الطلب
كيف لا يقسم شطري عمره * بين حائنين نعيم وأدب
ساعة يُمتع فيها نفسه * من غداء وشراب منتخب
ودُنُوٍّ من دُمى هنّ له * حين يشاق إلى اللعب لعب^(٢)
فاذا ما نال من ذا حظّه * فحديث ونشيد وكتب
مرّة جدّ وأخرى راحة * فاذا ما غسق الليل انتصب
فقضى الدنيا نهراً حقها * وقضى لله ليلاً ما وجب
تلك أقسام متى يعمل بها * دهره يسعد ويرشد ويصيب

تقسيم الايام

وقال أبو العباس محمد بن يزيد : قسم كسرى أيامه فقال : يصلح يوم الريح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللّهو ، ويوم الشمس لقضاء الحوائج (قال الحسن بن خالويه) ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم قد جزأ نهاره ثلاثة أجزاء ، جزء لله ، وجزء لأهله ، وجزء لنفسه ، ثم جزء جزأه بينه وبين الناس . فكان يستعين بالخاصة على العامة ، وكان يقول : أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي ، فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله تعالى يوم الفرع الاكبر

(١) انظر ما كتب عن أثر الفنون الجميلة في تقويم النفوس في كتاب « الاخلاق عند الغزالي » (٢) الذي : جمع دمية وهي الصورة توضع في المحراب لتمثل المحور العيني

لا تعدل بالسلامة شيئاً

وقال شبيب ابن شيبه : إن ابتليت بمقام لا بد لك فيه من الاطالة فقدّم أحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطل ، قبل التقدم من أحكام البلوغ في شرف التجويد . ثم اياك أن تعدل بالسلامة شيئاً ، فقليل كافٍ خير لك من كثير غير شاف (وكان جعفر بن يحيى) يقول لكتابه : ان استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا (وقال) ثمانية بن أشرس :

لم أرقط أنطق من جعفر بن يحيى بن خالد ، وكان صاحب إيجاز (وكان) أبو وائلة إياس بن معاوية على تقدمه في البلاغة ، وفضل عقله وعلمه ، بلا كثار معيبا ، والى التطويل منسوباً ، وقال له عبد الله بن شبرمة أنا وأنت لا تتفق ، أنت لا تشبهى أن تسكت ، وأنا لا أشتبهى أن أسمع ! وقيل له ما فيك عيب الا كثرة كلامك ، قال أفتسمعون صواباً أم خطأ ؟ قالوا بل صواباً . قال فالزيادة في الخير خير

فضل السكوت

(قال الجاحظ) وليس كما قال ، بل للكلام غاية ، والنشاط السامعين نهاية ، وما فضل عن مقدار الاحتمال ، ودعا الى الاستئصال والكلال ، فذلك هو الفضل والهدر ^(١) والخطل والاسهاب الذى سمعت الخطباء يعيونه . وذكر الأصمعي أن ابن هبيرة لما أراد إياساً على القضاء ، قال : إني والله لا أصلح له . قال وكيف ذلك ؟ قال لأنى دميم ، ولأنى حديد ، ولأنى عبي ، قال ابن هبيرة أما الحدة فان السوط يقوّمك ، وأما العى فقد عبرت عما تريد ، وأما الدمامة فاني لا أريد أن أحاسن بك . ولم يصفه أحد بالعى وإنما كان يعاب بالاكثر ، ولكنه أراد المدافعة عن نفسه ، والحديث ذو شجون ^(٢) (وقال) أبو العيناء ذكرت لبعض (١) الفضل ، على وزن كتاب ، المبتذل من قول أو غيره (٢) شجون : ضروب

القيان فمشقتني على السماع فلما رأني استقبحتني ، فقلت
وشاطرة لما رأني تنكرت * وقالت قبيح أخول ماله جسم
فان تنكري مني احولا لا فاني * أديب أريب لا عبي ولا قدم^(١)
فكتبت الي : إن لم نرد أن نوليكَ ديوان الزمام !

في كاء اياس

(وكان) عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب الى عدي بن أرطاة إن
قبلك رجلين من مزينة : يعني بكر بن عبد الله وإياس بن معاوية فولاً أحدهما
قضاء البصرة ، فاحضرهما ، فقال بكر والله ما أحسن للقضاء ؛ فان كنت صادقاً فما تحل
توليتي ، وان كنت كاذباً فذلك أوجب تركي ، فقال إياس : إنكم وقفتموه على
شفير جهنم ، فافندي منها يمين يكفرها ، ويستغفر الله تعالى منها ، فقال له عدي
أما اذ اهتديت لها فانت أحق بها ، فولاه . ودخل إياس الشام وهو غلام صغير ،
فقدم خصماً له الى بعض القضاة ، وكان الخصم شيخاً ، فصال عليه إياس بالكلام ،
فقال له القاضي خفض عليك فانه شيخ كبير ، قال : الحق أكبر منه . قال اسكت !
قال فمن ينطق بحجتي ؟ قال ما أراك تقول حقاً . قال لا اله الا الله فدخل القاضي
على عبد الملك فأخبره فقال : اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لا يفسد أهلها !

الفرار من الحديث المملول

وقال أحمد بن الطيب السرخسي تلميذ يعقوب بن اسحاق الكندي
كنت يوماً عند العباس بن خالد ، وكان ممن حبيب الله اليه أن يتحدث ، فأخذ
يحدثني ، وينتقل من حديث الى حديث ، وكنا في صحن له ، فلما بلغت الشمس انتقلنا
الى موضع آخر ، حتى صار الظل فيثاً . فلما أكنز وأضجر ، ومالت حسن الادب في

حسن الاستماع ، وذكرت قول الاوزاعى ان حسن الاستماع قوة للمحدث ، قلت له : اذا كنت وأنا أسمع قد عييت مما لا كلفة على فيه ، فكيف أراك وأنت المتكلم ؟ فقال : ان الكلام يحلل الفضول اللزجة الغليظة ، التى تعرض فى اللهوات ، وأصل اللسان ، ومنايات الاسنان ، فوثبت وقلت : لا أرانى معك اليوم الا (أيارج الفيقرا) فانت تتفرغ ربى : فاجتهد فى أن أجلس فلم أفعل

طرف أدبية

قال احمد بن الطيب : كنا مرة عند بعض اخواننا فتكلم وأعجبه من نفسه البيان ، ومنّا حسن الاستماع ، حتى أفرط ، فعرض لبعض من حضر ملال ، فقال : اذا بارك الله فى الشيء لم يفن ؛ وقد جعل الله تعالى فى حديث أخينا البركة ! ولعبد الله بن سالم الخياط فى رجل كثير الكلام

لى صاحب فى حديثه البركة * يزيد عند السكون والحركة
لو قال لا فى قليل أحرفها * لردّها بالحروف مشتبه

ومن طرائف التطويل ما أنشأه البدیع ، وسيمر من كلامه ما هو آنق من زهر الربيع

(قال) الاصمى بالعلم وصلنا وبالملمح قلنا (وقال) الاصمى أيضاً أنشدت محمد بن عمران قاضى المدينة ، وكان أعقل من رأيت

يا أيها السائل عن منزلى * نزلت فى الخان على نفسى

بغدو على الخبز من خبز * لا يقبل الرهن ولا ينسى^(١)

آكل من كيسى ومن كسرتنى * حتى لقد أوجعنى ضربى

فقال اكتب لى هذه الابيات فقلت أصلحك الله ، هذا لا يشبه مثلك ،

(١) ينسى : ينسى ، من النسيئة وهى التأخير

وانما يروى مثل هذا الأحداث ، فقال اكتبها فلاشراف تعجبهم الملح ، وقد قال أبو الدرداء رحمه الله تعالى : انى لأستجمل نفسى ببعض الباطل ، ليكون أقوى لها على الحق (وقال) ابن الماجشون لقد كنا بالمدينة وان الرجل ليحدثنى بالحديث من الفقه فيمليه علىّ ويذكر الخبر من الملح فأستعيده فلا يفعل ، ويقول : لا أعطيك ملحسى ، وأهبك ظرفى وأدبى (وقال) ابن الماجشون إنى لأسمع بالكلمة المليحة ، ومالى الا قيص واحد ، فادفعه الى صاحبها ، واستكسى الله عز وجل

✓ الغاضرى وأشعب

وقال الزبير بن بكار : روى الغاضرى ينازع أشعب الطمع عند بعض الولاة ، ويقول : أصلح الله الامير، ان هذا يدخل علىّ فى صناعتى ، ويطلب مشاركتى فى بضاعتى ، وهياته هيئة قاض ، والامير يضحك . وكانا جميعاً فرسى رهبان ورضيى لبان فى بيانهما ، الا ان الغاضرى كان لا يتخلق بالطمع تخلق أشعب وأنى الغاضرى يوما الحسن بن زيد فقال : جعلت فداك ، انى عصيت الله ورسوله ، قال بئس ما صنعت ، وكيف ذلك ؟ قال لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ، وأنا أطعت امرأتى ، فاشتريت غلاما فهرب ، قال الحسن فاختر واحدة من ثلاث : ان شئت فتمن الغلام ، قال باهى أنت قف عند هذه ولا تتجاوزها ! قال أعرض عليك الخصلتين ، قال : لا ، حسبى هذه . وقد روى نحو هذا عن أشعب أنه قال له بعض إخوانه لو صرت إلى العشيّة تتفرج ؟ قال أخاف أن يجيئ ثقيل ، قلت ليس معنا ثالث ، فمضى معى ، فلما وصلنا الظهر ودعوت بالطعام ، فاذا بداق يدق الباب ، قال ترى أن قد صرنا إلى ما نكره ، قلت له إنه صديق وفيه عشر خصال إن كرهت واحدة منهم لم آذن له ، قال هات قلت أولها أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال التسع لك قل له

يدخل ! ورأى سفيان الثوري الغاضري وهو يضحك الناس ، فقال يا شيخ
أو ما علمت أن الله يوماً يخسر فيه المبطلون ؟ فوجم الغاضري وما زال ذلك يعرف
فيه حتى لقي الله عز وجل

ملح أشعب

وأشعب الطمع هو أشعب بن جبير مولى عبد الله بن الزبير وكان أحلى الناس
قال الزبير بن أبي بكر كان أهل المدينة يقولون : تغير كل شيء إلا ملح
أشعب ، وخبز أبي الغيث ، ومشية برة^(١) وكان أبو الغيث يعالج الخبز بالمدينة
وبرة بنت سعيد بن الأسود كانت من أجمل النساء وأحسنهن مشية ، وأشعب
يضرب به المثل في الطمع ، وكان أشعب قد نشأ في حجر عائشة بنت عثمان رحمه
الله مع أبي الزناد . قال أشعب : فلم يزل يعلو وأنحط حتى بلغنا الغاية . وقال أشعب
أسلمتني أمي إلى بزاز فسألتني بعد سنة أين بلغت ؟ فقلت في نصف العمل . قالت
وكيف ؟ قلت تعلمت النثر وبقي الطي ، قالت إذا لا تفلح . وسألته صديقه له خاتماً
فقلت أذكرك به ، قال اذكرى أنك سألتني ومنعتك ! وقيل له كم كان
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ؟ قال ثلثمائة وثلاثة عشر درهما !
ثم تنسك في آخر عمره ، وغزا ومات على خير رحمه الله تعالى . وقيل لأشعب
أرأيت أطمع منك ؟ قال نعم كبة آل فلان ، رأت رجلين يعضغان علكا^(٢) ،
فتبعتهما فرسخين تظن أنهما يأكلان شيئاً . وأهدى رجل من ولد عامر بن أوى
إلى اسماعيل الأعرج فالوذجة وأشعب حاضر فقال : كل يا أشعب فأكل منها
فقال كيف تراها فقال عليه الطلاق إن لم تكن عملت قبل أن يوحى ربك إلى
النحل ! أي ليس فيها حلاوة . وروى أبو هفان قال دخل أبو نواس الحسن
ابن هاني على يحيى بن خالد فقال له أنشدني بعض ما قلت فأنشده

(١) انظر جمال المشية وما قيل في ذلك من الشعر الجليل في كتاب « أفنان الجمال »

(٢) العلك : اللبان

انى انا الرجل الحكيم بطبعه * ويزيد فى علمى حكاية من حكا
أنتبّع الظرفاء أكتب عنهم * كما أحدث من أحب فيضحكا

فقال له يحيى : إن زندق ليورى بأول قدحة ، فقال ارتجالا فى معنى قول يحيى
أما وزند أبى على إنه * زندا إذا استوريت سهل قدحكا
ان الآله لعله بعباده * قد صاغ جدك للسماح ومنحكا
تأبى الصنائع همتى وقريحى * من أهلها وتغاف إلا مدحكا

الجماز وأبو نواس

ووصف أبو عبد الله الجماز أبا نواس فقال : كان أظرف الناس منطقاً ،
وأغزرم أدبا ، وأقدرهم على الكلام ، وأسرعهم جوابا ، وأكثرهم حياء ، وكان
أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النعمة ، والاشارة ، ملتف الأعضاء ، بين
الطويل والقصير ، مسنون الوجه ^(١) ، قائم الأنف ، حسن العينين والمضحك
حلو الصورة ، لطيف الكف والاطراف ، وكان فصيح اللسان ، جيد البيان ،
عذب الأنقاط ، حلو الشماثل ، كثير النوادر ، وأعلم الناس كيف تكلمت العرب
راوية للاشعار ، علامة بالأخبار ، كأن كلامه شعر موزون . وأقبل أبو شراعة
العيسى والجماز فى حديثه ، وكان أقبح الناس وجهها ، وكانت يد أبى شراعة
كأنها كربة نخل ، فقال الجماز : فلو كانت أطرافه على أبى شراعة لم حسنه
فغضب أبو شراعة ، وانصرف يشتمه (والجماز) هو أبو عبد الله محمد بن عمرو
ابن حماد بن عطاء بن ياسر ، وكانوا يزعمون أنهم من حمير نالهم سبأ فى خلافة
أبى بكر رضى الله عنه وهم مواليه ، وسلم الخاسر عمه ، وكان الجماز من أحلى الناس
حكاية ، وأكثرهم نادرة . قال بعض جلساء المتوكل : كنا نكثر عند المتوكل
ذكر الجماز حتى اشتاقه ، فكتب فى حمله إليه ، فلما دخل أقم . فقال له المتوكل
تكلم فانى أريد أن استبرئك ، فقال بحمضة أو بحمضتين يا أمير المؤمنين ! فقال

له الفتح قد كملت أمير المؤمنين يؤتيك على القروود والكلاب ؛ قال أفلست
سامعاً مطيعاً ؛ فضحك المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم . وكان لا يدخل
بيته أكثر من ثلاثة لضيقة ، فدعا ثلاثة فجاءه سنة وقرعوا الباب ووقفوا على رجل
رجل فعد أرجلهم من خلف الباب فلما حصلوا عنده ، قال : اخرجوا عني ، فانما
دعوت ناساً ولم أدع كراكي

مناقب الرجال

وقال الطائي في عمرو بن طوق التغلبي

الجدُّ شيمته وفيه فكاهة * سَجَّحٌ ولا جدُّ لمن لم يلعب
شرسٌ ويتبع ذاك ابن خليفة * لا خير في الصبياء ما لم تقطب^(١)

وقال في الحسن بن وهب

لله أيام خطبنا لينها * في ظله بالخندريس السِّلْسَلِ^(٢)
بعمامة نغم السماع خفيها * لا خير في المعلول غير معلل^(٣)
يغشى عليها وهو بجلو مُقْلَى * بازٍ ويفعل وهو غير مُفْعَلٍ
لا طائش تهفو خلائفه ولا * خشن الوقار كأنه في محفل
فكهُ يجم الجدُّ أحياناً وقد * ينضى ويهزل عيش من لم يهزل

وقال فيه

ولقد رأيتك والكلام لا لي * تؤمُّ فبكر في النظام وثيب^(٤)
وكان قسا في عكاظ يخطب * وابن المقفع في اليتيمة يسهب^(٥)
وكان ليلى الاخيلية تندب * وكثير عزة يوم بين ينسب

(١) تقطب : تعبس (٢) الخندريس : الخمر (٣) المعلول : الذي يشرب العليل ،
بفتحين ، وهو الشرب الثاني ، بخلاف النهل . فهو الشرب الاول
(٤) تؤم : أشباه الدرر (٥) اليتيمة : اسم كتاب لابن المقفع

يكسو الوقار ويستخف موقرا * طوراً فيبكي سامعيه ويظربُ

وقال أبو الفتح البستي

أفد طبعك المكدود بالهم راحة * براحٍ وعلمه بشئ من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

وما زال الاشراف يمزحون ، ويسمعون بما لا يقدح في أديانهم ، ولا يفض

من مرواآتهم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة . وقال : انى

لأمزح ولا أقول إلا حقا

رواية الشعر والنسيب

وقيل لسعيد بن المسيب إن قوماً من أهل العراق لا يرون انشاد الشعر فقال

لقد نسكوا نسكا أعجمياً . وقيل لابن سيرين إن قوماً يزعمون أن انشاد الشعر

ينقض الوضوء ، فأنشد

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشراً * ولو رضيت رشح استه لاستقرت

وقام يصلى ! وقيل بل أنشد

أنبت أن عجوزاً جئت أخطبها * عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

وقيل لابی السائب المخزومي : أترى أحدا لا يشتهي النسيب؟ فقال أما من

يؤمن بالله واليوم الآخر فلا^(١)

عروة بن أذينة

وروى مصعب بن عبد الله الزبيري عن عروة بن عبيد الله بن عروة

الزبيري قال : كان عروة بن أذينة نازلاً في دار أبي بالعقيق فسمعه ينشد لنفسه

• إن اتى زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوئى لها

(١) انظر (أشراك العقول) في كتاب « البدائع » —

فيك التي زعمت بها وكلا كما * أبدي لصاحبه الصبابة كلها
 واعمدها لو كان حبك فوقها * يوماً وقد ضحيت إذن لأظلمها (١)
 فإذا وجدت لها وساوس سلوة * شفع الضمير الى الفؤاد فسلمها
 بيضاء باكرها النعيم فصاغها * بلباقه فادقها وأجلها (٢)
 لما عرضت مساماً الى حاجة * أخشى صعوبتها وأرجو ذلها
 منعت تحيتها فقلت لصاحبي * ما كان أكثرها لنا وأقلها
 فدنا وقال لعلها معذورة * في بعض رقبها فقلت لعلها

أبو السائب المخزومي

قال فأناني أبو السائب المخزومي فقلت له بعد الترحيب به : ألك حاجة؟
 فقال نعم أبيات لعروة بلغني أنك سمعته ينشدها ، فأنشدته الأبيات فلما بلغت
 قوله * فدنا وقال لعلها معذورة * البيت طرب وقال : هذا والله الدائم الصبابة
 الصادق العهد ، لا الذي يقول

إن كان أهلك بمنعوك رغبة * غنى فأهلي بي أضن وأرغب

لقد عدا هذا الأعرابي طوره ، وإني لأرجو أن يغفر لصاحب هذه الأبيات
 لحسن الظن بها ، وطلب العذر لها ، قال فعرضت عليه الطعام فقال : لا والله
 ما كنت لا خلط بهذه الأبيات طعاماً حتى الليل . وانصرف . وكان أبو السائب
 غزير الأدب ، كثير الطرب ، وله فكاهات مذكورة ، وأخبار مشهورة ، وكان
 جدّه يكنى أبا السائب أيضاً وكان خليطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
 النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكره قال : نعم الخليط كان أبو السائب ، لا يشارى

(١) ضحيت : تأذت من الشمس (٢) أدقها وأجلها : أدق المواضع التي يجب
 أن تكون دقيقة ، وأجل المواطن التي يجب أن تكون جليلة ، فهي مثلاً دقيقة
 الخصر ، وثيرة الردف ، ويحسن الرجوع إلى هذه المعاني في كتاب « أفنان الجمال »

ولا يمارى ^(١) واسم أبي السائب عبد الله وكان أشرف أهل المدينة يستظرفوه
ويقدمونه لشرف منصبه ، وحلاوة ظرفه . وكان عروة بن أذينة على زهده ،
وورعه ، وكثرة علمه ، وفهمه ، رقيق الغزل كثيره ، وهو القائل

إذا وجدت أوار الحب في كبدي * أقبلت نحو سقاء القوم أبرد

هني يردت يبرد الماء ظاهره * فمن لنار على الاحشاء تنقد

وقد روى هذان البيتان لغيره . ومرت به سكينه بنت الحسين بن علي

ابن أبي طالب رضي الله عنهم فقالت له : أنت الذي تزعم أنك غير عاشق وأنت تقول

قالت وأبثتها سرى فبحت به * قد كنت عندي تحب السر فاستر

أست تبصر من حولي؟ فقلت لها * غطى هوالك وما ألقى على بصرى

والله ما خرج هذا من قلب سليم قط

حب الأحوص

وروى الزبير عن رجل لم يسمه قال : قال لي أبو السائب أنشدني للأحوص

فأنشدته

قالت وقلت تحرجي وصى * حبلى امرئ بوصالكم صب

صاحت إذن بعلى؟ فقلت لها * الغدرشي ليس من ضربى ^(٢)

شيثان لا أدنو لوصلهما * عرس الخليل وجارة الجنب

أما الخليل فليست فاجعه * والجار أوصانى به ربي

عوجا كذا تذكر اغانية * بعض الحديث مطيكم صخني ^(٣)

وتقل لها فيم الصدود ولم * نذنب بل أنت بدأت بالذنب

إن تقبلي تقبل ونزلكم * منا بدار السهل والرحب

أو تهجري تكدر معيشتنا * وتصدعي متلائم الشعب

(١) المشاركة والمارة : العنف في المجادلة (٢) ليس من ضربى : ليس من طبعى

(٣) عوجا مطيكم : قفا مطيكم

فقال هذا والله المحب حق لا الذى يقول
وكنت إذا حبيب^١ رام هجرى * وجدت ورأى مُنْفَسِحًا عريضًا
ثم قال : اذهب فلا صحبتك الله ، ولا وسع عليك

يغفر الله لأهل الجمال

وخرج أبو حازم يوماً يرمى الجمار ، فإذا هو بامرأة حاسر^(١) قد فتنت الناس
بحسن وجهها ، وألهمهم بجمالها ، فقال لها يا هذه انك بمشعر حرام ، وقد فتنت
الناس وشغلتهم عن مناسكهم ، فأنق الله واستبرى ، فان الله عز وجل يقول
في كتابه العزيز (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) فقالت انى من اللانى
قبل فيهن

أما طت كساء الخبز عن حر وجهها * وأرخت على المتنين برداً مهلهلاً
من اللاء لم يحججن يغيثن حسبة * ولكن ليقتلن البرى المغفلاً^(٢)
الشعر للحارث بن خالد المخزومي ، فقال أبو حازم لأصحابه : تعالوا ندع الله
لهذه الصورة الحسنة أن لا يعذبها الله تعالى بالنار ! فجعل أبو حازم يدعو وأصحابه
يؤمنون ، فبلغ ذلك الشعبي فقال : ما أرقكم يا أهل الحجاز ، وأظرفكم ! أما والله
لو كان من قرى العراق لقال : اعزبى عليك لعنة الله !

أبو حازم

وكان أبو حازم من فضلاء التابعين وله مقامات جميلة من الملوك ، وكلام
محفوظ يدل على فضله وعقله ، وهو القائل : كل عمل تكره من أجله الموت
فأتركه ، ولا يضرك متى مت ، وكان يقول : ما أحيت أن يكون معك غداً قدمه
اليوم ، وكان يقول : إنما بينى وبين الملوك يوم واحد ، أما أمس فلا يجدون لذته

(١) امرأة حاسر وسافر : ليس على وجهها قناع (٢) المغفل : الطيب القلب

وأنا وإياهم من غد على وجل ، وإنما هو اليوم ، فما عسى أن يكون اليوم ؟ وقال أبو العتاهية

حتى متى نحن في الأيام نحسبها * وإنما نحن فيها بين يَوْمَيْنِ
يَوْمٌ تولى ويوم نحن نأملهُ * لعله أجلب اليومين للحَيْنِ (١)

شعر الفقهاء

وروى الزبير بن أبي بكر قال : قدمت امرأة من هذيل المدينة ، وكانت جميلة وممها ابن لها صغير ، وهي أيمى ، فخطبها الناس وأكثروا ، فقال فيها عبيد الله ابن عبد الله ابن عتبة بن مسعود

أَحْبَبُ حَبًّا لَا يَحْبُكُ مِثْلُهُ * قَرِيبٌ وَلَا فِي الْعَالَمِينَ بَعِيدُ
أَحْبَبُ حَبًّا لَوْ عَلِمْتَ بِهِ مَضِي * لَجَدْتُ وَلَمْ يَصْعَبْ عَلَيْكَ شَدِيدُ
وَحْبِكَ يَا أُمَّ الْعَلَاءِ مَتَّبِعِي * شَهِيدِي أَبُو بَكْرٍ فَذَاكَ شَهِيدُ
وَيَعْلَمُ وَجْدِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ * وَعُرْوَةُ مَا أَتَى بِكُمْ وَسَعِيدُ
وَيَعْلَمُ مَا أَخْفَى سُلَيْمَانُ كُلُّهُ * وَخَارِجَةُ يَبْدَى بِنَا وَيَعِيدُ
مَتَى تَسْأَلُنِي عَمَّا أَقُولُ فَتَخْبِرِي * فَلِلْحَبِّ عِنْدِي طَارِفٌ وَتَلِيدُ

فقال له سعيد بن المسيب : قد أمنت أن تسألنا ، ولو سألتنا ما شهدنا لك بزور وكان عبيد الله أحد الفقهاء السبعة الذين انتهى اليهم علم المدينة ، وقد ذكرهم عبيد الله في هذه الأبيات وهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومي والقاسم بن أبي بكر الصديق وعروة بن الزبير بن العوام وسعيد بن المسيب بن حزن وسليمان بن يسار وخارجة بن زيد بن ثابت الانصارى وقيل لعبيد الله أتقول الشعر على شرفك ؟ فقال لا بد للمصدر أن ينغث (٢) وعبيد الله هو القائل

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ * هَوَاكَ فَلَئِمَ وَالتَّامُ الْفَطُورُ (٣)

(١) الحين : الهلاك (٢) انظر (ظلم العواطف) في كتاب « البدائع »
(٣) ليم والتأم معناهما واحد ، والفطور السكسور

تغفل حب عثمة في فؤادي * فباديه مع الخافى يسير
تغفل حيث لم يبلغ شراب * ولا حزن ولم يبلغ سرور
أخذه سلم بن عمرو الخاسر فقال
سقتني بعينها الهوى وسقيتها * فذب ديب الخمر في كل مفصل
وقال أبو نواس

أحب اللوم فيها ليس إلا * لترداد اسمها فيها ألام
ويدخل حبها في كل قلب * مداخل لا تغفلها المدام^(١)
ومنه قول المتنبي

والسر مني موضع لا يناله * نديم ولا يفضى إليه شراب
وقال بعض المحمدين

ما زالت تغويني وتطلب خلتي * حتى حلت بحيث حل شرابي
ثم انصرفت بغير جرم كان لي * ما هكذا الأحباب للأحباب
أخذ أبو نواس قوله أحب اللوم فيها البيت من قول ابن أبي أمية
وحدثني عن مجلس كنت زينه * رسول أمين والنساء شهود
فقلت له رد الحديث الذي مضى * وذكرك من بين الحديث أريد
أنشدك بالله إلا أعدته * كأني بطي الفهم عنه بعيد
وقول أبي نواس في البيت الاول كقوله

إذا غاديتني يصبوح لوم * فمزوجاً بتسمية الحبيب
فاني لا أعد اللوم فيها * عليك إذا فعلت من الذنوب
ولا أنا إن عمدت أرى جنانا * وإن ضنت بمبخوس النصيب
مقنعة بثوب الحسن ترعى * بغير تكلف ثمر القلوب

أبونواس وجنان

وفي جنان هذه يقول أبو نواس

يا ذا الذي عن جنان ظل يخبرنا * بالله قل وأعد ياطيّب الخبر
قالوا اشتكتك وقالت ما ابتليت به * أراء من حيث ما أقبلت في أثرى
وبرفع الطرف نحوى إن مررت به * حتى ليخجلني من شدة النظر
وان وقفت له كبا يكلمني * في الموضع الخلو لم ينطق من الحصر^(١)
ما زال يفعل بي هذا ويدمعه * حتى لقد صار من همى ومن وطرى^(٢)

وفي جنان أيضا يقول أبو نواس وكان بها صباً ولها محبا

جنان تسبني ذكرت بخير * وتزعم أنني رجل خبيث
وأن مودتي كذب ومين * وأنى للذى تطوى بثوث^(٣)
وليس كذا ولا ردّ عليها * ولكن الملول هو النكوث
ولى قلب ينازعني إليها * وشوق بين أضلاعى حنيث
رأت كافي بها وقديم وجدى * فملتني كذا كان الحديث
وكانت جنان مولاة لبعض الثقفين ، وفي معنى قول ابن أبي أمية يقول
العباس بن الأحنف

وحدثتني ياسعد عنها فزدتني * جنونا فزدني من حديثك ياسعد

ظرف أهل المدينة

وأهل المدينة أكثر الناس ظرفا ، وأكثرهم طيبا ، وأحلام مزاحا ،
وأشدهم اهتزازا للسمع ، وحسن أدب عند الاستماع : وقال عبد الله بن جعفر

(١) الحصر: المي (٢) الوطر: الحاجة (٣) بثوث : كثير البث لسره

والتحدث عنه

إن لي عند السباع هزة ، لو سُئلت عندها لأعطيت ، ولو قُلت لأبليت .
وروى أبو العيناء قال قال الأصمعي : مررت بدار الزبير بالبصرة فإذا شيخ
قديم من أهل المدينة من ولد الزبير يكنى أبا ربحانة جالس بالباب عليه شملة تستره
فلمت عليه ، وجلست إليه ، فبينما أنا كذلك إذ طلعت علينا سويداء تحمل
قربة ، فلما نظر إليها لم يبالك أن قام إليها ، فقال لها بالله غنى صوّناً فقالت : إن موالى
أعجلوني ، فقال لا بد من ذلك ، قالت أمّا والقربة على كتفي فلا . قل فأنا أحملها
فأخذ القربة منها فاندفعت تغنى

فَوَادَى أُسِيرٌ لَابِطٌ وَمُهْجَتِي * تَفِيضٌ وَأَحْزَانٌ عَلَيْكَ نَطُولُ

وَلِي مَقْلَةٌ قَرَحَى اطْوَلَ اشْتِيَاقَهَا * إِلَيْكَ وَأَجْفَانِي عَلَيْكَ هُمُولُ

فَدَيْتُكَ أَعْدَانِي كَثِيرٌ وَشَقَّتِي * بِمَيْدُ وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلُ ^(١)

فطرب وصرخ صرخة وضرب بالقربة الى الارض فشققها . فقامت الجارية
نكي . وقالت ما هذا بجزائي منك ، أسمعتك بحاجة فعرضتني لما أكره من
موالى ، قال لا تغنى فإن المصيبة على حصلت ، ونزع الشملة ووضع يدا من خلف
ويدا من قدام ، وباع الشملة وابتاع لها قربة جديدة ، وقعد بتلك الحال فاجتاز به
رجل من ولد على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه فعرف حاله فقال : يا أبا ربحانة !
أحسبك من الذين قال الله تعالى فيهم (فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)
قال لا يا ابن رسول الله ولكن من الذين قال الله تعالى فيهم (فبشر عبادى الذين
يسمعون القول فيتبعون أحسنه) فضحك وأمر له بألف درهم

ومرّ بالواقص الخزومي وهو قاضى المدينة سكران وهو يتغنى بليل ، فأشرف
عليه وقال : يا هذا شربت حراما ، وأيقظت نياما ، وغنيت خطأ ، خذه غنى ،
وأصلح له الغناء .

(١) انظر لوعة الشوق فى كتاب « مدامع الماشاق » ل ترى هذه القصيدة البديعة .

التشبيب بأخت الحجاج

وسمع سعيد بن المسيب منشداً ينشد

فلم تر عيني مثل سرب رأيتُهُ * خرجن من التنعيم معتمرات^(١)
مررن بفخ ثم رُحْن عشيّة * يلين للرحن مؤنجات^(٢)
ولما رأته ركب النخري أعرضت * وكنّ بأن يلقينهُ حذرات
دعت نسوة شمم العرائن بزلاً * نواعم لاشعثا ولا غبرات^(٣)
فأبرزن لما قمن يحجبهن دونها * حجاباً من القيسي والخبرات^(٤)
تضوّع طيباً بطن نعان إذ مشّت * به زينب في نسوة عطرات
يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتمرات^(٥)

فقال سعيد : هذا والله مما يلذ اسماعه ، ثم قال

وليست كأخرى وسعت جيب درعها * وأبدت بنان الكف للجمرات
وغالت بيان المسك وحفّاً مرجلاً * على مثل بدر لاح في الظلمات^(٦)
وقامت تراءى بين جمع فأفنت * برؤيتها من راح من عرفات
قال فكانوا يرون أن الشعر الثاني له ، والأول لمحمد بن عبد الله بن نعيم
التقي يقوله في زينب بنت يوسف أخت الحجاج حتى ظفر به فقال : أنت
القائل ماقلت ؟ قال وهل قلت أصلح الله الأمير إلا

يخبئن أطراف البنان من التقى * ويخرجن شطر الليل معتمرات

- (١) السرب : القطيع من البقر والظباء ، والمراد به هنا جماعة من حسان النساء
(٢) فخ موضع بمكة (٣) العرائن : جمع عرنيين وهو الأنف ، وبزل : جمع بازل
وهو البعير يبلغ تسع سنين فتكتمل قوته ، والمراد وصف هؤلاء النسوة بأنهن بلغن
السن التي ينقلن فيها القلب من مكان الى مكان (٤) القيسي : نوع من اللباس
ينسب الى قرية مصرية بقرب المريش (٥) الاعتجار : لبسة خاصة للمرأة
(٦) وحف : أسود ، وهو صفة الشعر ، والمرجل : المسرح

قال له : كم كنتم إذ تقول * ولما رأيت ركب التمبري أعرضت * قال والله ما كنت إلا أنا وصاحب لي على حمار هزيل ! فضحك وعفاه عنه ، وهو القائل
أهلبتك الظمائن يوم بانوا * بندي الزري الجميل من الأثاث^(١)
ظمائن أسلكت في بطن قوت * تمث إذا رنت أي احتثاث
كأن على الهوادج يوم بانوا * إمعاجاً ترتعى بقل البراث^(٢)
يهيجك الحمام إذا تغنى * كما سجع النوادب بالمراني

شذرات لابن المعتز

وقال ابن المعتز : وعد الدنيا إلى خلف ، وبقاؤها إلى تلف ، وبعد عطائها المنع ، وبعد أمانها الفجع ، طوآحة طراحة ، آسية جراحة ، كم راقد في ظلها قد أيقظته ، ورائق بها قد خانتها ، حتى يلفظ نفسه ، ويودع دنياه ، ويسكن رmse ، وينقطع عن أمله ، ويشرف على عمله ، وقد رجح الموت بحياته ، ونقض قوى حركاته ، وطمس البلى جمال بهجته ، وقطع نظام صورته ، وصار كخط من رماد تحت صفائح أنضاد^(٣) وقد أسلمه الأحاب ، واقترش التراب ، في بيت قد نجرتة المaul^(٤) ، وفرشت فيه الجنادل ، مازال مضطرباً في أمله ، حتى استقر في أجله ومحت الأيام ذكره ، واعتادت الألفاظ قتره

وكتب وهو معتقل إلى أستاذه أبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب يتشوقه
ما وجد صاٍ بالخيال مؤثق * بماء مزنٍ بارد مصفّق^(٥)

- (١) الظمائن : جمع ظمينة ، وهي المرأة في الهودج ، والاثاث متاع البيت
(٢) البراث : الأرض السهلة . ويحسن الرجوع إلى هذه المعاني البدوية في شرح صاحب البدائع الكتاب « جمهرة أشعار العرب » فإنه صورة صادقة لخيال أهل البادية ، وتصور أهل الفطرة من شعراء الجاهلية وصدر الاسلام (٣) صفائح أنضاد الصفائح الحجارة العريضة ، وانضاد جمع نضد وهو المنحوت باستواء
(٤) المaul : جمع معول وهو آلة كالقدوم (٥) مصفّق : صفقته الريح أي لعبت به حتى لسكأنه يصفق

بالريح لم يُكدر ولم يُرقِ * جادت به اخلاف دجن مطبق^(١)
 بصخرة إن ترشما تُبرقِ * مادعليها كالزجاج الازرق^(٢)
 صريح غيث خالص لم يُمدقِ * إلا كوجدى بك لكن أنقى^(٣)
 يافانحا لكل باب مغلقي * وصيرفيًا ناقدًا المنطق^(٤)
 إن قال هذا بهرج لم ينقِ * إنا على البعاد والتفرق
 لنلتقى بالذكر ان لم نلتقِ

فأجابه أخذت أطل الله بقاءك أول هذه الأبيات مما أُمليته عليك

من قول جميل

وما صادياتُ حنَّ يوماً وليلةً * على الماء ينخشين العصى حوانى
 كواعبُ لم يصدرن عنه لوجهةٍ * ولاهنَّ من بردِ الحياض دوانى
 يرين حباب الماء والموت دونهُ * فهنَّ لاصوات السقاة روانى
 بأكثر منى غلةً وصبايةً * اليك ولكنَّ العدو عرانى
 وأخذت آخرها من قول رؤبة بن العجاج
 إني وإن لم ترني فأننى * أخوك والراعى إذا استرعيتنى
 أراك بلود وإن لم ترني

قال : فاستخفى في ذلك ونسب الى سوء الادب

شعر ابن المعتز

وكان أبو العباس عبد الله بن المعتز في المنصب العالى من الشعر والنثر ،
 وفي النهاية في إشراف ديباجة البيان ، والغاية بن رقة حاشية اللسان . وكان كما
 قال ابن المرزبان : اذا انصرف من بديع الشعر ، الى رقيق النثر ، أتى بحلال السحر ،
 (١) الاخلاف : الانداء يفيض منها اللبن ، والدجن المطبق هو السحاب
 المتراكم (٢) ماد : مال (٣) لم يمدق : لم يمزج ، يشبه الغيث القوى بالحر
 الصرفة تصرع الشاربين (٤) الصيرفي : الرجل الحاذق في تمييز النقود

وايس بعد ذى الرّمة أكثر افتنانا ، وأكبر تصرفا واحسانا فى التشبيه منه .
وانما فرقت جملة ما اخترت من شعره ونثره فى جملة هذا الكتاب ، لئلا أخرج
عما تقدّم به الشرط فى البسط ، وآتى ههنا ببعض ما اختاره له . قال

وفتيان سرّوا والليل داج * وضوء الصبح منهم الطلوع
كان بُزاتهم امراه جيش * على أكنافهم صدأ الدروع

وقال أيضاً

فى ليلة أكل الحاق هلاها * حتى تبدى مثل وقف العاج^(١)
والصبح ينلو المشتري فكأنه * عريان يمشى فى الدجا بسراج^(٢)

وقال أيضاً يصف فرسا

ولقد غدوت على طمر سابج * عقدت سنابكه عجاجة قسطل^(٣)
مثلهم لجم الحديد يلو كها * لوك الفتاة مساو كا من اسحل^(٤)
ومحجل غير اليمين كأنه * متبختر يمشى بكم مسبل

وقال

قد اغتدى بقارح * مسوم يعبوب
ينفى الحصى بحافر * كالقدح المسكوب
قد ضحكت غرته * فى موضع التقطيب

وقال أيضاً

ولقد وطئت الغيث بحملنى * طرف كلون الصبح حين وفد
جماع أطراف الصوار فما الأخرى عليه إذا جرى بأشد

- (١) وقف العاج : هو القطعة من العاج يمسك بها الثوب كالذبوس ونحوه
(٢) الدجى : جمع دجبة وهى الظلمة (٣) طمر : حصان سريع الجرى كأنما يهوى
من طمار ، أى من مكان مرتفع ، وسنابك الجواد حوافره ، والعجاجة السحابة ،
والقسطل الغبار (٤) اللجم جمع لجام ، والاسحل بالكسر شجر يستاك به

يمشى فيمرض في العنان كما * صدف المعشوق ذو الدلال وصده
فكأنه موجٌ يندوب إذا * أطلقتها فإذا حبست جمد
وقال أيضاً يصف سيفاً

ولى صارمٌ فيه المنايا كوامنٌ * فما يُنتضى إلا لسفك دماء
ترى فوق متنيه الفرند كأنه * بقية غنيمٍ رقى دون سماء
وقال يصف ناراً

مشيرةٌ لا يحجب النخل ضوءها * كأن سيوفا بين عيدانها تجلى
يفرج أغصان الوقود اضطرأها * كما شقت الشقراء عن متنها جلاً^(١)

السرى الموصلى

وقال بعض أهل العصر وهو السرى الموصلى

يوم رذاذٍ ممسك الحجب * يضحك فيه السرور من كشب
ومجلس أسبلت ستاره * على شمس البهاء والحسب
وقد جرت خيل راحنا خبيلاً * فى حليها أو هممن بالخبب
والتهبت نارنا فمنظرها * يغنيك عن كل منظر عجب
إذا ارتمت بالشرار فاطردت * على ذارها مطارد الاله
رأيت ياقوتة مشبكة * تطير عنها قراصة الذهب
فانهض إلى المجلس الذى ابتسمت * فيه رياض الجمال والادب

وقال بعض أهل العصر وهو أبو الفرج البغفا

فحماً قدّم الغلام فأهدى * فى كواينه حياة النفوس
كان كلاً بنوس غير محلى * فعداوه مذهب الآ بنوس

(١) الشقراء : فرس زهير بن جندبة

لَقِيَ النَّارَ فِي ثِيَابِ حِدَادٍ * فَكُسَتْهُ مُصْبَغَاتُ عُرُوسٍ
وَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ الْمِيكَالِيُّ

كَأَنَّ الشَّرَارَ عَلَى نَارِنَا * وَقَدْ رَاقَ مِنْظَرُهَا كُلَّ عَيْنٍ
سُحَالَةٌ تَبِيرُ إِذَا مَاعَدَلَا * فِيمَا هَوَى فَفَتَاتُ اللَّجِينِ ^(١)
وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ يَصِفُ سَحَابَةً

وَمُوقَرَّةٌ بِثِقَلِ الْمَاءِ جَاءَتْ * تَهَادَى فَوْقَ أَعْنَاقِ الرِّيَّاحِ
فَبَانَتْ لَيْلَهَا سَحَابًا وَوَبْلًا * وَهَطَلَا مِثْلَ أَفْوَاهِ الْجِرَاحِ
كَأَنَّ سَمَاءَهَا لَمَّا تَجَلَّتْ * خِلَالَ نَجْمِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ
رِيَاضُ بِنَفْسِجٍ خَضِلٍ تَرَاهُ * تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوْرُ الْأَقْلَاحِ ^(٢)

وَقَالَ

وَلُجَّةٌ لِلْمَنَایَا خَضَتْ غَمَرَتَهَا * بَصَارِمُ ذَكَرٍ صَدَصَامَةٍ خَذِمِ ^(٣)
وَقَارِحٌ صَبَغَ الْخِلَالَانِ دُحْمَتَهُ * بِشُبُهَةِ كَاخْتِلَاطِ الصَّبْحِ بِالظُّلُمِ ^(٤)

وَقَالَ

وَلَيْلٌ كَكَحْلِ الْعَيْنِ خَضَتْ ظِلَامَهُ * بِأَزْرَقِ لُمَاعٍ وَأَبْيَضِ صَارِمٍ
وَمَضْبُورَةُ الْأَعْضَادِ حَرْفٍ كَأَنَّهَا * تَصَافِحُ رَضْرَاضِ الْحَصَى بِمَنَاسِمِ

وَقَالَ يَصِفُ حَيَّةً

نَعَتْ رَقِطَاءَ لَا يَجِي لِرُقِيَّتِهَا * لَوْ قَدَّهَا السَّيْفُ لَمْ يَبْلُغْ بِهِ بَلَلُ ^(٥)
تَلْقَى إِذَا نَسَلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا * كَأَنَّهَا كُمٌ دَرِعٍ قَدَّهُ بَطْلُ
وَقَالَ أَيْضًا

وَأَسَارَ مِنِّي الدَّهْرُ عُضْبًا مَهْنَدًا * يَفْلُ شَبَا حَظِي وَقَلْبًا مَشِيمًا
وَرَأَى كَرَاةَ الصَّنَاعِ أَرَى بِهِ * سَرَائِرَ غَيْبِ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ مَاسَى

(١) السحالة : النخالة (٢) خضل : ندى (٣) خذم : قاطع (٤) قارح : أغر
والدهمة السواد ، والشبهة لون بين السواد والبياض (٥) رقطاء : منقطة

(أخذه من قول المنصور لابنه المهدي)

لا تبر من أمراً حتى تفكر فيه ، فإن فكر العاقل مرآته ، يريه قبحه وحسنه .

رثاء المنصور

ولما دُفن المنصور وقف الربيع على قبره فقال : رحمك الله يا أمير المؤمنين ، وغفر لك فقد كان لك حمى من العقل ، لا يطير به الجهل ، وكنت ترى باطن الأمر بمرآة من الرأي ، كما ترى ظاهره . ثم التفت الى يحيى بن محمد أخى المنصور فقال هذا كما قال أبو دعبيل الجمحي

عقيم النساء فما يلدن شبيهه * إن النساء بمثلهم عقيم^(١)

وبعد

متهلل بنعم بلا متباعد * سيان منه الوفى والعديم^(٢)

نزر الكلام من الحياء نخاله * ضمناً وليس بجسمه سقم^(٣)

أوصاف الرجال

أخذ البيت الأخير من قول ليلي الاخيلية

لا تقربن الدهر آل مطرف * إن ظالماً يوماً وإن مظلوماً

قوم رباط الخيل حول بيوتهم * وأسنة رزقا يخلن نجوماً

وممزق عنه القميص نخاله * وسط البيوت من الحياء سقما

حتى اذا رفع اللواء رأيت * يوم الهياج على الخيس زعما^(٤)

وقل

يشبهون ملوكاً في تجلثهم * وطول أنصبة الأعناق والأهم^(٥)

اذا بدا المسك يجرى في مفارقهم * راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) عقم : جمع عقيم وهي المرأة العاقرة (٢) الوفى والعديم : الغنى والفقر

(٣) ضمن : مريض (٤) اللواء : الراية ، والخيس الجيش لأنه خمس فرق :

المقدمة والقلب واليمين واليسرة والساقة . والزعيم الرئيس (٥) الأنصبة : جمع

نصاب وهو الأصل الذى ركب فيه العنق

وقال أبو علي الحاتمي : وما أحسن أبياتا أنشدتها أبو عمرو والمطرز غلام نعلب
يعترض في أنثائها هذا المعنى

نخالهم للحلم صمًا عن الخنا * وخرسًا عن الفحشاء عند التهانر
ومرضى إذا لاقوا حياء وعفة * وعند الحروب كالليوث الخوادر
لهم عز إنصاف وذل تواضع * بهم ولهم ذلت رقاب العشائر
كان بهم وصما يخافون عاره * وليس بهم الاتقاء المعائر^(١)
وأنشد

أحلام عادٍ لا يخاف جليسهم * وإن نطق العوداء عيب لسان
إذا حدّثوا لم يخش سوء استماعهم * وإن حدّثوا أدّوا بحسن بيان

طيب الوصال

وقال ابن المعتز

وعاقِد زقارٍ على غصن الآس * دقيق المعاني مُخْطَفٍ الخصر مياس
سقاني عقاراً صبّ فيها مزاجها * فأضحك عن ثغر الحباب فم الكاس
وقال

باليلة نسي الزمان بها * أحداثه كوني بلا فجر
فاح المساء بيدرها ووشت * فيها الصبا بمواقع القطر
ثم انقضت والقلب يتبعها * في حينها سقطت من الدهر

وقال

ياربّ إخوان صحبهم * لا يملكون لسوة قلبا
لو تستطيع قلوبهم نفرت * أجسامهم فتعانت حبا

هذا كقول ابن الرومي

أعانقه والنفس بعد مشوقة * إليه وهل بعد العناق تداني

وَأَلْثَمَ فَاهُ كِي تَزُولُ حَرَارَتِي * فَيَشْتَدُّ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَيْمَانِ
وَلَمْ يَكْ مُقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْهَوَى * ابْرُؤِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّفْتَانِ
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَهُ * سَوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانُ يَمْتَزْجَانِ

نثر ابن المعتز

ومن منشوره: لا يزال الاخوان يسافرون في المودة ، حتى يبلغوا الشقة ، فاذا بلغوها ألغوا عصا التسيار ، واطمأنت بهم الدار ، وأقبلت وفود النصح ، وأمنت خبايا الضمائر ، فخلوا عقد التحفظ ، ونزعوا ملابس التخلق (وله) سار فلان في جيوش عليهم أردية السيوف ، وأقصه الحديد ، وكان رماحهم قرون الوعول (١) وكان دروعهم زبد السيول ، على خيل تأكل الارض بجوافرها ، وتمتد بالنقع سرادقها (٢) قد نشرت في وجوها غرر كأنها صحائف الرق ، وأمسكها تحجیل كأنها أسورة اللجين ، وقرطت عذراً كأنها الشنف (٣) تتلف الأعداء أو الله ولم تنهض أواخره ، قد صب عليهم وقار الصبر ، وهبت معهم ریح النصر ، (وله في عليل) آذن الله في شفائك ، وتلقى داءك بدوائك ، ومسح بيد العافية عليك ، ووجه وفد السلامة اليك ، وجعل علتك ماحية لذنوبك ، مضاعفة لثوابك . وكتب إلى عبد الله بن سليمان بن وهب في يوم عيد (أخرتني العلة عن الوزير أعزه الله ، فحضرت بالدعاء في كتابي لينوب عني ، ويعمر ما أخلته العوائق مني ، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد السالفة بركة على الوزير ودون الأعياد المستقبلية فيما يحب ويحب له ، ويقبل ما توصل به الى مرضاته ، ويضاعف الاحسان اليه ، على الاحسان منه ، ويمتعه بصحبة النعمة ، ولباس العافية ، ولا يزيه في مسرة نقصاً ، ولا يقطع عنه مزيداً ، ويجعلني من كل سوء فداءً ، ويصرف

(١) الوعول : جمع وعل وهو التيس الجبلي (٢) النقع : الغبار

(٣) الشنف : القرط والعذر بضمين جمع عذار

عيون الغير عنه ، وعن حظي منه (وله) الى بعض الرؤساء : لا تشن حسن الظفر بقبح الانتقام ، وتجاوز عن كل مذنب لم يسلك من الاعتذار طريقا ، حتى اتخذ من رجاء عفوك رفيقا (وله) اعتذار الى القاسم بن عبيد الله : ترفع عن ظلمي ان كنت بريئا ، وتفضل بالعمو ان كنت مسيئا ، فوالله اني لا اطلب عفو ذنب لم أجنه ، والنفس الاقالة مما لا أعرفه ، لتزداد تطولا وازداد تدللا ، وأنا أعيد حالي عندك بكرمك من واش يكيدها ، وأحرصها بوقائك من باغ يحاول افسادها ، واسأل الله تعالى أن يجعل حظي منك ، بقدر ودي لك ؛ ومحلي من رجائك ، بحيث استحق منك .

وله اليه : لو كان في الصمت موضع يسع حالي لخففت عن سمع الوزير ونظره ، ولم أشغل وجهها من فكره ، وما زالت الشكوى تعرب عن لسان البلوى ، ومن اخملت حالته ، كان في الصمت هلكته ، وقد كان الصبر ينصرني على ستر أمري حتى خذاني — وهذا كقول احمد بن اسماعيل : فصاحة الشكوى ، على قدر البلوى ، إلا أن يكون بالشاكي انقباض ، وبالمشكو إليه إعراض]

وصف الماء

وقد أحسن أبو العباس بن المعتز في صفة الماء في أرجوزته التي أنشدتها آنفاً . وقد قال في قصيدة له وذكر إبلا

فتبدى لهن بالنجف المد * بر ماء صافي الجمام مرى
يتمشى على حصي يسكب الم * ماء قذاه فمتنه مجلى
واذا داخلته درة شمس * خلته كسرت عليه الحلى

وقال

لا مثل منزلة الدويرة منزل * يادار جادك وابل وسقاك
بؤساً لدهر غيرتك صروفه * لم يمنح من قلبي الهوى ومحاك

لم يحل للعنين بعدك منظرٌ * ذمّ المنازل كلهنّ سواك
 أى المعاهد منك أندب طيبه * فمساك بالآصال أم مفداك
 أم برد ظلك ذى الغصون وذى الجنى * أم أرضك الميثاء أم ريك^(١)
 وكأنما سعطت مجامر عنبر * أوفت فار المسك فوق ثراك^(٢)
 وكأنما حصباء أرضك جوهر * وكأن ماء الورد دمع نداك
 وكأن درعاً مفرغاً من فضة * ماء الغدير جرت عليه صباك^(٣)

عفاف عاتكة المريّة

وعشقت عاتكة المريّة ابن عم لها فراودها عن نفسها فقالت
 وما طعم ماء أى ماء تقوله * تحدر عن غرّ طوال الذوائب
 بمنعرج من بطن وادٍ تقابلت * عليه رياح الصيف من كل جانب
 نفقت جريّة الماء القذى عن متونه * فما إن به عيب تراه لشارب
 بأطيب بمن يقصر الطرف دونه * تقى الله واستحيا بعض العواقب

أحواض مأرب

وأنشد الأصمعي قال أنشدني أبو عمرو بن العلاء لجابر بن الأرق وقال هو
 أحسن ما قيل فى معناد

أيا ويح نفسى كلما التحت لوحة * على شربة من ماء أحواض مأرب
 بقايا نطاف أودع الغيم صفوها * مصقلة الأرجاء زرق المشارب
 ترقق دمع المزن فيهنّ والتوت * عليهن أنفاس الرياح الغرائب

وأنشد اسحاق بن ابراهيم للأبيرد البربوعى ورويت لمضر بن ربيع الاسدى

(١) الميثاء : اللينة (٢) فار المسك : ما تجمد من دم الغزال (٣) مفرغ :

فألقت عصا التسيار عنها وخيمت * بأرجاء عذب الماء زرقٍ محافره
أزال القذى عن مائه وافد الصبا * يروح عليه ناسماً ويباكره
وأول من أتى بهذا زهير بن أبي سلمى في قوله
فلما وردن الماء زُرْقاً جَمامُهُ * وضمن عصى الحاضر المتخيم^(١)
وقال ابن الرومي

وماء جلت عن حُرصفحته القذى * من الريح معطار الاصائل والبكر
به عبق مما تسحب فوقه * نسيم الصبا يجري على النور والزهر

بركة الجعفرى

ويتعلق بهذا الباب قول البحرى يصف بركة الجعفرى وهو قصر ابتناه
المتوكل فى سرٍّ من رأى

يا من رأى البركة الحسناء ورتقها * والآنسات إذا لاحت مغانيها
ما بال دجلة كالغبرى تنافسها * فى الحسن طوراً وأطواراً تباهاها
إذا علتها الصبا أبدت لها حُبكاً * من الجواشن مصقولاً حواشيها
فحاجب الشمس أحياناً يغاز لها * وريق الغيث أحياناً يبا كيهها
إذا النجوم تراءت فى جوانبها * ليلاً حسبت سماءً ركبت فيها
كأنما الفضة البيضاء سائلة * من السبائك تجري فى مجاريها
تنصب فيها وفود الماء معجلاً * كالخليل خارجة من حبل مجريها
كأن جن سليمان الذين ولوا * إبداعها فأدقوا فى معانيها
فلو تمر بها بلقيس معرضة * قالت هى الصرح تمثيلاً وتشبيها
يؤمن فيها بأوساطٍ مجنحة * كالطير تنشر فى جوّ خوافيها

(١) المتخيم : المقيم ، ويحسن الرجوع الى معلقة زهير فى كتاب « جمهرة
أشعار العرب »

قصور المتوكل

ولم ينفق أحد من خلفاء بني العباس في البناء ما أنفقه المتوكل ، وذلك أنه أنفق في أبينته ثلثمائة ألف ألف. وفي أبينته يقول علي بن الجهم

وما زلت أسمع أن الملو * ك تبنى على قدر أخطارها
وأعلم أن عقول الرجا * ل يُقضى عليها بآثارها
صُحُونٌ تسافر فيها العيون * فتحسّر من بُعد أقطارها ^(١)
وقبة مُلْكٍ كأن النجو * م تُفضى إليها بأسرارها
إذا أوقدت نارها بالعراق * أضاء الحجاز سنانارها
لها شُرُفات كأن الربيع * كساها الرياض بأنوارها
فهنّ كمصطحبات خرجن * لفُصح النصارى وإفطارها ^(٢)
نظمن القيسى كنظم الخلى * بعون النساء وأبكارها
فمن بين عاقصة شعرها * ومُصلحة عقد زنارها ^(٣)
وللبحتري فيها شعر كثير منه

أرى المتوكلية قد تعالت * مصانعها وأكملت التماما
قصور كالكوأكب لامعات * يكبدن يضيئ للشارى الظلاما
وروض مثل برد الوشى فيه * جنى الخوذان ينشر والخزامى ^(٤)
غرائب من فنون النور فيها * جنى الزهر الفردى والتواما
يضاحك نورها طوراً وطوراً * عليه الغيم ينسجم انسجاما
ولولم يستهل لها غمام * بريّة لكنت لها غماما ^(٥)

(١) تحسر : تسكل ، والاقطار النواحي والأرجاء (٢) الفصح من أعياد النصارى (٣) الزنار : رباط يشد به الخصر (٤) الخوذان والخزامى من النباتات الزهرة (٥) ريق المطر : الغزير منه

وقال أيضاً

قد تمَّ حسن الجمعري ولم يكن * ليتمَّ إلا للخليفة جعفر
ملكٌ نبواً خير دارٍ انشئت * وترايبها مسكٌ يشاب بعنبر^(١)
مخضرة والغيث ليس بساكب * ومضيئة والليل ليس بمقمر
رفعت بمنخرق الرياح وجاورت * ظل الغمام الصيَّب المستعبر^(٢)

وبعد:

ورفعت بنيانا كأن زُهاءه * أعلام رضوى أو شواهد مشبر^(٣)
عالٍ على لحظ الديون كأنما * ينظرن منه إلى بياض المشتري^(٤)
ملأت جوانبه الفضاء وعانقت * شرفاته قطع السحاب المُمطر
وتسيل دجلة تحته ففناؤه * من لجة فرشت وروض أخضر
شجر تلاعبه الرياح فتثنى * أعطافه في سائح متفجّر

وصف موضع

أخذ أبو بكر الصنوبري قول البحتری في صفة البركة فقال يصف موضعاً
سقا حلباً سافك دمه * بطي الرقوء إذا ما سَفَكَ
ميا دينه بسطهنّ الرياض * وساحاته بينهنّ البرك
ترى الريح تنسج من مائه * دروعاً مضاعفة أو شبك
كان الزجاج عليها أذيب * وماء اللجين بها قد سبك
هي الجو من رقة غير أن * مكان الطيور يطير السمك
وقد نظم الزهر نظم النجوم * ففترق النظم أو مشتبك
كما درج الماء مرّ الصبا * ودبج وجه السماء الحبك

(١) يشاب : يمزج (٢) الصيَّب : الكثير الانهمال (٣) رضوى ومثبر
أسماء جبال (٤) المشتري : اسم نجم

يباهين أعلام قُص القيان * ونقش عصائنها والتكك
وأخذ قوله * إذا النجوم تراءت في جوانبها * فقال
ولما تعالى البدرُ وامتدَّ ضوءه * بدجلة في تشرين في الطول والعرض
وقد قابل الماء المقضض نوره * وبعض نجوم الليل يقفوسنا بعض^(١)
توهم ذو العين البصيرة أنه * يرى باطن الافلاك من ظاهر الارض
ولأهل العصر في هذا النحو كلام كثير . قال الأمير أبو الفضل الميكالي
يصف بركة وقع عليها شعاع الشمس فألقنه على بهو مطل عليها يقول
أما ترى البركة الغراء قد لبست * نوراً من الشمس في حافاتها سطعا
والبهو من فوقها يلهمك منظره * كأنه ملك في دسنه ارتفعا
والماء من تحته ألقى الشعاع على * أعلا سماواته فارتجج ملتعا
كأنه السيف مصقولاً ثقلبه * كف الكمي الى ضرب الكمي سعي

دار البحر بالمنصورية

وقال علي بن محمد الايادي يمدح المعز ويصف دار البحر بالمنصورية
ولما استطال المجد واستوات البني * علي النجم واشتد الرواق المروق^(٢)
بني قبة الملك في وسط جنة * لها منظر يزهي به الطرف موق
بمشوقة الساحات أما عراصها * نخضر وأما طيرها فهي نطق^(٣)
تحف بقصر ذي قصور كأنما * ترى البحر في أرجائه وهو متاق^(٤)
له بركة الماء ملء فضائه * تحب بقصرهم العيون وتعنق^(٥)
لها جدول ينصب فيها كأنه * حسام جلاه القين بالأرض ملصق^(٦)

(١) يقفو : يتبع ، والسنا الضوء (٢) البني : جمع بنيه بالضم والكسر
(٣) العراص هي الباحات (٤) متاق ملائ (٥) تحب وتعنق من الخجب
والعنق بفتح الحين وهما من أنواع السير (٦) القين : الحداد

لها مجلسٌ قد قام في وسط مأبها * كما قام في فيض الفرات الخورنق^(١)
 كأن صفاء الماء فيها وحسنه * زجاجٌ صفت أرجاؤه فهو أزرق
 إذا بث فيها الليل أشخاص نجمه * رأيت وجوه الزنج بالنار تحرق
 وإن صاغتها الشمس لاحت كأنها * فرند على تاج المعز وروثق
 كأن شرافات المقاصر حولها * عذارى عليهنّ الملاء المنطق
 يذوب الجفاء الجعد عن وجه مأبها * كذاب آل الصحصحان المرقق^(٢)

وقال عبد الكريم بن ابراهيم

يارب فتیان صدقٍ رحت بينهم * والشمس كالدف الممشوق في الأفق
 مرضى أصائلها حسري شائلها * تروح الغصن الممطور في الورق
 معاطياشمس إبريق إذا مزجت * تقلدت عقد مرجان من النزق
 عن ماحل طافح بالماء معتلج * كأنما نفسه صيغت من الحلق
 تضمه الريح أحيانا وتفرقه * فلما ما بين محبوس ومنطق
 من أخضر ناضر والطل يلحقه * وأبيض تحت قبلى الضحى يقق
 تهزّه الريح أحيانا فيمنحها * للزجر خفق فؤاد العاشق القلق
 كأن حافاته نطقن من زبد * مناطقاً رصعت من لؤلؤ نسق
 كأن قبه من سندس نمط * حسناء مجلوة اللبآت والعنق
 إذا تبلج فجر فوق زرقته * حسبته فرساً دهماء في بلق
 أو لازورداً جرى في متنه ذهب * فلاح في شارق من مائه شرق
 عشية كملت حسناً وساعدها * ليل يمدد أطناباً على الأفق
 تجلى بغرة وضاح الجبين له * ماشئت من كرم واف ومن خلق

(١) الخورنق : اسم قصر (٢) الصحصحان : موضع بين حلب وتدمر ،
 والآل السراب

المياه والغدران

ألفاظ لأهل العصر في وصف الماء وما يتصل به

ماء كالزجاج الأزرق ، غدير كمين الشمس ، موارد كاللمبارد ، وماء كالسان
الشمعة ، في صفاء الدفعة ، يسبح في الرضراض ، سبح النضناض ، ماء أزرق
كعين السنور^(١) صاف كقضيب البلور ، ماء إذا مسته يد النسيم حكى سلاسل
الفضة ، ماء إذا صافحته راحة الريح ، لبس الدرع كالسيح ، كأن الغدير بتراب
الماء رداء مصندل ، بركة كأنها مرآة السماء ، بركة مفروزة بالخضرة ، كأنها
مرآة مجلوة ، على ديباجة خضراء ، بركة ماء كأنها مرآة الصناعات^(٢) غدير
ترقرقت فيه دموع السحاب ، وتواترت عليه أنفاس الرياح الغرائب ، ماء
زرق حمامه ، طامية أرجاؤه ، يروح بأسراره صفائه ، وتلوح في قراره حصباؤه ،
ماء كأنما يفقده من يشهده ، يتسلسل كالزرافين^(٣) ويرضع أولاد الرياحين ،
أنحل عقد السماء ، ووهى عقد الأنواء ، أنحل سلك القطر عن در البحر ، أسعد
السحاب جفون العشاق^(٤) ، وأكف الأجواد ، وأنحل خيط السماء وانقطع
شريان الغمام ، سحابة يتجلى عليها ماء البحر ، ونفض علينا عقود الدر ، سحاب
حكى المحب في أنسكاب دموعه ، والتهاب النار بين ضلوعه ، سحابة تحدد من
الغيوم جمالا ، وتمد من الأمطار حبالا ، سحابة ترسل الأمطار أمواجاً ، والأمواج
أفواجاً ، تحللت عقد السماء ، بالديمة الهطلاء ، غيث أجش يروي الهضاب
والآكام^(٥) ، ويحيي النبات والسوام ، غيث كفرارة فضلك ، وسلامة طبعك
وسلامة عقدك ، وصفاء ودك ، وبل كالنبيل ، سحابة يضحك من بكائها الروض
(١) السنور : القطة (٢) الصناعات : المرأة الماهرة فيما تصنع ، وكأنما يراد بها
هنا المرأة التي تهتم بزيينة النساء (٣) الزرافين : الآلات يرفع بها الماء ، فترى
له عليها بريقا ولمعانا (٤) أسعد : من الأسعاد وهو المشاركة في البكاء
(٥) الآكام : جمع أكمة وهي التل

وتخضر من سوادها الارض ، سحابة لانجف جفونها ، ولايجف أنينها ، ديمة روت أديم الثرى ، ونهت عيون النور من الكرى ، سحابة ركبت أعناق الرياح وسحت كأفواه الجراح ، مطر كأفواه القرب ، ووحل إلى الركب ، أنديّة من الله معها على البيوت بالنبت ، وعلى السقوف بالوقوف ، أقبل السيل ينحدر انحدارا ويحمل أحجاراً ، وأشجاراً ، كأن به جنة ، أوفى أحشائه أجنة

وبعض ما مر من هذه الألفاظ محلول نظام ما تقدم إنشاده

(ولهم في مقدمات المطر) لبست السماء جلبابها ، وسحبت السحاب أذيالها ، قد احتجبت الشمس في سرادق الغيم ، ولبس الجو مطرفه الأدكن ، باحت الريح بأسرار الندى ، وضربت خيمة الغمام ، ورش جيش النسيم ، وابتل جناح الهواء ، واغرورقت مقلة السماء ، وبشر النسيم بالندى ، واستعدت الارض للقطر ، هبت شمائل الجنائب ، لتأليف شمل السحاب ، تألفت أشتات الغيوم ، وأسبلت الستور على النجوم

وصف الرعد والبرق ✓

«وفي الرعد والبرق» قلم خطيب الرعد ، ونبض عرق البرق ، سحابة ارنجرت رواعدها ، وأذهبت يبروقها مطاردها ، نطق لسان الرعد ، وخفق قلب البرق ، فالرعد ذو صخب ، والبرق ذو وهب ، ابتسم البرق عن قهقهة الرعد ، زارت أسد الرعد ، ولملت سيوف البرق ، رعدت الغمام ، وبرقت ، وانحلت عزالى السماء فطبقت ، هدرت رواعدها ، وقربت أباعدها ، وصدقت مواعدها كأن البرق قلب مشوق ، بين التهاب وخفوق (ويتصل بهذه الانحاء) ماحكاه عمر بن على المطوعى قال : رأى الامير السيد أبو الفضل عبيد الله بن أحمد أدام الله عزه أيام مقامه بجوين أن يطالع قرية من قرى ضياعه تدعى نجاب على سبيل التنزه والتفرج فكنت فى جملة من استصحبه إليها من أصحابه ، واتفق انا وصلنا والسماء مصحبة والجو صاف لم يطرز ثوبه بعلم الغمام ، والافق فيروزج لم يعبق به

كافور السحاب ، فوق الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع ، متسقة الأوراق
والفصون ، قد سترت ماحو اليها من الأرض طولاً وعرضاً ، فنزلنا تحتها مستظلين
بساوة أفنانها^(١) مستترين من وهج الشمس بستارة أغصانها ، وأخذنا نتجاذب
أذيال المذاكرة ، وتتسالب أهداب المناشدة والمحاربة ؛ فما شعرنا بالسماء إلا وقد
أرعدت وأبرقت ، وأظلمت بعد ما أشرقت ، ثم جادت بمطر كأفواه القرب
فأجادت ، وحكت أنامل الاجواد ومدامع العشاق^(٢) بل أوفت عليها وزادت
حتى كاد غيثها يعود عينا^(٣) وهمّ وبلّها أن يستحيل ويلا ، فصبرنا على أذاها ،
وقلنا صحابة صيف عما قليل تَقَشَّع ، فإذا نحن بها قد أمطرتنا بردا كالثغور ،
لكنها من ثغور العذاب ، لامن الثغور العذاب ، فأيقنا بالبلاء ، وسلمنا لأسباب
القضاء ؛ فما مرت إلا ساعة من النهار ، حتى سمعنا خرير الانهار ، ورأينا السيل
قد بلغ الزبى ، والماء قد عمر القيعان والربى^(٤) فبادرنا إلى حصن القرية لائذين من
السيل بأفنيتهما . وعائدين من القطر بأبنيتهما ، وأثوابنا قد صندل كافوريتها ماء
الوبل ، وغلف طرازها طين الوحل ، ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الأبدان ،
وان فقدنا بياض الأكمام والأردان ، ونشكره على سلامة الأنفس والأرواح ،
شكر التاجر على بقاء رأس المال إذا فجع بالأرباح ، فبتنا تلك الليلة في سماء تكف
ولا تكف^(٥) وتبكي علينا إلى الصباح بأدمع هوام ، وأربعة سجام^(٦) ، فلما سلَّ
سيف الصبح من غمد الظلام ، وصُرف بوالى الصحو عامل الغمام ، رأينا صواب
الرأى أن نوسع الإقامة بها رفضاً ، وننخذ الارتحال عنها فرضاً ، فاذلنا نطوى
الصحارى أرضاً فأرضاً ، إلى أن وافينا المستقر ركضاً ؛ فلما نفطنا غبار ذلك

(١) السماوة : السماء وهو السقف (٢) المدامع : جمع مدمع ، وهو الدمع ،
أو العين نفسها لأنها مكان الدمع ، وكذلك سمي كتاب « مدامع العشاق » فهو
دموعهم أو عيونهم (٣) العيث : الفساد (٤) القيعان : جمع قاع ، والربى :
جمع ربوة (٥) تكف : تسيل ، وتكف تمتنع (٦) هوام : جمع هامية ،
وسجام : جمع ساجمة ، أى ممطرة

المسير ، الذى جمعنا فى رِبة الأسير ، وأفضينا إلى ساحة التيسير ، بعد ما أصبنا
بالأمر العسير . ونذا كرنا ما لقينا من التعب والمشقة ، فى قطع ذلك الطريق
وطى تلك الشقة ، أخذ الامير السيد أطال الله بقاءه القلم فعلق هذه الابيات ارتجالا

دهتنا السماء غداة السحاب * بغيث على أفقه مُسْبِل
فجاء برعد له رنة * كرتة ثكلى ولم تشكل
وثنى بوبل عدا طورهُ * فعاد وبالا على المحل (١)
وأشرف أصحابنا من أذاه * على خطر هائل مُعْضِل
فمن لائذ بفناء الجدار * وآو الى نفق مُهْمِل (٢)
ومن مستجير ينادى الغريق * هناك ومن صارخ مُعُول
وجادت علينا سماء السقوف * بدمع من الوجد لم يهمل
كأن حراماً لها أن ترى * يبيساً من الأرض لم يُبْلَل
وأقبل سَيْلٌ له روعة * فأدبر كلٌّ عن المقبل
يُقلع ماشاء من دوحة * وما يلق من صخرة يحمل
كأن باحشائه إذ بدا * أجنة حُبلى ولم تحبل
فمن عامر رده غامراً * ومن معلّم عاد كالجهل (٣)
كفانا بليته ربنا * فقد وجب الشكر للفضل
فقل للسماء ارعدى وابرقى * فانا رجعنا الى المنزل (٤)

أخذ المطوعى قوله (فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام) من قول أبى

الفتح البستى

رُبَّ ليل أغمد الانوار إلا * نُورَ ثَغْرِ أو مدام أو ندام
قد نعمنا بدياجيه إلى أن * سل سيف الصبح من غمد الظلام

(١) المحل : المجدب (٢) النفق : السرداب (٣) غامر : خراب ، ومعلم
ومجهل : معلوم ومجهول ، وكلاهما على وزن مقعد (٤) هذا البيت غاية فى خفة الروح

أبو العباس الناشيء

خليلي هل للمزن مقلّة عاشقٍ * أم النار في أحشائها وهي لا تدرى
أشارت إلى أرض العراق فأصبحت * وكاللولؤ المنثور أدمعها تجري
سحاب حكّت نكلى أصيبت بواحدٍ * فعاجت له نحو الرياض على قبر
تسرّبل وشيا من حزونٍ تطرزت * مطارفها طرزا من البرق كالتهر
فوشى بلا رقمٍ ورقمٍ بلا يدٍ * ودمع بلا عين وضحك بلا ثغر
وقال آخر

أرقت لبرق شديد الوميض * ترمى غواربه بالشهب
كأن نألقه في السماء * سطور كتبت بماء الذهب

وقال ابن المعتز

كأن الرّباب الجوّن دون سحابه * خليع من الفتيان يسحب منزرا^(١)
إذا لحقته خيفة من رعوده * تلفت واستلّ الحسام المذكرا
وقد قال حسان بن ثابت

كأن الرّباب دوين السحاب * نعام تعلق بالأرجل^(٢)

وقال ابن المعتز

باكية بضحك فيها برقها * موصلةً بالأرض مرخاة الطنب
رأيت فيها برقها منذ بدا * كمثّل طرف العين أو قلب يجب^(٣)
جرت بهارج الصبا حتى بدا * منها إلى البرق كأمثال الشهب
تحسبه طوراً إذا ما انصدعت * أحشاؤها عنه شجاعاً يضطرب^(٤)

(١) الرّباب : السحاب ، والجون الاسود (٢) دوين : تصفرون (٣) يجب :
يضطرب (٤) الشجاع : الثعبان

وتارة تحسبه كأنه * أبلق مال جلّه حين وثب^(١)
وتارة تحسبه كأنه * سلامل مفصولة من الذهب
وقال الطائي

ياسهم للبرق الذي استطارا * صار على رغم الدجى نهارا
آض لنا ماء وكان نارا^(٢)

وينشد أصحاب المعاني
نارٌ تجدد للعينين نضرتها * والنار تفلح عيدانا فتحترق

الشرب في الصحو

وقال ابن المعتز يمدح الشرب في الصحو ويذمه في المطر
أنا لا أشتهى سماء كبطن الـ * ير والشرب تحتها في خراب
بين سقف قد صار منخل ماء * وجدار ملقى وتل تراب
وبيوت يوقع الوكف فيهن * وإيقاعه بغير صواب
انما أشتهى الصبوح على وج * ه سماء مصقولة الجلباب
ونسيم من الصبا يتمشى * فوق روض يد جديد الشباب
وكان الشمس المضيئة دينة * ارتجلته حدائد الضراب
في غداة وكأسيها مثل شمس * طلعت في ملاءة من شراب
أوعروس قد ضمت تحت مخلوق * فهي صفراء في قميص حباب
وغناء لا عذر للعود فيه * بتندى الأوتار والمضرب
وبراة البساط من وضرب الط * ين ومسح الأقدام في كل باب
ونشاط الغلمان ان عرضت حا * جاتنا في مجيئهم والذهاب
وجفاف الريحان والدرجس الغض * بأيدي الخلان والاصحاب

(١) الأبلق : الجواد يرتفع تحجيلة الى الفخذين ، والتحجيل بياض في القوائم ،
والجل ما يوضع على ظهر البعير والجواد (٢) آض : رجع وصار

لا تندى أنوفهم كلما حيوا * بضفت ندى أنوف الكلاب
ذاك يوم أراه غنما وحظا * من عطاء المهيمن الوهاب
وقال الصنوبرى

أنيس ظباء بوحش الظبا * وصبغ حيا مثل صبغ الحيا
ويوم تكلله الشمس من * صفاء الهوى وصفاء الهوا
بشمس الدنان وشمس القيان * وشمس الجنان وشمس السما

وشبيهه بالآيات التى كتبها نعلب الى أبى العباس بن المعتز الجميل قول الآخر
وما وجد ملوآخ من إلهيم خلّيت * عن الورد حتى جوفها يتصلصل^(١)
تحوّم وتغشاها العصى وحوّلها * أقاطيع أنعام تعلّ وتنهّل
بأكثر منى لوعة وصباية * الى الورد الا أنى أتجمل^(٢)
وقال أبو حية النيرى

كفى حزنا أنى أرى الماء مفرّضا * لعينى ولكن لا سبيل الى الورد
وما كنت أخشى أن تكون منيتى * بكف أعز الناس كلهم عندي

وصف رجل حازم

وقال ابن المقفع: كان لى أخ أعظم الناس فى عينى ، وكان رأس ماعظّمه
فى عينى صغر الدنيا فى عينه ، وكان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهى ، ولا يجده ،
ولا يكثر إذا وجد ، وكان خارجا من سلطان فرجه ، فلا يدعو اليه مؤنة ،
ولا يستخف له رأيا ولا بدنا . وكان لا يتأثر عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة .
وكان خارجا من سلطان لسانه ، فلا يتكلم بما لا يعلم ، ولا يمارى فيما علم ، وكان
خارجا من سلطان الجهالة ، فلا يتقدم أبدا الاعلى ثقة بنفسه ، وكان أكثر ذهره

(١) اللواج : الناقة الضامر ، والهيم : جمع هيماء ، وهى التى أصيبت بداء الهيام
وهو شدة الظلم ، ويتصلصل : يصوت (٢) أنظر لوعة الشوق فى كتاب مدامع العشاق

صامتا ، فإذا قال بزّ القائلين ^(١) وكان ضعيفا مستضعفا ، فإذا جدّ الجدّ فهو الليث عسديا . وكان لا يدخل في دعوى ، ولا يشارك في وراء ، ولا يبدل بحجة حتى يرى قاضيا فيها وشهودا عدولا . وكان لا يلوم أحدا فيما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما عذره . وكان لا يشكو وجعة الا عند من يرجو عنده البرء . ولا يستشير صاحبها الا ان يرجو منه النصيحة . وكان لا يتبرّم ، ولا يتسخط ، ولا يتشكى ، ولا يتشهي ، ولا ينتقم من العدو ، ولا يقفل عن الولي ، ولا يخصّ نفسه بشيء دون اخوانه من اهتمامه وحيلته وقوته . فعليك بهذه الاخلاق ان أطقها ، ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع [

ابراهيم بن أدهم

وعلى ذكر قوله (وان قال بزّ القائلين) قال ابن كناسة واسمه محمد بن عبد الله ويكنى أبا يحيى في ابراهيم بن أدهم الزاهد

رأيتك لا ترضى بما دونه الرضى * وقد كان يرضى دون ذاك ابن أدهم
وكان يرى الدنيا صغيراً عظيمها * وكان لأمر الله فيها معظماً
وأكثر ما تلقاه في الناس صامتا * وان قال بزّ القائلين فأخفا
يشيع الغنى في الناس إن مسه الغنى * ونلق به البأساء عيسى ابن مريم
أهان الهوى حتى تجنّب الهوى * كما اجتنب الجاني الدم الطالب الدما

وصف التقى والزهد

(ألقاظ لأهل العصر في ذكر التقى والزهد)

فلان عذب المشرب ، عَفّ المطلب ، نقي الساحة من المآثم ، يرى الذمة من الجرائم ، اذا رضى لم يقل غير الصدق ، واذا سخط لم يتجاوز جانب الحق ،

(١) بد غلب ، بالذال والزاي ، ومنه : من عز بز

يرجع الى نفس أمارة بالخير ، بعيدة من الشر ، مدلولة على سبيل البر ، أعرض
عن زبرج الدنيا وخدعها ، وأقبل على اكتساب نعم الآخرة ومُتْعَهَا ، كَفَّ كَفَّهُ
عن زخرف الدنيا ونصرتها ، وغض طرفه عن متاعها وزهرتها ، وأعرض عنها وقد
أعرضت له بزيتها ، وصدَّ عنها وقد تصدَّتْ لَهَا في حليتها — فلان ليس ممن يقف
في ظل الطمع ، فيُسَف الى حضيض الطمع ^(١) ، نقي الصحيفة ، علا عن الفضيحة ،
عف الإزار ، طاهر من الأوزار ، قد عاد لاصلاح المعاد ، واعداد الزاد

ابن المقفع

وكان ابن المقفع من أشراف فارس ، وهو من حكماء زمانه ، وله مصنفات
كثيرة ، ورسائل مختارة ، وكان مُحجماً عن قول الشعر ، وقيل له لم لا تقول
الشعر فقال : الذي أَرْضاه لا يجيئني والذي يجيئ لا أَرْضاه
أخذ هذا بعضهم فقال

أبى الشعر إلا أن يفي رَدِيَّهُ * إلى ويأبى منه ما كان مُحْكَمًا
فيا ليتني إذ لم أجد حَوْك وشِيهِ * ولم أك من فرسانه كنت مُفْحَمًا ^(٢)
وكان ظريفا في دينه ، وذكر أنه مر ببית النار فقال
يا بيت عاتكة الذي أعرَّزَلُ * حذر العدا وبه الفؤاد موكَّلُ
أصبحت أمنحك الصدود واثني * قسما إليك مع الصدود لأميلُ ^(٣)
البيتان للاحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح الانصارى أخى
بنى عمرو بن عوف

(١) الطمع : بفتح الباء الخسة (٢) مفهم : مغلوب (٣) انظر ما كتب عن
هذا الشعر في كتاب البدائع تحت عنوان (الأدب الجديد)

عاصم بن ثابت

وعاصم بن ثابت حمى الدبر قتله بنو لحيان من هذيل يوم الرجيع فأرادوا ان يبعثوا برأسه الى مكة . وكانت سلافة بنت سعد نذرت لتشر بن في رأسه الحجر وكان قتل بعض ولدها من طلحة بن أبي طلحة أحد بنى عبد الدار يوم أحد ، فلما أرادوا أخذ رأسه حتمه الذبر وهي النحل فلم يجدوا اليه سبيلا وجعلوا يقولون إن الذبر لو قد أمسى صرنا الى حشاوسته فلما أمسوا بعث الله أتيا فواراه منهم ^(١) وعاتكة التي ذكر هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية

فهم المنصور

ولما دخل أبو جعفر المنصور المدينة قال للربيع : ابغني رجلا عاقلا عالما بالمدينة ليقفني على دورها ، فقد بعد عهدي بديار قومي ، فالتبس له الربيع قتي من أعقل الناس وأعلمهم ، فكان لا يتدنى باخبار حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة ، وأجود بيان ، وأوفى معنى . فأعجب المنصور به وأمر له بمال فتأخر عنه ، ودعته الضرورة الى استنجاهه ، فاجتاز بيت عاتكة فقال : يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الاحوص * يا بيت عاتكة الذي أتزل * البيت ففكر المنصور في قوله وقال : لم يخالف عادته بابتداء الاخبار ، دون الاستخبار ، إلا لأمر . وأقبل يردّد القصيدة وينصفها بيتا بيتا حتى انتهى الى قوله فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول مالا يفعل ^(٢)

فقال : ياربيع ، هل أوصلت الى الرجل ما أمرنا له به ؟ فقال أخرته عنه لعله ذكرها الربيع ، فقال عجله له مضاعفا . وهذا أطف تعريض من الرجل ، وحسن فهم من المنصور (ومن كلام ابن المقفع) الحاسد لا يزال زاريا على نعمة الله ،

(١) الآتي : على وزن غنى هو السيل (٢) مذق اللسان : يمزج الجذد بالهزل

ولا يجدها مزالا ، ومكدرها على نفسه ما به من النعمة فلا يجدها طعما ، ولا يزال
ساخطا على من لا يرضاه ، ومتسخطا لما ينال ، فهو كظوم هلوع جزوع ، ظالم
أشبه شئ بظلوم ، محروم الطلبة ، منعص العيشة ، دائم التسخط ، لا بما قسم له
يقنع ، ولا على ما لم يقسم له يغلب ، والمحسود يتقلب في فضل نعم الله مباشرة
للسرور ممهلا فيه الى مدة لا يقدر الناس لها على قطع ولا انتقاص ، ولو صبر
الحاسد على ما به لكان خيرا له لأنه كلما أراد أن يطفى نور الله أعلاه ، ويأبى الله
إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

السنة الحساد

قال الطائي

لولا التخوف للعواقب لم تزك * للحاسد النعمى على المحسود
وإذا أراد الله نشر فضيلة * طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود
أحذه البحتري فقال

ولن تستبين الدهر موضع نعمة * إذا أنت لم تدلّ عليها بحاسد
ولقد أحسن القائل

إن يحسدوني فاني غير لأئهم * قبل من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم * ومات أكثرنا غيظا بما يجد
أنا الذي يجدوني في صدورهم * لا أرتقي صدرا عنها ولا أريد^(١)
وقال ابن الرومي لصاعد بن مخلد

وضد لكم لا زال يسفل جدّه * ولا برحت أنفاسه تنصعد^(٢)
يرى زبرج الدنيا يزف إليكم * ويغضى عن استحقاقكم فهو يفاد^(٣)

(١) لا أرتقي صدرا ولا أريد : أى لا اصعد ولا أهبط فأنا كالشجر الدائم الذى
لا سلامة لأعدائى منه . وهذه الايات غاية فى جمال البيان (٢) الجد : بالفتح ،
الحظ (٣) يفاد : يحرق فؤاده

ولو قاس باستحقاقكم ما مُنِحْتُمْ * لأطفأ ناراً في الحشا تنوِّد
وَأَنقُ من عِقْدِ العقيلةِ جِيدُهَا * وأحسن من سِرِّ بالها المتجرَّدُ (١)
وقال معن بن زائدة

إني حُسِدْتُ فزاد الله في حسدي * لا عاش من عاش يوماً غير محسودٍ
ما يُحسد المرء الا من فضائله * بالعلم والظرف أو بالبأس والجود

وصف الحسد

(ألفاظ لأهل العصر في ذكر الحسد) قد دبت عقارب الحسد ، وكنت
أفاعيهم بكل مرصد — فلان معجون من طينة الحسد والمنافسة ، مضروب
في قالب الضيق والمناقشة ، قد وكلّ بي لحظاً ينتضل بأسهم الحسد — فلان جسد
كله حسد ، وعقد كله حقد — الحاسد يعنى عن محاسن الصبح ، بعين تدرك
حقائق القبح * كتب محمد ابن حماد يُعرض في حاجة له ببنتى شعر الى الواثق يقول
جذبت دواعى النفس عن طلب المني * وقلت لها كفى عن الطلب المزرى
فان أمير المؤمنين بكفه * مدار رحى بالرزق دائبة تجرى
فوقع تحتها (جذبك نفسك عن اتمهاتها بالمسألة دعانى الى صوتك بسعة
فضلى عليك فخذ ما طلبت هنيئاً)

باب السلطان

قال على بن عبيدة أثبت الحسن بن سهل بفهم الصلح فأقت ببابه ثلاثة أشهر
لأحظى منه بطائل فكتبت اليه

مدحت ابن سهل ذا الايادى وماله * بذاك يدٌ عندي ولا قدّم بعدُ
وما ذنبه والناس الا أقلهم * عيال له إن كان لم يك لي جدُّ
سأحمده للناس حتى إذا بدا * له في رأى عادلى ذلك الحمد

(١) يقول : ان جيد العقيلة أجمل من المقد الذى يظن انه يزينه ، والمتجرد ،
أى الجسم العريان ، أجمل من السربال وهو القميص

فكتب إلى : باب السلطان يحتاج الى ثلاث خلال : عقل وصبر ومال ،
فقلت للواسطة تؤدي عني ؟ قل نعم قلت تقول له : لو كان لي مال لاغتناني عن
الطلب اليك ، أو صبر لصبرت عن الذل ببابك ، أو عقل لاستدلت به على
النزاهة عن رفدك ! فأمر لي بثلاثين ألف درهم

نجوى محب

وقال علي بن عبيدة الريحاني يوما وقد رأى جارية يهواها : لولا البقيا على
الضمائر ، لبحننا بما تجنه السرائر ، لكن نيران الحب تتدارك بالاخفاء ، ولا
تعاجل بالابداء ، فان دوامها مع اغلاق أبواب الكتمان ، وزوالها في فتح مصارع
الاعلان . وقد قال محمد بن يزيد الاموي :

لا وحببك لا أصا * فح بالدمع مدمعا

من بكى حبه استرا * ح وان كان موجعا

ومن كلام علي بن عبيدة : اجعل أنسك آخر ما تبذل من ودك ، ومن
الاسترسال منك ، حتى تجده مستحقا ، فان الانس لباس العرض ، وتحفة الثقة ،
وحياء الاكفاء ، وشعار الخاصة ، فلا تخلق جِدته الا لمن يعرف قدر ما بذلت له
منك * وقال : لولا حركات من الابتهاج أجدها عند رؤيتك في نفسي
لا أعرف لها مثيلاً من مظانها الا مؤانستك لي ، لأبقيت عليك من العناء ،
وخففت عنك مؤنة اللقاء ، لكنني أجده من الزيادة بك عندي أكثر من قدر
راحتك في تأخرك عني ، فأضيق عن احتمال الخسران بالوحدة منك ، وقال :
لوجلي من طلوع الملالة بكرّ اللقاء أستخف التجافي مع شدة الشوق لتبقى جدة
الحال عند من أحب دوامه لي . ورد طرف الشوق باطنا أيسر من معاناة الجفاء
مع الود ظاهراً . وقال بعض المحذنين

كم استراح إلى صبر فلم يُرح * صب اليكم من الاشواق في بُرح

تركتم قلبه من حزن فرقتم * لو يرزق الوصل لم يقدر على الفرح

وقال أعرابي

ألا قل لدار بين أكنة الحى * وذات الغضى جادت عليك الهواضب^(١)
أجـدك لا آتيك الا تنابعت * دموع أضاعت ما حفظت سواك
ديار تنسـمت المني نحو أرضها * وطاوعني فيها الهوى والحبائب
ليالى لا الهجران محتكم بها * على وصل من أهوى ولا الظن كاذب

ابراهيم بن المهدي

تنازع ابراهيم بن المهدي وابن بختيشوع الطيب بين يدي احمد بن أبي
دؤاد في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد فاربى عليه ابراهيم وأغلظ له فأحفظ
ذلك ابن أبي دؤاد فقال : يا ابراهيم اذا نازعت في مجلس الحكم بحضورنا امرء
فلا أعلن انك رفعت عليه صوتا ، ولا أشرت بيد ، ولكن قصدك أمما^(٢)
وريحك ساكنة ، وكلامك معتدلا ، مع وفاء مجالس الخليفة حقوقها من التعظيم ،
والتوقير ، والاستكانة ، والتوجه الى الواجب ، فان ذلك أشكل بك ، واشمل
لمذهبك في محنتك ، وعظيم خطرك ، ولا تعجلن قرب عجلة تهب ريثا ، والله
بعضك من خطل القول والعمل ، ويتم نعمته عليك كما أنتمها على أبويك من
قبل ، ان ربك حكيم عليم . فقال ابراهيم : أصلحك الله تعالى أمرت بسداد ،
وحضضت على رشاد ، ولست عائدا لما يثلم مروءتى عندك ، ويسقطني من عينك ،
ويخرجني من مقدار الواجب الى الاعتذار ، فها أنا معتذر اليك من هذه البادرة ،
اعتذار مقرر بذنبه ، معترف بجرمه ، ولا يزال الغضب يستفزني بمواده ، فيردني
مثلك بحلمه ، وتلك عادة الله عندك وعندنا منك ، وقد جعلت حقى من هذا
العقار لابن بختيشوع ، فليت ذلك يكون وافيا بأرش الجناية عليه^(٣) ولم يتلف
مال أفاد موعظة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

(١) الهواضب : السحب المواطر (٢) أمم : قريب (٣) الأرض : الدية

أردشير بن بابك

لما استوثق أمر أردشير بن بابك وجمع ملوك الطوائف وتم له ملكه ، جمع الناس فخطبهم خطبة حض فيها على الألفة والطاعة ، وحذرهم المعصية ومفارقة الجماعة ، وصف الناس أربعة صفوف فحروا له سجدا وتكلم متكلمهم فقال : لازلت أيها الملك محبوباً من الله تعالى بعز النصر ، ودرك الأمل ، ودوام العافية ، وتمام النعمة ، وحسن المزيد ، ولا زلت تتابع لديك المكرمات ، وتشفع اليك الذمامات ، حتى تبلغ الغاية التي يؤمن زوالها ، وتصل الى دار القرار التي أعدها الله تعالى لنظرائك من أهل الزلفى عنده ، والمكانة منه ، ولا زال ملكك وسلطانك باقيين بقاء الشمس والقمر ، زائدين زيادة النجوم والأنهار ، حتى تستوى أقطار الأرض كلها في علو قدرك عليها ، ونفاذ أمرك فيها ، فقد أشرق علينا من ضياء نورك ما عمنا عموم ضياء الصبح ، ووصل إلينا من عظيم رأفتك ما اتصل بانفسنا اتصال النسيم ، فأصبحت قد جمع الله بك الأيدي بعد اقتراقها ، وألف القلوب بعد توقد نيرانها ، ففضلك لا يدرك بوصف ، ولا يحمد بنعت . فقال أردشير : طوبى للمدوح اذا كان للمدح مستحقا ، وللداعي اذا كان للاجابة أهلا * وقيل لأردشير أيها الملك الرفيع الذي حلب العصور ، وجرب الدهور ، أى الكنوز أعظم قدراً ؟ قال العلم الذي خف محمله ، فتقلت مفارقتة ، وكثرت مراقبته ، وخفي مكانه ، فأمن من السرقة عليه ، فهو فى الملاء جمال ، وفى الوحدة أنيس ، يرأس به الخسيس ، ولا يمكن حاسدك عليه انتقاله عنك * قيل له فالمال ؟ قال ليس كذلك : محمله ثقل ، والهم به طويل ، ان كنت فى ملأ شغلك الفكر فيه ، وان كنت فى خلوة أتعبتك حراسته

أخلاق الملوك

قال الجاحظ : حدثني الفضل بن سهل قال : كانت رسل الملوك إذا جاءت بالهدايا يجعل اختلافهم إلى ، فتكون المؤامرات فيما معهم من ديوانى ، فكنت أسأل رجلا رجلا منهم عن سير ملوكهم ، وأخبار عظمائهم ، فسأت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم ، فقال : بذل عُرْفَه ، وجرَّد سيفه ، فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة ، لا يُنظر جنده ، ولا يخرج رعيته ، سهل النوال ، حزن النكال : الرجاء والخوف معقودان في يده ، قلت فكيف حكمه ؟ فقال : يرد المظالم ويردع الظالم ، ويعطى كل ذى حق حقه ، فالرعية اثنان : راض ومغتبط . قلت فكيف هيبتهم له ؟ قال يُتصور في القلوب ، فتغضى له العيون . قال : فنظر رسول ملك الحبشة إلى إصغائى إليه ، واقبالى عليه ، فسأل الترجمان ما الذى يقوله الرومى قال يذكركم ملكهم ، ويصف سيرته ، فتكلم مع الترجمان بشئ فقال لى الترجمان إنه يقول إن ملككم ذو أناة عند القدرة ، وذو حلم عند الغضب ، وذو سطوة عند المغالبة ، وذو عقوبة عند الاجترام ، قد كسا رعيته جميل نعمته ، وخوفهم عسف نعمته ، فهم يترامونه رأى الهلال خيالا ، ويخافونه مخافة الموت نكالا ، وسعهم عدله ، وردعتهم سطوته ، فلا تمتننه مزحة ، ولا تؤمننه غفلة ، إذا أعطي أوسع ، وإذا عاقب أوجع ، قالناس اثنان : راج وخائف ، فلا الراجى خائب الأمل ، ولا الخائف بعيد الاجل . قلت فكيف هيبتهم له ؟ قال لا ترفع إليه العيون أجفانها ولا تتبعه الابصار انسانها ، كأن رعيته قطاً رفرفت عليها صقور صوائد . فحدث المأمون بهذين الحديثين فقال : كم قيمتهما عندك ، قلت ألفا درهم . قال يا فضل ان قيمتهما عندى أكثر من الخلافة ، أما عرفت قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه (قيمة كل امرئ ما يحسن) أفتعرف أحداً من الخطباء البلغاء يحسن أن يصف أحداً من خلفاء الله الراشدين المهديين بهذه الصفة ؟ قلت لا ، قال : فقد

أمرت لها بعشرين ألف دينار ، وأجعل العذر مادة بيني وبينهما في الجائزة
فلولا حقوق الاسلام وأهله لرأيت اعطاءهما في بيت مال الخاصة والعامة دون
ما يستحقانه

أخت ملك الخزر

وقال الجاحظ حدثني حميد بن عطاء قال : كنت عند الفضل بن سهل وعنده
رسول ملك الخزر ، وهو يحدثنا عن أخت لملكهم ، قال : أصابتنا سنة احتدم
شواظها علينا بحر المصائب ، وصنوف الآفات ، ففرغ الناس إلى الملك ، فلم يدر
ما يجيبهم به ، فقالت أخته : أيها الملك إن خوف الله خلق لا يخلق جديده ، وسبب
لا يمتن عزيزه ، وهو دال الملك على استصلاح رعيته ، وزاجره عن استفسادها ،
وقد فرغت اليك رعيته بفضل العجز عن الالتجاء إلى من لا تزيده الاساءة إلى
خلقه عزا ، ولا ينقصه العود بالاحسان إليها ملكا ، وما أحد أحق بحفظ الوصية من
الموصى ، ولا يركوب الدلالة من الدال ، ولا يحسن الرعاية من الراعي . ولم تنزل في نعمة
لم تغيرها نقمة ، وفي رضى لم يكدره سخط ، إلى أن جرى القدر ، بما عمي عنه
البصر ، وذهل عنه الخذر ، فسلب الموهوب ، والواهب هو السالب ، فعد إليه
بشكر النعم ، وعذبه من فطيع النقم ، فمضى تنسه ينسك ، ولا تجعل الحياء من
التدلل للمعز المذل سترًا بينك وبين رعيته ، فتستحق مذموم العاقبة ، ولكن
مرهم ونفسك بصرف القلوب ، إلى الاقرار له بكنه القدرة ، وبتدلل الألسن
في الدعاء بمحض الشكر له ، فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه عن سبى فعل إلى
صالح عمل ، أو ليبعثه على دائب شكر ليحرز به فضل أجر ، فأمرها الملك أن تقوم
فيهم فتنذرهم بهذا الكلام ففعلت ، فرجع القوم وقد علم الله منهم قبول الوعظ
في الامر والنهي ، فحال عليهم الحول وما منهم مفتقد نعمة كان سلبها ، وتواترت
عليهم الزيادات بجميل الصنع ، فاعترف لها الملك بالفضل فقلدها الملك ، فاجتمعت

الرعية لها على الطاعة في المكروه والمحبوب ، قال : وهذا وهم أعداء الله تعالى
وضرائر نعمته ، ومستوجبو نعمته ، أعاد لهم بالشكر ما أرادوا ، وأعطاهم بالاقرار
له بكنه قدرته ماتمنا ، فكيف بمن يجمعه على الشكر نوران اثنان : قرآن منزل ،
ونبي مرسل ، لو صدقت النيات ، واجتمعت على الافتقار إليه الطلبات ، لكنهم
أنكروا ما عرفوا ، وجهلوا ما علموا ، فاققلب جدهم هزلا ، وسكونهم خبلاً

أقوال الملوك

(قطعة صادرة من أقوال الملوك دالة على فضل كرمهم وبعد همهم)
غضب كسرى أنوشروان على بعض مرابطيه فقال : يحط عن مرتبته ،
ولا ينقص من صلته ، فان الملوك تؤدّب بالهجران ، ولا تماقب بالحرمان . واصطنع
أنوشروان رجلاً فقيل له : إنه لا قديم له ، قال : اصطناعنا إياه شرفه . قال معاوية
رضي الله عنه : نحن الزمان من رفعتنا ارتفع ، ومن وضعنا هانت . وكان يقول : انى
لأنف من أن يكون في الأرض جهل لا يسمعه حلمي ، وذنب لا يسمعه عفوئى ،
وحاجة لا يسمها جودى . وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الناس من تواضع عن
رفعة ، وعفا عن قدرة ، وأنصف عن قوة (زياد) استشفعوا المن وراءكم ، فليس كل
أحد يصل الى السلطان ، ولا كل من وصل اليه يقدر على كلامه (المهلب)
عجبت لمن يشتري الممالك بماله ، كيف لا يشتري الاحرار بمعرفته . وقد روى
هذا لابن المبارك وقال لبيه يابنى أحسن نيا بكم ما كان على غيركم (قال أبو تمام
الطائي) يستهدى فرواً وعرض بقول المهلب

فهل أنت مهديه بمثل شكيرة * من الشكر يملو مُصْعِدًا ويصوّبُ^(١)
فأنت المعلمُ الطب أي وصية * بها كان أوصى في الثياب المهلبُ

(١) شكيرة : شعرة ، يريد ان هديتك لا تساوى شعرة من شكره ، ويملو
ويصوب يرتفع وينخفض

كلمات مأثورة

(يزيد بن المهلب) استكثروا من الحذفان الذم قل من ينجو منه (السفاح)
 ما أقبح بنا أن تكون الدنيا لنا وأولياؤنا خالون من أثرها (المامون) إنما تطلب
 الدنيا لتملك، فإذا ملكت فلتوهب، وقال: إنما يتكثر بالذهب والفضة من يقلان
 عنده (الحسن بن سهل) الأطراف منازل الاشراف، يتناولون ما يريدون
 بالقدرة، وينتابهم من يريدهم بالحاجة. وتعرض له رجل فقال له من أنت؟ قال
 أنا الذي أحسنت الى يوم كذا وكذا فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا. ولما أراد
 المعتصم أن يشرف، أشتاس التركي بعقب فتح الخزمية أمر أصحاب المراتب
 بالترجل اليه فنظر الحسن بن سهل الى حاجبه يمشى ويتعثر في مشيه فبكى، فقال
 ما يبكيك؟ إن الملوك شرفتنا وشرفت بنا (ومن كلام أهل العصر) للأمر
 شمس المعالي قابوس بن وشمكير: من أقعدته نكابة الأيام، أقامته إغاثة الكرام
 ومن ألبسه الليل ثوب ظلماته، نزعته النهار عنه بضياؤه (وله) ابتناء المناقب،
 باحتمال المتاعب، وإحراز الذكر الجميل، بالسعى في الخطب الجليل * صاحب بن عباد

وقائلة: لم عرتك الهموم * وأمرك ممثّل في الأمم

فقلت ذرني لما أشتكى * فإن الهموم بقدر الهمم

أبو الطيب المتنبي

أفاضل الناس اغراضٌ لذا الزمن * يخلو من اله أخلاهم من الفطن

أبو الفتح البستي

صاحب السلطان لا بد له * من هموم تعثره وغمم

والذي يركب بحرا سيرا * قحم الأهوال من بعد قحم^(١)

كلام المملوك

(اردشير) اذا رغبت المملوك عن العمل رغبت الرعية عن الطاعة (افريدون)
 الأيام صحائف آجالكم ، نخلدوها أحسن أعمالكم . وقيل للاسكندر : ما بال
 تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك ؟ قال لأن أبي سبب حياتي الفانية
 ومؤدبي سبب حياتي الباقية . ودخل محمد بن زياد مؤدب الوراق على الوراق
 فأظهر إكرامه ، وأكبر اعظامه ، فقيل له من هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال هذا
 أول من فتح لسانى بذكر الله وأدانانى من رحمة الله . وأشير على الاسكندر
 بتبئيت الفرس ^(١) فقال : لا أجعل غلبتى سرقة . وقيل له لو تزوجت بنت دارا ؟
 فقال لا تغلبنى امرأة غلبت أباه (أنوشروان) الملك إذا أكثر ماله مما يأخذ من
 رعيته كان كمن يعمر سطح بيته بما يقتلعه من قواعد بنيانه (ابرويز) أطع من
 دونك (السفاح) إن من أدنى الناس ووضعا بهم من عد البخل حزما ، والعفو
 ذلا . وكان يقول : إذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة ، والصبر حسن إلا
 على ما أوقع بالدين ، وأوهى السلطان ، والأناة محدودة إلا عند امكان الفرصة .
 وقد قال ابن المعتز

كم فرصة ذهبت فمادت غصة * نشجى بطول تلهف وتندم

الرائى والعزيمة

ولما عزم المنصور على الفتك بأبي مسلم فرع من ذلك عيسى بن موسى فكتب اليه
 إذا كنت ذا رأى فكن ذا تدبير * فان فساد الرأى أن تتعجلا
 فأجاباه المنصور

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأى أن تترددا

(١) التبئيت : الهجوم بفته بالليل

ولا تحمل الاعداء يوما بغدوة * وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا
وهذا في موضعه كقول الامام على كرم الله وجهه (من فكر في العواقب
لم يشجع)

هبة سعد بن ناشب

وقال سعد بن ناشب فأفرط
عليكم بدارى فاهدموها فانها * تراث كريم لا يخاف العواقبا
اذاهم ألقى بين عينيه عزمه * وتكب عن ذكر العواقب جانبا
ولم يستشر في رأيه غير نفسه * ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا
سأغسل غنى العار بالسيف جالبا * على قضاء الله ما كان جالبا
ويصغر في عيني تلادى اذا انتنت * يمينى بادراك الذى كنت طالبا
وكان سعد من مركبة العرب وشياطين الإنس وفيه يقول الشاعر
وكيف يفيق الدهر سعد بن ناشب * وشيطانه عند الأهلة يصرع

كلام المملوك

(كتب مروان) بن محمد الجعدي الى عبد الله بن علي يسأله حفظ حرمه
فقال له : الحق لنا في دمك ، وعلينا في حرمك (وقال الرشيد) لاسماعيل بن
صبيح : أيك والذلة فانها تفسد الحرمة ، ومنها أوتى البرامكة (وقال المأمون)
المملوك تحتل كل شيء الا ثلاثا : إفشاء السر ، والقدح في الملك ، والتعرض للحرم
(المنتصر) اذا أضر الهوى بطل الرأي (المنتصر) لذة العفو أطيب من لذة
التشفي . وذلك أن لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ، ولذة التشفي يلحقها ذم الندم .
والمنتصر يقول عن تجربة لا نه قتل أباه المتوكل . والامر في ذلك أشهر من أن يذكر
ولكني ألع منه باليسير

مقتل المتوكل

كان المتوكل قد عقد لولده المنتصر والمعتز والمؤيد ولاية العهد ، ثم تغير على المنتصر دون أخويه ، وكان يسميه المنتظر ، ويقول له أنت تتمنى موتى ، وتنتظر وقى ! ويأمر الندماء أن يعبثوا به الى أن أوغر صدره ، وأقل صبره ، فلما كانت ليلة الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين كان المتوكل يشرب مع الفتح في قصره المعروف بالجعفرى ومعه جماعة من الندماء والمغنين ، وكان المنتصر معهم ، فلما انصرف ثلاث ساعات من الليل قال لزرافة التركى : ألا تسقى ساعة حتى أشكو اليك ما يربى ؟ قال بلى وجعل يماطله ويطاوله ، وغلق بقا الشرابى الابواب كلها الا باب الماء ومنه دخل الذين قتلوه ، فأول من ضربه باغر التركى ضربة قطع بها حبل عاتقه ، وتلقاه الفتح بنفسه فأكب عليه ، فقتلا جميعا ، وبويع المنتصر من ساعته ، وكانت مدة المنتصر فى الخلافة مدة شيرويه ابن كسرى حين قتل أباه ستة أشهر وقال ابراهيم بن أحمد الاسدى يرى المتوكل

هكذا فلتكن منايا الكرام * بين ناي ومزهر ومدام
بين كأسين أروتاه جميعاً * كأس لذاته وكأس الحمام
يقظ في السرور حتى أتاه * قدر الله حتفه فى المنام
والمنايا مراتب يتفاضلن * وبالرهفات موت الكرام
لم يزُر نفسه رسولُ المنايا * بصنوف الأوجاع والاسقام
هابه معلناً فذب اليه * فى ستور الدجى بجدا الحسام

أخذ هذا المعنى عبد الكريم بن ابراهيم التيمى فقال يرى عيسى بن خلف صاحب خراج المغرب وكان قد تناول دواء فمات بسببه

منيا سدّت الطرق عنها ولم تدع * لها من ننايا شاهق متطلعا
فلما رأت سور المهابة دونها * عليك ولما لم تجد فيك مطمعا

ترقت بأسباب إطفاء ولم تكذب * تواجه موفور الجلالة أروعا
فجاءتك في سر الدواء خفية * على حين لم تحذر لداء توقعا
فلم أر مالا يتقى مثل سهمها * ولا مثلها لم نخش كيدا فترجعا

وفاء البحتری

وقد رثاه البحتری ويزيد المهلبی برئيتين من أجود ما قيل في معناها وكانا
حاضرين ليلة قتله فاختمتا أحدهما في طي الباب ، والآخر في قناة الشاذروان ،
فن قصيدة البحتری

تغير حسن الجعفرى وأنسه * وقوض بادی الجعفرى وحاضره
نحمل عنه ساكنوه فجاءه * فأضت سواء دوره ومقابره (١)
ولم أر مثل القصر إذ ربع سر به * ولما دُعرت أطلاؤه وجاذره (٢)
وإذ صيح فيه بالرحيل فهتكت * على عجل أستاره وستاره
إذا نحن زرناه أجد لنا الأسى * وقد كان قبل اليوم يهيج زائره
فأين عميد الناس في كل نوبة * تنوب ونأهى الدهر فيهم وأمره
تخفى له مغتاله نحت غرة * وأولى لمن يفتاله لو يجاهره
صریح تقاضا السيوف حشاشة * يجود بها والموت حمره أظافره
حرام على الراح بعدك أو أرى * دما بدم يجرى على الأرض مائره
وهل يرتجى أن يطلب الدم طالب * مدى الدهر والموتور بالدم واتره (٣)
فلا ملئ الباقي تراث الذى مضى * ولا حملت ذاك الدعاء منابره

وهي طويلة وكان أبو العباس نعلب يقول فيها : ما قيلت هاشمية أحسن منها ،
وقد صرح فيها تصریح من أذهلته المصائب ، عن نخوف العواقب ، وقد كان

(١) أضت : صارت (٢) الاطلاء : جمع طلا وهو ولد الطيبة ، والجاذر جمع
جوذر وهو ولد البقرة (٣) الموتور هو الوتر لأن الذى قتل المتوكل هو ابنه

البحثري يرتاح في كثير من شعره الى ذكره وذكر الفتح بن خاقان، فمن ذلك قوله لبعض من يمدحه

تداركني الإحسان منك ونالني * على فاقة ذاك الندى والتطوّل
ودافعت عني حين لا الفتح يُرتجى * لدفع الأذى عني ولا المتوكل
وقال

مضى جعفرٌ والفتح بين مؤسّد * وبين قتيل في الدماء مضرّج
أطلب أنصاراً على الدهر بعدما * نوى منها في التربّ أوسى وخزرجي^(١)
وقال في غلام له

عسى آيس من رجعة الوصل يوصل * ودهرٌ تولى بالأحبة يُقبل
أيا سكنناً فات الفراق بنفسه * وحال التعمادي دونه والتزيل
أتعجب لما لم يفعل جسمي الضنا * ولم يخترم نفسي الحمام المعجل
فقبلك بان الفتح مني مودعاً * وفارقتي شقماً له المتوكل
فما بلغ الدمع الذي كنت أرنجى * ولا فعل الوجد الذي خلت يفعل
وما كل نيران الجوى تحرق الحشا * وما كل أدواء الصبابة تقتل
وقال أبو خالد بن محمد المهلبى في قصيدة أولها

لا وجد إلا أراه دون ما أجد * ولا كن فقدت عيناى مفتقد
يقول فيها

لا يبعدن هالك كانت منيته * كما هوى من عضاه الزبية الأسد^(٢)
جاءت منيته والعين هادية * هلاً أتنه المنايا والقنا قصد^(٣)
نحراً فوق سرير الملك منجدلاً * لم يحمه ملكه لما انقضى الأمد
لا يرفع الناس صباحاً بعد لييلهم * إذ لا يهز إلى الجاني عليك يد

(١) مات أوسه وخزرجه : مثل في فقد النصير لأن الاوس والخزرج يضرب بهما
المثل في النصرة (٢) العضاه جمع عاضة وهى الحية تقتل لساعتها ، والزبية
المكان المرتفع (٣) قصد : جمع قصد على وزن كتف أى متكسر

علتك أسياف، من لادونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد
اذا بكيت فان الدمع منه مل * وان ريت فان الشعر مطرد
لانا فقد ناك حتى لا اضطبار لنا * ومات قبلك أقوام فما فقدوا
قد كنت أسرف في مالى فتخلفه * فعلمنى الليالى كيف أقتصد
وقال فيها يذكر الانراك ويحضر على اصطناع العرب

لما اعتقدتم أناسا لا يحفاظ لهم * ضعم وضيعتم من كان يعتقد
ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم * حمتكم الذادة المنسوبة الحشد
قوم هم الأصل والاسماء تجمعكم * والدين والمجد والأرحام والبلد
ان العبيد اذا أذللتهم صلحوا * على الهوان وان اكرمتهم فسدوا

أبو حية النميرى

وقال أبو حية النميرى

رمته فتاة من ربيعة عامر * نوؤم الضحى فى مانم أى مانم
فقلن لها فى السر نفديك لا يرح * صحيحاً والّا تقتليه فالعوى
فألقت قناعاً دونه الشمس وانقت * بأحسن موصولين كف وممصم
وقالت فلما أفرغت فى فؤادى * وعينيه منها السحر قالت له نـم
فأصبح لا يدري أنى طلعة الضحى * تروح أم داج من الليل مظلم
أخذ قوله فألقت قناعاً دونه الشمس من قول النابغة الذبياني

قامت تراءى بين سحج كلة * كالشمس يوم طلوعها بالأسعد^(١)

سقط النصف ولم ترد إسقاطه * فتناولته واتقتنا باليسر

وقال أبو حية يرثى سلامة بن عياش

كأن أبا حفص قى البأس لم يُجب * به الليل والبيض القلاص النجائب
الى الغاية القصوى ولم يهد فتية * كراما وتخطوه الخطوب النوائب

وَيُعْمَلُ عَنَّاكَ الْعَيْسَ حَتَّى كَانَهَا * إِذَا وُضِعَتْ عَنْهَا الْعَلَايَا الْمَشَاجِبُ
بَعِيدَ مَثَانِي الْهَمِّ يَمْسِي وَمَالُهُ * سَوَى اللَّهِ وَالْعُزْبِ الشَّرِيفِيِّ صَاحِبِ
يُرُومِ جَسِيَّاتِ الْعُلَى فَيُنَالُهَا * قَتَى فِي جَسِيَّاتِ الْمَكَارِمِ رَاغِبُ
فَإِنْ يُمَسِّ وَحْشًا بَابَهُ فَلَرَبَّمَا * تَوَاتَرُ أَفْوَاجَا إِلَيْهِ الْمَوَاسِكِبُ
يَحْتَوُونَ بِسَامَا كَأَنْ جَبِينَهُ * هَلَالُ بَدَا وَانْجَابَ عَنْهُ السَّحَابُ
وَمَا غَائِبٌ مِنْ غَابٍ يَرْجَى إِيَابَهُ * وَلَكِنَّهُ مِنْ ضَمْنِ اللَّحْدِ غَائِبُ
وَزَعَمَ الصُّوْلَى أَنَّ أَبَا حِيَةَ لَمَّا قَالَهَا فِي مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

ابن العباس

وكان أبو حية جيّد الطبع ، مألوف الكلام ، رقيق حواشي الشعر . وسئل
الأصمعي عن قيس بن الملوّح المجنون ، فقال لم يكن مجنوناً ، وإنما كانت به لُؤثة
كلؤثة أبي حية ^(١) وهو القائل

رَمَتْنِي وَسَيَّرَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا * عَشِيَّةُ أَحْجَارِ الْكَنَاسِ رَمِيمُ
رَمِيمُ الَّتِي قَالَتْ لِحَارَاتِ بَيْنَهَا * ضَمَنْتُ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهِيمُ
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتَهَا * وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنُّضَالِ قَدِيمُ
فِيَا عَجَبًا مَنْ قَاتَلَ لِي أَوْدَهُ * أَشَاطِدُمِي شَخْصٌ عَلَى كَرِيمٍ ^(٢)
بَرَى النَّاسَ أَنِّي قَدْ سَلَوْتُ وَإِنِّي * لَمَدَنْفُ أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ سَقِيمُ

جَنَازَةُ الْمَشِيبِ

وَأَنشَدَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوَصِّلِيُّ فِي مِثْلِهِ وَلَمْ يَسْمَعْ قَائِلُهُ
هَلِ الْأُدْمُ كَالْأَرَامِ وَالْدَّهْرُ كَالْدُّمِيِّ * مَعَاوِدُنِي أَيَّامُهُنَّ الصَّوَالِحُ
زَمَانٌ سَلَا حِيَّ بَيْنَهُنَّ شَيْبَتِي * لَهَا سَائِقُ مِنْ حَسَنِينَ وَرَامِحُ
فَأَقْسَمَنْ لَا يَسْقِينَنِي قَطْرُ مَزْنَةٍ * لَشَيْبَتِي وَلَوْ سَالَتْ بَيْنَ الْإِبَاطِحِ ^(٣)

(١) اللؤثة بالضم مس الجنون (٢) أشاط: أحرق (٣) أنظر بكاء الشباب
في كتاب «مدامع العشاق» —

وقال هارون بن علي بن يحيى المنجم

الغانيات عهود هن * الى انصرام وانقضاب
من شاب شبن له المودة * بالخديعة والكذاب^(١)
فانعم بين وزند من — ك في الشيبة غير خابي^(٢)
مادمت في ورق الصبا * وغصونه الخضر الرطاب
فانخر بأيام الصبا * واخلع عذارك في التصابي
واعط الشباب نصيبه * مادمت تعذر بالشباب

وقال أشجع بن عمرو السلمي

ومالي لا أعطي الشباب نصيبه * وغصناه به تزان في عوده الرطب
رأيت الليالي ينتهين شبيتي * فأسرعت بالذات في ذلك التهب
فان بنات الدهر يخلصن لذني * فقد جزن سلمى وانتهين الى حربي
وقد حوت حالي الليالي وأسرجت * على الرأس أمثال الفئيل من العطب
وموت الفتى خير له من حياته * اذا كان ذا حالين يصبو ولا يصبي

وقال آخر

ما العيش الا أن تحب * وان يحبك من تحبه

وصف الشباب

(فقر تتصل بهذه الابيات في وصف الشباب)

أطاع الشباب وغرته ، وأجاب الصبا وشرته ، جر لإزار الصبا ، وأزال
ذبول الهوى^(٣) ، وركض في ميدان التصابي ، وجنى ثمرات الملاهي ، هو
في اقتبال شبابه ، وحدانة أترابه ، وريبان عمره ، وعنفوان أمره ، هو في لبان

(١) شبن : مزجن (٢) غير خاب : غير منطفيء ، ويقال : خبا لهبه اذا سكن

فور غضبه (٣) أزال : أهان

شبابه واعتداله ، وريعان أقباله واقتباله ، بعثه على ذلك أشرف الصبا ، ولين
الفصن ، وشرح الشيبه ، وسكر الحداثة ، قى السن ، رطيب الفصن ، عمره
في إقباله ، ونشاطه في استقباله ، وشبابه في اقتباله ، وماؤه بحاله ، فلان في حكم
الاطفال ، الذين لم يمضوا على نواجذ الرجال ، هو في عنفوان شيبه تخاف سقطاتها
وهفواتها ، ولا يؤمن بجيحاتها ونزواتها ، هو في سكرى الشباب والشراب ، وبين
نزوات الشبان ، ونزغات الشيطان ، شبابه أعمى عن الرشد ، أصم عن العذل ،
قد لبي داعي هواه ، وانغمس في لجة صباه ، قد هجم بسكر الحداثة على سكرات
الحوادث ، يجرى الى الصبا جرى الصبا — فلان غفل من سمة التجربة ، جامع
في عذار الغفلة ، صعب الرأس على لجام العظة ، هو من سلطان الصبا في النبوة
الاولى ، قد خلع عذاره ومقوده ، وألقى الى البطالة باعه ويده ، هو بين خمار الغداة
وسكر العشى ^(١) لا يعرف الصحو ، ولا يفارق اللهو ، فلان لا يفيق ، ولا يذكر
التوفيق ، هو بين غرر الشباب ، وغرر الاحباب

نجابة الشباب

(ويتعلق بهذه الالفاظ ألفاظ لهم في نجابة الشباب وترشحهم للعالي) قد
جمع نضارة الشباب الى أبهة المشيب ، وهو على حدوث ميلاده ، وقرب إسناده
شيخ قدرٍ وهيبه ، وان لم يكن شيخ سن وشيبه ، هو بين شباب مقتبل ، وعقل
مكتمل ، قد لبس برد شبابيه على عقل كهل ، ورأى جزل ، ومنطق فصل ،
للدهر فيه مقاصد ، وللأيام فيه مواعد ، أرى له في فصل ضمان الأيام ، وودائع
الحظوظ والأقسام ، تباشير نجاح ، ومخايل نصر وفتح ، قد استكمل قوة الفضل
ولم يتكامل له من الكهل ، ما زالت مخايله وليدا وناشئا ، وشمائله صغيراً ويافعا ،
نواطق بالحسن عنه ، وضوا من النجاح فيه ، قد سما الى مراتب أعيان الرجال ،
التي لا تدرك مع الكمال والا كنهال ، حمدت عزائمه ، قبل أن تحلت تمامه ،

(١) الخمار بالضم ما يمتري الشارب من الالم عند فقد الشرب

وشهدت مكرماته ، قبل أن تدرج لذاته . وقال البحرى
لا تنظرنَّ الى العباس من صغر * فى السن وانظر الى المجد الذى شادا
ان النجوم نجوم الأفق أصغرها * فى العين أذهبها فى الجوى إصمادا
وقال آخر

رأيت العقل لم يكن انتهاياً * ولم يقسم على قدر السنين
قلو أن النسن تقسسته * حوى الآباء أنصبه البنينا
وقال الفضل بن جعفر الكاتب
فان خلقت السن فالعقل بالغ * به رتبة الكمل المؤهل للمجد
فقد كان يحى أوتى الحكم قبله * صديا وعيسى كأم الناس فى المهد

ابن منذر

وكان أبو حية كثير الرواية عن الفرزدق ، وعمر ، حتى التقى بابن منذر
فاستنشده شعره ، فأنشده أبو حية

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا * لبسن البلى مما لبسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرء يومٌ وليلة * تقاضاه شئٌ لا يملُ التقاضيا
حننتك الليالى بعدما كنت مرة * سوى المصا لو كنَّ يبقين باقيا
فقال ابن منذر : أو شعرٌ هذا ؟ فقال أبو حية ما فى شعرى عيب غير أنك
تسمعه ^(١) وفى هذه القصيدة يقول أبو حية

ولما أبت الا التواء بودها * وتكديرها الشرب الذى كان صافيا
شربت برئقي من هواها مكدر * وكيف يعاف الرئق من كان صاديا

أعباء الكهولة

وقد قال عمر بن قنثة فى معنى قول أبى حية :

كانت قناتى لائلين لغامر * فالأنها الإصباح والامساء

(١) تجدى (بكاء الملاح) من كتاب « مدامع العشاق » فصلا ممتعا عن ابن منذر

ودعوت ربي في السلامة جاهدًا * ليصِحَّني فإذا السلامة داء

وقال النمر بن تواب :

يود الفتى طول السلامة والبقاء * فكيف يرى طول السلامة يفعلُ

يعود الفتى من بعدُ حسنٍ وصحةٍ * ينوء إذا رام القيام ويحملُ^(١)

وقد روى في الحديث الشريف : كفى بالسلامة داء . وقد أحسن حميد بن

نور في قوله :

أرى بصرى قد رابى بعد صحةٍ * وحسبك داءً أن تصح وتسلما

ولن يلبث العصران يوم وليلةً * إذا طلبا أن يدركا ماتيمًا^(٢)

أحمد بن ثور

وهذان البيتان من قصيدة طويلة وهي أجود شعر حميد ومن أجود ما فيها

وما هاج هذا الشوق إلا حمامةً * دعت ساق حُرٍّ نرحةً وترنما

تروح عليه والهأً ثم تفتدى * مؤأةً تبغى له الدهرَ مطعما

تؤمل فيه مؤناً لانفرادها * وتبكي عليه إن زقا وترنما

كأن على أشراقه نور خمرٍ * إذا هو مدّ الجيد منه ليطعما

فلما اكتسى الريش السحام ولم تجد * لها معه في ساحة الحى بجما^(٣)

تنحّت قريباً فوق غصن تذاًبت * به الريح صرّفاً أى وجه تيمماً^(٤)

فأهوى لها صقر مُسِفٌّ فلم يدع * لها ولداً إلا رِماماً وأعظما

فأوفت على غصن ضحياً ولم تدع * لنائحة في نوحها مُتَلَوِّما

عجبت لها أنى يكون غناؤها * فصيحاً ولم تغفر بمنطقها فماً^(٥)

فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها * ولا عربياً شاقه صوت أعجما

(١) ينوء : ينهض بتناقل وإعياء (٢) ييم : قصد (٣) السحام : الاسود

والجثم مكان الرقاد (٤) تذاًبت : أتت من كل جانب كما يفعل الذئب (٥) تغفر : تفتح

ومن خبيث الهجاء قوله في هذه القصيدة يخاطب رجلين بعثهما :
 وقولا اذا جاوزتما أرض عامر * وجاوزتما الحيين نهذاً وخشما
 تُرِيعان من جرم بن ريان انهم * أبوان بريقوا في الهزاهز محجماً^(١)
 وما هُجيت جرم بأشد من هذا ، يريد أنهم لذتهم لم يترروا أحداً فيطالبهم
 بدخل .

جناية الليالى

وقال الأصمعي قيل لبعض الصالحين : كيف حالك ؟ قال كيف حال من
 يقضى بقاءه ، ويسقم بسلامته ، ويؤتى من مأمته ، وقال محمود الوراق :
 يحب الفتى طول البقاء كأنه * على ثقة أن البقاء بقاء
 اذا ما طوى يوماً طوى اليوم بعضه * ويطويه إن جنّ المساء مساء
 زيادته في الجسم نقص حياته * وأنى على نقص الحياة نساء^(٢)
 جديدان لا يبقى الجميع عليهما * ولا لهما بعد الجميع بقاء
 وقال المتنبي :

زيادة شيب وهي نقص زيادتي * وقوة عشق وهي من قوتي ضعف
 وبیت محمود الأخير كقول البحتري :

أناة أيها الفلك المدار * أنهب ما تصرف أم جبار^(٣)
 سنفتي مثل ما تفتي وتبلى * كما تبلى فيدرك منك نار
 تناب الدائبات إذا تناهت * ويدمر في تصرفه الدمار
 وما أهل المنازل غير ركب * مطايهم رواح وابتكار
 ويقول فيها :

لنا في الدهر آمال طوال * نرجيها وأعمار قصار

(١) الهزاهز الحروب ، والمحجّم وعاء الحجامة والفصد (٢) النماء : الزيادة
 (٣) جبار : مهدر لا قود فيه

أما وأبي بنى حارب بن كعب * لقد طرد الزمان بهم فساروا
أصاب الدهر دولة آل وهب * ونال الليل منهم والتهار
أغارهم رداء العز حتى * تقاضاهم فردوا ما استعاروا
وقد كانوا وأوجههم بدور * لمبصرها وأيديهم بحار
أخذ قوله ستغنى مثل ما تغنى أبو القاسم بن هانيء فقال :

تغنى النجوم الزهر طالعة * والنيران الشمس والقمر
وإن تبدت في مطالعها * منظومة فلسوف تنثر
وإن سعى الفلك المدار بها * فلسوف يسلمها وينفطر

وقد استقصى على بن العباس الرومي المعنى الأول فقال
والدهر يبلى الفتى من حيث ينشئه * حتى تكبر عليه ليلة القرب
يغذوه في كل آن وهو يأكله * ويحتسى نعباً منه على تعب
يودى بحال فحال من شببته * تسرب الماء في مستأنف الكشب
حسب امرئ من جنى دهر طاوله * وإن أجم فلم ينكب ولم ينب
في هذنة الدهر كاف من وقائمه * والعمر أقبح مبراة من الوصب
وقال أيضاً

يابنى الحصن أرساه وشيده * حرز الشلو من الأعداء مشجون^(١)
انظر الى الدهر هل فاتته بغيته * في مطمح النسر أوفى مسبح النون^(٢)
ومن تحصن منخوباً على وجل * فأنما حصنه سجن مسجون
أشكو الى الله جهلاً قد أضربنا * بل ليس جهلاً ولكن علم مفتون
وقال الطائي

وإن بُنَّ حيطاناً عليه فأنما * أولئك عتالاً ته لا معاقله

ودخل يحيى بن خالد على الرشيد وقد ابتدأت حاله في التغير ، فأخبر أنه مشغول ، فرجع فبعث إليه الرشيد : خنتني فاتهمتنى ، فقال : إذا انقضت المدة

(١) شلو : جزء . ومشجون مشعوب ومكسور (٢) النون : التماسح

كان الختف في الحيلة ، والله ما انصرف الا تخفيفا . أخذه ابن الرومي فقال وقد
فصده بعض الأطباء فزعم أن الفصد زاد في علته

غلط الطيب على غلطة موردٍ * عجزت محالته عن الإصدار^(١)
والناس يلحون الطيب وإنما * غلط الطيب إصابة المقدار

وصف الشجر

وقال أبو حية النيرى

سقتى بكأس الحب صرفاً مروّقا * رقاق الثنايا عذبة المترق^(٢)
وخصانة تفر عن منشق * كنور الأقالح طيب المتدوق^(٣)
إذا امتضغت بعد امتناع من الضحى * أنابيب من عود الأراك المخلق^(٤)
سقت شعب المسواك ماء غمامة * فضيضاً بخرطوم الرحيق المروق^(٥)

وأنشد الثورى

ترى الدر منشوراً إذا ما تكلمت * وكالدر منظوماً إذا لم تكلم
تعبّد أحرار القلوب بدائها * وتملأ عين الناظر المتوسم
والبيت الأول من هذين كقول البحتري :

فمن أولو تجلوه عند ابتسامها * ومن أولو عند الحديث تساقطه

وقد تقدم . قال أبو الفرج الرياشى سمعت الأصمى يقول أحسن ما قيل

في وصف الشجر قول ذى الرمة :

وتجلو بفرع من أراك كأنه * من العنبر الهنديّ والمسلك يصبح

(١) المحالة : الحيلة ، ومنه (المرء يعجز لا المحالة) ويخطئ من يقول : المرء

يعجز لا محالة (٢) المترق : العين ، وتقول : رنق النوم في عينيه خالطهما

(٣) خصانة : ضامر البطن — والمتنشق : الشجر ، لأنك تنشق منه نسكته

المطرة ، والمتدوق هو الريق لأنك تلذ تدوقه (٤) المخلق : المدهون بالخلوق وهو

ضرب من الطيب (٥) الفضيض : ما تناثر من الماء

ذُرِّي أَقْحَوَانٍ وَاجْهَ اللَّيْلِ وَارْتَقِ * إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةِ الْمَتْرُوحِ
هَجَانِ الثَّنَايَا مُعَرِّبٌ لَوْ تَبَسَّمْتَ * لِأَخْرَسٍ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يَفْصَحُ
وَمِنْ قَدِيمِ هَذَا الْمَعْنَى وَجِيدُهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذَّبْيَانِي فِي صِفَةِ الْمَتْجَرَّةِ امْرَأَةٍ
النَّعْمَانِ ابْنِ الْمَنْذَرِ

تَجْلُو بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيْكَةً * بَرْدًا أُسْفِ اثْنَانُهُ بِالْإِثْمِدِ
كَأَلَا قَحْوَانَ غَدَاةً غَبَّ سَمَائِهِ * جَفَتْ أَعَالِيهِ وَأُسْفَلُهُ نَدَى
زَعَمَ الْهَمَامُ بَأَنَ فَاهَا بَارِدٌ * عَذْبٌ مُقْبَلُهُ شَهْيٌ الْمُرْدِ
زَعَمَ الْهَمَامُ وَلَمْ أَذْقه أَنَّهُ * يَرُوي بِرِيَّارٍ قَهَا الْعَطِشَ الصَّدَى
وَمِنْ قَوْلِهِ وَلَمْ أَذْقه أَخَذَ كُلٌّ مِنْ أَتَى بِهَذَا الْمَعْنَى فَفَتَقَهُ النَّاسُ بَعْدَهُ (قَالَ
الْمَتَوَكِّلُ) اللَّيْثِي

كَأَنَّ مَدَامَةَ صُهَبَاءَ صَرْفًا * تَرْقُرُقُ بَيْنَ رَاوُوقٍ وَدَنَّ
تَعْلُ بِهَا الثَّنَايَا مِنْ سَلِيمِي * فِرَاسَةٌ مَقْلَتِي وَصَحِيحُ ظَنِّي
وَقَالَ بَشَارُ :

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ * إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ
قَدْ زَرَرْتَنَا مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً * نَتْنِي وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةً الدِّيكِ
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ حُسْلَى فِي مَنَازِلِنَا * حَسْبِي بِرَأْتِحَةِ الْفَرْدَوْسِ مِنْ فَيْكِ
وَقِيلَ لِبَشَارٍ يَا أَبَا مَعَاذٍ كَمْ بَيْنَ قَوْلِكَ ، وَأَنْشَدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، وَبَيْنَ أَنْ يَقُولَ
إِنَّمَا عَظُمَ سَلِيمِي خُلْتِي * قُصْبُ السُّكْرَى عَظُمَ الْجَمَلِ
وَإِذَا قُرِّبَ مِنْهَا بِصَلٍّ * غَلَبَ الْمَسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ
فَقَالَ إِنَّمَا الشَّاعِرُ الْمَطْبُوعُ كَالْبَحْرِ : مَرَّةً يَقْدَفُ صَدْفَهُ ، وَمَرَّةً يَقْدَفُ جِيْفَهُ .

وصف الجوارى السود

وقد تناول هذا المعنى أبو الحسن علي بن العباس الرومي من أقرب متناول فقال وكشفه بأوضح عبارة في صفته لجارية أبي الفضل عبد الملك بن صالح السوداء بعد أن استوفى جميع صفاتها وكان قد اقترح عليه وصفها

وصفت فيها الذي هو بيت على الوه * م ولم نخبر ولم نذق
إلا بأخبارك التي رُفِعَتْ * منك اليناعن ظبية البرق^(١)
حاشا لِسوداءٍ منظرٍ سكنت * ذراك الا عن مخبرٍ يرقى^(٢)

وهذه الأبيات من قصيدة له وصف فيها السواد ، واحتج بتفضيله على البياض ، حتى أغلق فيه الباب بده ، ومنع أن يقصد فيه أحد قصده ، الا كان مقصر السهم عن غرض الاحسان . وقد نبه على بن عبد الله بن العباس المسيب على فضائلها وأجاد التشبيه وكشف عن وجوه الابداع ، وضروب الاختراع ، وقد مدح الناس السواد والسود فأكثر ، فمن جيد ما قالوا فيه قول أبي حفص الشطرنجي :

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة في لونه قاعدة
لا شك إذ لوتكما واحد * أنكما من طينة واحد

فأخذ ابن الرومي هذا المعنى وأضاف اليه أشياء أخر توسعاً واقتداراً فقال :

بذكرك المسك والفوالى والسك * ذوات النسيم والعبق^(٣)

وهذه الأشياء وان كانت ناقصة عن المسك ، فهي ممدوحة بالطيب ، غير مستغنى عن ذكرها في التشبيه ، فأما زيادته على جميع من تعاطى مدح السواد فقله :

(١) البرق : جمع برقة بالضم وهي مكان تكثر فيه الظباء (٢) يرقى : ناصع البياض (٣) السك : نوع من الطيب

سوداء لم تنتسب الى برص الشفة * رولا كلفة ولا بهق^(١)

والأبيض الشديد البياض معيب، وقد دل عليه قوله :

وبعض ما فضل السواد به * والحق ذو سلم وذو نفق

الآب عيب السواد حلكته * وقد أعاب البياض بالبهق^(٢)

قوله (الحق ذو سلم وذو نفق) أراد أن الحق يتصرف في جهات ، وضرب الصعود والنزول لذلك مثلاً ، ثم قصد لوصف هذه السوداء بالكمال في الصفة ، ومن عيب السود أن أكفهم عابسة متشقة ، وأطرافهم ليست بناعمة لينة ، وكذلك لا يزال الفلج في شفاههم ، وهي الشقوق المدمومة الموجودة في أكثر السود في أوساط الشفاه ، وأيضاً فإن الاسود مهجؤ بنخب العرق ، ففني هذه الصفات المدمومة الموجودة في أكثر السود عنها فقال :

ليست من العبس إلا كف ولا الفؤ * ح الشفاه الخبائث العرق

ثم عاج بخاطره على وصف هذه السوداء بأضداد تلك الصفات المدمومة ، فقال :

في أين سمورة تخبرها الفراء * أولين جيد الدلق^(٣)

ومن بديع مدح السوداء قوله :

أكسبها الحب أنها صيفت * صيفة حب القلوب والحدق

فانصرفت نحوها الضمائر والابص * ار يعشقرن أيما عشق

فأخبر أن القلوب إنما أحبتها بالمجانسة التي بينها وبين حب القلوب من السواد ، وكذلك الحدق . ومن جيد تشبيهات أبي نواس وقد نبه نديماً للصبر فأخبر عن حاله وقال

فقام والليل مجلوه الصباح كما * جلا التبسم عن غر الشيات

(١) الكلفة : النمش يوجد في الوجه ، والبرص والبهق معروفان

(٢) الحاسكة : شدة السواد ، ومنه : ظلام حالك (٣) الدلق : دوية كالسمورة

ولعلى بن العباس عليه التقدم بقوله :

يفتر ذاك السواد عن يقق * من نغرها كاللآلى والنسق^(١)

كأنها والمزاح يضحكما * ليل تمررى دُجَاه عن فلق^(٢)

وفضل هذا الكلام على ذاك ان هذا قدم لمعناه فى التشبيه مقدمة أيده ،
ووطأت له الآذان ، وأصغت الافهام الى الاستحسان ، وهى قوله :

* يفتر ذاك السواد عن يقق *

وفى هذه السوداء يقول : وقد سأله أبو الفضل الهاشمى أن يستغرق صفات

محاسنها الظاهرة والباطنة فقال

لها حرٌ يستعير وقْدته * من قلب صبٍّ وصدر ذى حنق^(٣)

كأنما حرُّه لخابره * ما ألهبت فى حشاه من حرق

يزداد ضيقا على المراس كما * تزداد ضيقا أنشوطه الوهق^(٤)

ثم فكر فيما فكر فيه النابغة ، وقد أمره النعمان بوصف المتجردة فوصف
ما يجوز ذكره من ظاهر محاسنها ، ثم كره أن يذكر من فضائلها ما لا يسوغ بمثله
أن يذكر منها فرد الأخبار عن تلك الفضائل الى صاحبها وهو الملك فقال :

زعم الهام بأن فالها بارد * عذبٌ اذا قبلته قلت ازدد

فاحتذى على بن العباس هذا فقال بعد ما سأله أن يستغرق فى وصف فضائلها

الظاهرة والباطنة

خذها أبا الفضل كسوة لك من * خزر الاماديج لا من الخرق

وصفت فيها التى هويت على الوه * لم ولم تختبر ولم تذق

إلا بخبارك التى وقعت * منك النعناعن ظبية البرق

(١) نسق : منسق (٢) تمرى : تكشف (٣) الحر : بكسر الحاء هو الفرج

(٤) الوهق : الجبل يرى فى أنشوطه فتؤخذ به الدابة والانسان

حاشا لسوداء منظرٍ سكنت * ذراك الا عن مخبر يقق
وهذا المعنى أو ما اليه النابغة ايماء خفيا تذهب معرفته عن أكثر الناس ،
ولو أثر النابغة ترك الاختصار وهمم بكشف المعنى وايضاحه ما زاد على هذا
الكشف الذى كشفه ابن الرومى — وأصحاب المعاني ينشدون للفرزدق
وجفن سلاح قدرزئت فلم أنح * عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى بطنه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا أنساته لياليا^(١)
ومعناه عندهم انه رثى امرأة توفيت حاملا ، فقال على بن العباس وقد وصف هذه
المرأة السوداء

أخلق بها أن تقوم عن ذكر * كالسيف يفرى مضاعف الحلق
إن جفون السيوف أكثرها * أسود والحق غير مخلق
فهذه زيادة بينة ، وعبرة واضحة ، لم نحتاج الى تفاسير أصحاب المعاني ،
وقال مما لم ينشده المتنبي :

غصن من الأبنوس ركب فى * مؤتزرٍ مُعجبٍ ومنطقٍ
يهتز من ناهديه فى ثمر * ومن دواجى ذراه فى ورقٍ
وهذا معنى قد بلغ قائله من الاجادة ، فوق الارادة ، وامثل أبو الفضل
الهاشمى ما أشار به ابن الرومى فأولدها فأنجبت

وفى معنى قول الفرزدق قال الطائى وأحسن وذكر ولدين توأمين ما تالعبد الله
ابن طاهر .

ان تُرَزَّ فى طرفى نهار واحد * رُزَّ أين هاجا لوعةً وبلا بلا
فالثقل ليس مضاعفا لمطية * إلا إذا ما كان وهما بازلا^(٢)
لهفى على تلك المشاهد منهما * لو أمهلت حتى تكون شمائل
لغدا مسكوتهما حجى وصباها * حكما وتلك الأريحية نائل
إن الهلال اذا رأيت نماءه * أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

(١) الحفيظة : قوة الالباء (٢) الوهم : الجمل الضخم القوى ، والبازل المكتمل السن

التهنئة بتوأمين

(وعلى ذكر التوأمين ألفاظ لأهل العصر في التهنئة بتوأمين) نيسرت
منحطان في موطن ، وانتظمت موهبتان في قرْن ^(١) طلع في أفق الكمال نجما
سعد ، وشهابا عز ، وكوكبا مجد ، فتأهلت بهما ربوع المحاسن ، ووطئت لها
اكفاف المكارم ، واستشرفت اليهما صدور الأسرة والمنابر — بلغنى خبر
الموهبة المشفوعة بمثلها ، والنعمة المقرونة بعِدْها ^(٢) في الفارسين المقبلين ، رضيحي
العز والرفعة ، وقريني المجد والمنعة ، فشملتني من الاغتياب ما يوجبه ازدواج
البشرى ، واقتران غادية بأخرى ، والشئ يذكر بما قارب ناحية من انحائه ،
وجاذب حاشية من ردائه

شئ من الهجاء

وقال بعض أهل العصر يهجو رجلا وضمن قول النابغة

* كالأقحوان غداة غب سمائه *

وأزاحه عن بابه ، فجاء مليحا في الطبع ، مقبولا في السمع

ياسائلي عن جعفر عهدي به * رطب العجان وكفه كالجمد ^(٣)

كالأقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

ومن مستحسن ما روى في هذا التضمين قول الآخر وضمن بيتا لمهلهل بن ربيعة

وسائلة عن الحسن بن وهب * وعمّا فيه من كرم وخير

فقلت هو المذهب غير أني * أراه كثير إرخاء الستور

وأكثر ما يغنيه وتاد * حسنين حين يخلو بالشُرور

فلو لا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تُرْع بالذكور

وهذا البيت لمهلهل مما يمدونه من أول كذب العرب وكانت قبل ذلك

(١) القرن : الحبل المقتول من لحاء الشجر أو من الصوف (٢) العذل بالكسر

النظير (٣) العجان: الارداق

لا تكذب في أشعارها ، وكان بين الموضع الذي كانت فيه هذه الواقعة وهي بالجزيرة وبين حجر وهي قصبة باليمامة مسافة بعيدة ، فأخرجه هذا الشاعر بقوة منته ، ونفاذ فطنته ، الى معنى آخر مستظرف في بابه . وهذا المذهب أحسن مذاهب التضمنين . ومن ملبح ما في هذا الباب تضمينات الحمدوني في طيلسان أحمد بن حرب المهلبى وسيأتى ما اختاره من ذلك في غير هذا الموضع

وصف الأفواه

وقد جاء في صفة الثغور والأفواه والريق شعر كثير . قال جميل
تمنيت منها نظرةً وهي واقفٌ * تُريك نقيًا واضح الثغر أشنبا (١)
كأن عريضا من فضيض غمامةٍ * هزيم الذرى تمرى له الريح هيدبا (٢)
يصفق بالمسك الذكى رضابهُ * إذا النجم من بعد الهدوء تصوبا (٣)
وقال

وكان طارقها على عائل الكرى * والنجم وهناً قد بدا لتغور
يستاف ريح مُدامة معلولةٍ * برضاب مسكٍ في ذكى العنبر
وقال عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة الخزومي
يمج ذكى المسك منها مفلجٌ * نقي الثنايا ذو غروب مؤشر (٤)
يرف إذا تغتر عنه كأنه * حصي بردٍ أو أقحوان منور
وقال الهذلي :

وما صهباء صافيةً لصبٍ * كلون الصّرف منجابه قذاها
تُشجُّ بنطفةٍ من ماءٍ مُزنٍ * أحلته برضراضٍ عراها

(١) أشنب : من الشنب وهو رقة الثغر وصفاءه (٢) العريض القطعة من السحاب ، والفضيض ما تنثر من المطر والماء ، والهزيم الصوت ، والذرى الاعلى ، والهيدب ذيل السحاب (٣) تصوب : انحدرو (٤) مؤشر : من الاشر وهو تحزيز أطراف الثنايا ، والغروب جمع غرب وهو ماء الرضاب

بأطيب مشرعاً من طعم فيها * إذا ما طار عن سِنَّةٍ كراها
وقال آخر :

وشق عنها قِنَاعُ الخَزْ عن بَرْدٍ * كالذُّرِّ لا كَسَسٍ فِيهِ وَلَا نَعْلٍ^(١)
كَأَنَّهُ اقْحَوَانٌ بَاتَ يَضْرِبُهُ * طُلٌّ مِنَ الدَّجْنِ سَقَاطُ النَّدَى هَاطِلٌ
كَأَنَّ صِرْفًا كُمَيْتَ اللُّونِ صَافِيَةً * شُجَّتْ بِمَاءِ سَمَاءٍ شَتْنُهُ جَبِلٌ^(٢)
فُوها إذا ما قَضَتْ مِنْ نَوْمِهَا سِنَّةً * أَوْ اعْتَرَاهَا سَبَاتُ النُّومِ وَالْكُسَلِ
وقال آخر :

هَبْجَانُ اللُّونِ وَاضِحَةٌ الْحَيَا * قَطِيعُ الصَّوْتِ آنَسَةٌ كَسُولٌ^(٣)
تَبَسَّمُ عَنْ أَغْرٍ لَهُ غُرُوبٌ * فُرَاتُ الرِّيقِ لَيْسَ بِهِ فُلُولٌ^(٤)
كَأَنَّ صَبِيبَ غَادِيَةٍ لَصَبٍ * تَشِجُّ بِهِ شَامِيَةٌ شَمُولٌ
عَلَى فِيهَا إِذَا الْجُوزَاءُ عَالَتْ * مُحَلِّقَةٌ وَأُرْدَفُهَا رَعِيلٌ^(٥)
وقال ابن المعتز :

يَا نَدِيمِي اشْرَبَا وَاسْقِيَانَا * قَدْ بَدَا الصَّبْحُ لَنَا وَاسْتَبَانَا
وَاقْتَلَاهُمِي بِصِرْفِ عُقَارٍ * وَاتْرَكَ الدَّهْرُ فَمَا شَاءَ كَانَا
إِنْ الْمَكْرُوهَ لَذْعَةً شَرٍ * فَإِذَا دَامَ عَلَى الْمَرْءِ هَانَا
وَأَمْزَجَا كَأْسِي بَرِيقَةِ أَلْحَى * طَابَ لِلْعَطْشَانِ وَرِدَاً وَحَانَا
مَنْ فَمٌ قَدْ غَرَسَ الدَّرَّ فِيهِ * نَاصِحُ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَانَا^(٦)

وقال ابن الرومي

يَارُبَّ رِيقٍ بَاتَ بِدُرِّ الدُّجَى * يَمْجُهُ بَيْنَ ثَنَائِيَا كَا
يُرْوَى وَلَا يَنْهَاكَ عَنْ شَرْبِهِ * وَالْمَاءُ يَرُوكَ وَبَيْنَهَا كَا

(١) الكسس : قصر الاسنان ، والشغل زيادة سن أو دخول سن تحت سن

(٢) كميت اللون : فيها سواد وحمرة ، وشجت مزجت ، والشن التبريد

(٣) هبجان اللون : بيضاء ، وقطيع الصوت هي التي يتكسر كلامها رقتة (٤) فرات

عذب (٥) الرعيل : جماعة النجوم (٦) ناصح الريق : لم تتغير نكهته

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
 وإذا سألتك رشفَ ريقك قلت لي * أخشى عُقُوبَةَ مالِكِ الأُمَلَاكِ
 ماذا عليك جُمِلتَ قبلك في الثرى * من أن أكون خليفة المُسَوَاكِ
 أيجوز عندك أن يكون متيمٌ * صبٌّ بحبِّكَ دون عود أراكِ
 وهذا المعنى يجاوز الإحصاء ، ويفوت الاستقصاء ، وكأه مأخوذ من قول

مرئ القيس

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوَّبَ الْغَمَامَ * وريح الخزامى ونشر القطر (١)

يَعْلُ بِهِ بَرْدٌ أَنْيَابَهَا * إذا طرب الطائر المستحرج (٢)

فجمع ما فرقوه ، وأخذَه الجعفرى فقصر عنه

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصَوَّبَ الْغَمَامَ * وريح الخزامى وذوب العسل

يَعْلُ بِهِ بَرْدٌ أَنْيَابَهَا * إذا النجم وسط السماء اعتدل

فتنة الساقى

ويلحق بهذه المعاني من شعر أهل العصر قول أبي علي محمد بن الحسين
 ابن المظفر الحاتمي وذكر خمرًا

من كف ساقٍ أهيف حركته * فتنة تقنع بالملاحه واعتجر (٣)

ناولته كأسى وكثر جفونه * يوحى إلى أن ارتقبهم واصطبر

فتنى لها أقلام درر رخصة * تهوى إلى أفراد درر ذى أشر (٤)

فتحدثت من كأسه في ثغره * كالشمس تغرب في هلال من قر

وأهدى أبو الفتح كشاجم لبعض القيان مسواكا وكتب اليها :

قد بعثناه لكي نجلو به * واضحا كاللؤلؤ الرطب أغر

(١) القطر بالضم العود الذى يتبخر به (٢) المستحرج : الحران (٣) اعتجر : من

الاعتجار وهو لبسة خاصة بالنساء والغلمان (٤) رخصة : لينة

طاب منه العَرْفُ حَتَّى خِلْتُهُ * كَانْ مِنْ رَيْقِكَ يُسْقَى فِي السَّحَرِ^(١)
وَأَمَّا وَاللَّهِ لَوْ يَعْلَمُ مَا * حَظُّهُ مِنْكَ لِأَنْفِي وَشُكْرِ
لَيْتَنِي الْمُهْدَى فَيَرَوِي عَطَشِي * يَرُدُّ أَنْيَابَكَ فِي كُلِّ سَحَرٍ^(٢)

شعر ابن أبي ربيعة

وكان ذكر بحضرة ابن أبي عتيق شعر عمر بن أبي ربيعة والحرث بن خالد
الحزوميين ، فقال رجل من ولد خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة صاحبنا
الحرث أشعر ، فقال ابن أبي عتيق : دع قولك يا ابن أخي فلشعر ابن أبي ربيعة
لَوْطَةٌ بِالْقَلْبِ^(٣) وَعَلَقٌ^(٤) بِالنَّفْسِ ، ودرك للحاجة ، ليس لشعر الحرث ، وما عُصِيَ
الله بشعر قط أكثر مما عُصِيَ بشعر ابن أبي ربيعة ، نخذ عنى ما أصفُ لك ، أشعر
قريش من رِقِّ معناه ، وأطْف مدخله ، وسهل مخرجه ، وتعطفت حواشيه ،
وأنارت معانيه ، وأعرب عن صاحبه ، فقال الذى من ولد خالد بن العاصي صاحبنا
الذى يقول :

انى وما نَحْرُوا غَدَاةً مَنَى * عِنْدَ الْجَمَارِ تَوَدُّهَا الْعُقْلُ^(٤)
لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَنَازِلَهَا * سِفْلًا وَأَصْبَحَ سِفْلُهَا يَمَلُو
فِيكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا * فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاهُ وَالْمَحْلُ
لَعَرَفَتْ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلَتْ * مَنِ الضُّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

فقال ابن أبي عتيق : يا ابن أخي استر على صاحبك ، ولا تشاهد المحاضر
بمثل هذا ، أما تطير الحرث عليها حين قلب ربيعها فجعل عاليه سافله ، ما بقى الا
أن يسأل الله حجارة من سجيل وعذابا ألما ، ابن أبي ربيعة كان أحسن الناس
للربيع مخاطبةً وأجمل مصاحبةً إذ يقول :

(١) لا يطيب الريق في السحر الا عند اكتمال القوة (٢) يتمنى لو انه كان
المسواك (٣) لوطه بالقلب : علوق به (٤) العقل : جمع عقال

سائلا الربح بالبُلَى وقولا * هجت شوقا لى الغداة طويلا
أين أهل حُلُوك إذ أنت مسرو * رُبهم أهلٌ أراك جميلا
قال ساروا وأمعنوا واستقلوا * وبكرهى لو استطعت سبيلا
سئموننا وما سئمنا مقاماً * واستحبوا دماناً وسهولا

مزيد المدنى

وها هنا حكاية تأخذ بطرف الحديث ، دخل مزيد المدنى على مولى لبعض
أهل المدينة وهو جالس على سرير ممهد ، ورجل من ولد أبى بكر الصديق وآخر
من ولد عمر رضى الله عنهما جالسان بين يديه على الارض ، فلما رأى المولى
مزيدا نجهمه وقال : يا مزيد ما أكثر سؤالك ، وأشد الحافك ، جئت تسألنى
شيئاً قال لا والله ، ولكنى أردت أن أسألك عن معنى قول الحارث بن خالد
لانى وما نحرروا غداة منى * عند الجمار تؤدها العُقْلُ
لو بُدأت أعلى منازلها * سفلا وأصبح سفلا يعالو
فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذى قال ، فقال اعزُب
فى غير حفظ الله ! وضحك أهل المجلس

بكاء الديار

وأخذ الحارث قوله :

لعرفت مغناها بما احتملت * منى الضلوع لأهلها قبلُ
من قول امرئ القيس ، قال على بن الصباح ورأى أبى يحلم قال لى أبو يحلم
أُعرف لامرئ القيس أبياتا سينية قالها عند موته فى قروحه والحلة المسمومة غير
قصيدته التى أولها * ألما على الربع القديم بعسسا * فقلت لا أعرف غيرها فقال
أنشدنى جماعة من الرواة

لمن طَلَلْ دَرَسَتْ آيُهُ * وَغَيْرُهُ سَالَفُ الْاَحْرَسِ^(١)

(١) الاحرس : الدهر

تَنَكَّرَ العَيْنِ مِنْ حَادِثٍ * وَيَعْرِفُهُ شَغَفُ الْأَنْفَسِ

وقد أخذه طريق بن اسماعيل النقي فقال

تَسْتَخْبِرُ الدَّمَّ مِنَ الْفِقَارِ وَلَمْ تَكُنْ * لَتَرَدَّ أَخْبَارًا عَلَى مُسْتَخْبِرٍ

فَظَلَلْتُ تَحْكُمَ بَيْنَ قَلْبٍ عَارِفٍ * مَغْنَى أَحْبَبْتِهِ وَطَرَفٍ مُنْكَرٍ

وقال الحسن بن وهب إشارة إلى هذا المعنى

أَبْلَيْتَ جِسْمِي مِنْ بَعْدِ جِدَّتِهِ * فَمَا تَكَادُ الْعَيُونُ تُبْصِرُهُ

كَأَنَّهُ رَسْمٌ مِنْزَلٌ خَلَقَ * تَعْرِفُهُ الْعَيْنُ ثُمَّ تَسْكُرُهُ

وقال يحيى بن منصور الذهلي

أَمَّا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا ابْهَرَى لَهُ * تَذَكَّرُ طَيْفٍ مِنْ سَعَادٍ وَمَرْبَعٍ

أَخَادِعٍ عَنْ عِرْقَانِهِ الْعَيْنُ إِنَّهُ * مَتَى تَعْرِفِ الْإِطْلَالَ عَيْنِي تَدْمَعُ

وقال آخر :

هِيَ الدَّارُ الَّتِي تَعُدُّ * رَفِئِمٌ لَا تَعْرِفُ الدَّارَا

تَرَى مِنْهَا لِأَحْبَا * بِكَ أَعْلَامًا وَأَنَارَا

فَيَبْدُو الْقَلْبُ عِرْقَانًا * وَتَبْدُو الْعَيْنُ إِنْكَارَا

وقال أبو نواس ، وتعلق أول قوله بهذا المعنى ، وأنا أنشد الأبيات كلها

لملاحظتها ، إذ كان الغرض في هذا التصرف هو إرادة الالفادة

أَلَا أَرَى مِثْلِي أَمْتَرِي الْيَوْمَ فِي رَسْمٍ * تَقْصُ بِهِ عَيْنِي وَيَلْفِظُهُ وَهْمِي

أَنْتَ صُورَ الْأَشْيَاءِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ * فَظَنِي كَلَّا ظَنٍّ وَعَالِمِي كَلَّا عِلْمِ

فَطَبَّ بِمَجْدِثٍ مِنْ حَبِيبٍ مُسَاعِدٍ * وَسَاقِيَةِ بَيْنِ الْمَرَاهِقِ وَالْحِلْمِ (١)

ضَعِيفَةً كَرَّ الطَّرْفُ نَحْسَبُ أَنَّهَا * قَرِيبَةٌ عَهْدَ بِالْإِفَاقَةِ مِنْ سُقْمِ

يُفَرِّقُ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ * تَفُوقِي الصُّهْبَاءَ مِنْ حَلَبِ الْكَرَمِ

وَأِنِّي لَا آتِي الْوَصْلَ مِنْ حَيْثُ يُدْبَغِي * وَتَعْلَمُ قَوْسِي حِينَ أَنْزَعُ مِنْ أَرْمِي

(١) بين المراهق والحلم : يريد أن سنها قاربت سن الاحتلام وليست مع ذلك

طفلة ، فهي كما قال صاحب البدائع : « طفلة في المنظر ، وغادة في الخبر »

شعر أبي نواس

وروى أبو هفان قال كان أبو عبد الله محمد بن زياد الاعرابي يطعن على أبي نواس ويعيب شعره ، ويضعفه ، ويستلينه . فجمعه مع بعض رواة شعر أبي نواس فجلس والشيخ لا يعرفه ، فقال له صاحب أبي نواس : أتعرف أعزك الله أحسن من هذا وأنشده ضعيفة كثر الطرف الأبيات ، فقال لا والله فلمن هو قال الذي يقول :

رسم الكرى بين الجفون مخيل * عفى عليه بكأ عليك طويل
يا ناظراً ما أقلمت لحظاته * حتى تشحط بينهم قتييل

فطرب الشيخ وقال : ويحك ، لمن هذا ، فوالله ما سمعت أجود منه لتقديم ولا لمحدث ، فقال لا أخبرك أو تكتبه ، فكتبه ، وكتب الأول ، فقال الذي يقول :

ركب تساقوا على الأكوار بينهم * كأس الكرى فانتشى المسقي والساق
كأن رؤسهم والنوم واضعها * على المناكب لم تخلق بأعناق
ساروا فلم يقطعوا عقداً لراحلة * حتى أناخوا إليكم قبل أشواق
من كل جائلة الطرفين ناجية * مشتاقة حملت أوصال مشتاق

فقال لمن هذا وكتبه ، فقال : للذي ندمه ، وتعيب شعره ، أبي على الحكمي : قال اكنتم على ، فوالله لا أعود لذلك أبداً . أخذ قوله (كأن رؤسهم والنوم واضعها) أبو العباس بن المعتز فقال يصف شرباً

كان أباريق اللجين لديهم * طباء بأعلى الرقتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رؤسهم * من اللين لم يخلق لهن عظام

البيت الاول من هذين من قول علقمة بن عبدة :

كأن ابريقهم ظبي على شرف * مقدم بسبا الكتان ملثوم^(١)

(١) مقدم : مسدود ، والفدام هو السدادة ، والمثلثوم الذي وضع عليه اللثام وهو كالفدام

أراد بسبائب^(١) فحذف وقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله :
 أبريقنا سلب الغزالة جيدها * وحكى المديرُ بمقلنيه غزالاً
 يسقيك بالالحاظ كأس صباية * ويدبرها من كفه جريلاً^(٢)

طرفة أدبية

وأنشد الحارث بن خالد أبياته

* إني وما نحر واغداة مني *

لعبد الله بن عمر ، فلما بلغ الى قوله :

لعرفت مغناها بما احتملت * مني الضلوع لاهلها قبل

قال له ابن عمر : قل ان شاء الله ، قل اذا يفسد الشعر يا أبا عبد الرحمن ،

فقال لا خير في شيء تفسده ان شاء الله

تظرف الحارث بن خالد

وكان الحارث بن خالد أحد المجيدين في التشبيب ، ولم يكن يعتقد شيئاً من ذلك ، وإنما يقوله تظرفاً ونحماً ، وكان أكثر شعره في عائشة بنت طلحة ، فلما قتل عنها مصعب بن الزبير قيل له لو خطبتها ! قال إني لا كره أن يتوهم الناس على أني كنت معتقداً لما أقول فيها ، وهو القائل

يا أم عمر أن ما زالت ومبرحت * بنا الصباية حتى مسنا الشفق

القلب تاق اليكم كي يلاقكم * كما يتوق الى منجاة الفرق

توفيك شيئاً قليلاً وهي خائفة * كما يمسّ بظهر الحية الفرق

أخذ هذا الطائي فحسّنه فقال :

تأبى على التصريد إلا نائلاً * إلا يكن ماء قراحا يُمدّق

نزرّاً كما استكرهت عابر نفجة * من فارة المسك التي لم تُفتّق

(١) السبائب : جمع سبيبة وهي الحبيل (٢) الجريال : الخمر

عائشة بنت طلحة

وحجّت عائشة بنت طلحة ، فوجه إليها يستأذنها في الزيارة ، فقالت : نحن حرام ، فأخّر ذلك حتى نُحِلَّ ، فلما أحلت أدلجت ولم يعلم ، فكتب إليها ما ضربكم لو قلتم سداً * إن المنية عاجلٌ غدها
ولها علينا نعمة سلفت * لسنا على الأيام نجحدّها
لو تمت أسباب نعمتها * تمت بذلك عندنا يدُها
إلى وإياها كمفتّنين * بالنار تُحرّقه ويعبدُها

ابن أبي عتيق

وابن أبي عتيق هذا هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان من أفاضل زمانه علماً وعفافاً ، وكان أحلى الناس فكاهة ، وأظرفهم مزاحاً ، وله أخبار مستظرفة سيمر منها ما يُستحسن ان شاء الله . روى الزبير بن أبي بكر أنه دخل على عائشة يعنى بنت طلحة رضى الله عنهما وهى لما بها ، فقال كيف أنت جعلت فداك ؟ قالت فى الموت ، قال فلا إذاً ، انما ظننت فى الأمر فسحة ، فضحك ، وقالت : ما تدع مزحك بحال ! وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة القرشى

ليت شعرى هل أقوان لركب * بفلاة همّ لديها خُشوعُ
طال ما عرّستم فاستقلّوا * حان من نجم الثريا طلوعُ
إن همى قد نفي النوم عني * وحديث النفس منى يروعُ
قال لى فيها عتيق مقالاً * فجرت مما يقول الدموعُ
قال لى ودّع سليبي ودعها * فأجاب القلب لا أستطيعُ
لا تلمنى فى اشتياقى إليها * وابلك لى مما تجنّ الضلوعُ

الثريا بنت علي

قال أبو العباس محمد بن يزيد قوله (حان من نجم الثريا طلوع) كناية ،
وانما يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت
موصوفة بالجمال ، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فنقلها الى
مصر ، وفي ذلك يقول عمر وضرب لها المثل بالنجمين

أيها المنكح الثريا سهيلاً * عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت * وسهيل إذا استقل يمانى

فمات سهيل عنها ، أو طلقها ، فخرجت الى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة
دمشق تطلب في دين عليها ، فبينما هي عند أم البنين ابنة عبد العزيز اذ دخل
الوليد فقال : من هذه عندك ؟ قالت : الثريا جاءتك تطلب في دين ارتكبها ، فأقبل
الوليد عليها فقال : أتروين من شعر عمر بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت نعم ، أما انه
رحمه الله كان عفيفاً عفيف الشعر ، أروى له قوله :

ما على الرسم بالبليبين لويين * رجع السلام أولو أجابا

فالى قصر ذى العشيرة بالطاء * فأمسى من الأنيس يبابا

ربما قد نوى به حتى صدق * ظاهري العيش نعمة وشبابا

وحسانا جواريا خفرات * حافظات عند الهوى الأحسابا

لا يكثرن بالحديث ولا ينعة * ن ينعنن بالبهام الظرابا^(١)

فلما خلا الوليد بأم البنين قال : لله در الثريا! أتدريين ما أرادت بانشادها
ما أنشدت من شعر عمر ؟ قالت لا ، قال فأتى لما عرضت لها بعمر عرضت لى بأن
أمى أعرابية ، وأم الوليد ولادة ابنة العباس بن جزء بن الحارث بن زهير العبسى
وهى أم سليمان ، ولا تعلم امرأة ولدت خليفتين فى الاسلام غيرها ، وغير الخيزران
وهى سبية من خرشنة ولدت موسى الهادى وهارون الرشيد ابنى محمد المهدي ،

وشاهسفرم بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز ، فانها ولدت
للوليد بن عبد الملك يزيد بن الوليد الناقص و ابراهيم بن الوليد الخـلـوع جلس
في الخلافة بعد أخيه يزيد مدة يسيرة ثم جاء مروان بن محمد بن مروان آخر ملوك
بنى أمية فخلعه وولى بعده

عزة كثير

وشبيه بقول النريا في باب التعريض أنه دخلت عزة على عبد الملك بن مروان
فقال لها : أنت عزة كثير ؟ قالت أنا أم بكر الضمرية ، قال لها يا عزة هل تروين
من شعر كثير شيئا ؟ قالت ما أعرفه ، ولكن سمعت الرواة ينشدون له
قضى كل ذى دين فوقى غريمه * وعزة ممطولٌ معنى غريمها
قال فتروين قوله

وقد زعمت أنى تغيرت بعدها * ومن ذا الذى ياعز لا يتغير
تغير حالى والخلقة كالذى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر
قالت ما سمعت هذا ولكن سمعته ينشدون
كأنى أنادى صخرة حين أعرضت * من الصم لو تمشى بها العُصم زأت
غضوباً فما تلقاك إلا بخيلة * فمن مل منها ذلك الوصل ملت (١)

ظرف ابن أبي عتيق

قال وكل ما ذكر ابن أبي ربيعة في شعره من عتيق ، أو أبى عتيق ، فانما هو
ابن أبى عتيق ، وكان عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة ، واسم أبى ربيعة حذيفة بن
المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، يكنى أبا الخطاب ، أمه أم ولد سبية من حضرموت
ويقال من حمير ومن ثم أتاه الغزل لأنه يقال (عشق يمانى ، ودل حجازى)
قال اسحاق بن ابراهيم الموصلى

إن قلبى بالتل تل عزازٍ * مع ظي من الظباء الجوازى (٢)

(١) ليس لكثير أجمل من هذه التائية ، ونجدها برمتها مضبوطة مشروحة
في كتاب « مدامع العشاق » عند الكلام عن بخل الحسان (٢) الجوازى هي
الظباء التى تجترى بالمشب عن الماء

شادن لم ير العراق وفيه * مع ظرف العراق دَلُّ الحجاز
وقال الطائي وذكر نفسه

قد ثققت منه الحجاز وسهلت * منه العراق ورقفته المشرق^(١)
وهجرت الثريا عمر فقال

قال لي صاحبي ليعلم ما بي * أتحب القتل أخت الرباب
قلت وجدى بها كوجدك بالما * إذا ما فقدت برّ الشراب
أرهقت أم نوفل إذ دعيتها * مهجتي ما لقاتلي من متاب
أبرزوها مثل المياة تمهادى * بين خمس كواعب أتراب
وهي مكنونة تحدر منها * في أديم الخدين ماء الشباب
ثم قالوا تحبها قلت بهراً * عدد الرمل والحصى والتراب
ولما بلغ ابن أبي عتيق قوله

من رسولى الى الثريا فاني * ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب

قال إياي أراد ، وبى هتف ، ونوّه ، لا جرم لا ذقت طعاماً أو أشخص إليها ،
وأصلح بينهما ، فقال مولى لبى تميم قهض ونهضت معه ثم خرج الى السوق الى
الضمرتين فأتى قوماً من بنى الدليل بن بكر يكرون النجائب ، فقال بكم تكرونني
راحلتين الى مكة ؟ قالوا بكذا وكذا درهما فقلت لبعض التجار استوضعوا شيئاً ،
فقال ابن أبي عتيق : ويحك ان المكاس ليس من أخلاق الناس^(٢) ثم ركب واحدة
وركبت أخرى وأجدت السير فقلت ارفق بنفسك فقال ويحك : أبادر جبل الوصل
أن يتقضّى . وما أملح الدنيا اذا تم الوصل بين عمر والثريا : فقدمنا مكة وأتى
باب الثريا ، فقالت والله ما كنت لنا زوّاراً ، فقال أجل ، ولكن جئت برسالة ،
يقول لك ابن عمك : ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب . فلامه عمر فقال ابن أبي عتيق
إنما رأيته مبادراً تلتمس رسولا ، تخففت في حاجتك ، فانما كان ثوابي أن أشكر

(١) المشرق بخلاف باليمن (٢) المكاس : الشدة في الاخذ والمطاء

كمثل الشيطان

ووصف ابن أبي عتيق لعمر امرأة من قومه ، وذكر جمالا رائعا ، وعقلا
فائقا ، فرآها عمر فشَبَّبَ بها فغضب ابن أبي عتيق وقال : تشبب بامرأة من
قومي ؟ فقال عمر

لا تلمني عتيقُ حَسْبِي الذي بي * ان بي يا عتيق ما قد كفاني
ان بي مضراً من الحب قد أب * لي عظامي مكنونه وبراني
* لا تلمني وأنت زينتها لي *

فقال ابن أبي عتيق

* أنت مثل الشيطان الانسان *

فقال عمر هكذا ورب الكعبة قلت ! فقال ابن أبي عتيق ان شيطانك ورب القبر
ربما ألمَّ بي !

رملة بنت عبد الله

وحجت رملة بنت عبد الله بن خلف أخت طلحة الطلحات فقال عمر فيها

أصبح القلب في الحبال رهينا * مُتَّصِداً يوم فارق الظاعينا
ولقد قلت يوم مكة سرّاً * قبل وشك من بينكم يلوينا
أنت أهوى العباد قرباً وبعداً * لو تواتين عاشقا محزوناً
قاده الحين يوم سرنا الى الحج * جهاراً ولم يخف أن يحينا
فاذا نعمة تراعى نِعَاجاً * ومهًى نجل النواظر عينا
فسبتني بمقلةٍ وبجيدٍ * وبوجه يضئ للناظرينا
قلت من أنتم فصدت وقالت * أمبدٍ سؤالك العالمينا
قلت بالله ذي الجلالة لما * أن تبلى الفؤاد أن تصدقينا
أى من تجمع المواسم أنتم * فأينى لنا ولا تكذيبنا
فراأت حرصاً الفتاة فقالت * أخبريه بعلم ما نكتمينا

نحن من ساكنى العراق وكنا * قبلها قاطنين مكة حيننا
قد صدقناك إذ سألت فمن أن * ت عسى أن يجر شأننا
ونرى أننا عرفناك بالنع * ت ظنوننا وما قبلنا يقينا
بسواد الثنيتين ونعت * قد نراه لناظر مستيينا

صفقة أبي غبشان

قولها (وكنا قبلها قاطنين مكة حيناً) أرادت إذ كانت مكة لخزاعة . وكان
آخر من نبذ مفتاح الكعبة من خزاعة أبوغبشان فباعه من قصى بزق خمر قليل
في المثل (أخسر صفقة من أبي غبشان) وكان أبو غبشان إذ باع المفتاح قصياً
مريضاً قد يئس من نفسه ، فلما أبل من مرضه لأمه قومه ، وسأله استرجاعه ،
وذلك الذى هاج الحرب بين خزاعة وقريش ، فظفر قصى واستولى على مكة ،
وجمع قريشاً بها ولذلك سعى مجعاً . قال مطرف الخزاعي
أبوكم قصى كان يدعى مجعاً * به جمع الله القبائل من فهر
وقال الطائي

ولما انضا ثوب الحياة وأوقعت * به نائبات الدهر ما يتوقع
غدا ليس يدري كيف يصنع معدم * ذرى دمه في خده كيف يصنع
ولم أنس سعى الجود خلف سريره * بأ كسف بال يستقل ويظلم^(١)
وتكبيره خمساً عليه معالنا * وإن كان تكبير المصلين أربع
وما كنت أدري يعلم الله قبلها * بأن الندى في أهله يتشيع
غدوا في زوايا نعشه وكأنما * قريش قريش يوم مات مجمع

وقال الشاعر في أمر قصى وأبي غبشان

أبو غبشان أظلم من قصى * وأظلم من بنى فهر خزاعه

(١) يستقل ويظلم : ينهض ويسقط

فلا تلحوا قصيًّا في شِراءِ * ولوموا شيخكم اذ كان باعه
وكان عمر أسود الثنيتين . قال مولى ابن أبي عنيق بلال أنبت الثريا مسلماً
عليها فقالت أنشدني لعمر فأنشدتها * أصبح القلب في الحبال رهينا * فقالت الثريا
إي والله أين سلمت له لأردن من شأوه ، ولأئنين من عنائه ، ولأعرفنه نفسه !
فمرت فيها حتى انتهيت الى قوله

قلت من أنتم فصدت وقالت * أمبدٍ سؤالك العالمينا
فقالت أو قد أجابته بهذا أى وقت ؟ فلما انتهيت الى قوله * وترى اننا عرفناك
بالنعت * قالت جاءت النوكاء بآخر ما عندها في موقف واحد (١)

حب ابن أبي ربيعة

وسأله أخوه الحارث وهو المعروف بالقباع وكان من أفاضل أهل دهره ، أن
يترك الشعر ، ورغب اليه في ذلك ووعظه ، فقال : أما ما دمت بمكة فلا أقدر ، ولكنى
أخرج الى اليمن . فخرج فلما سار الى هناك لم تدعه نفسه وترك الشعر فقال

هيهات من أمة الوهاب منزلنا * اذ انزلنا بسيف البحر من عدن (٢)

واحتلّ أهلك أجياداً وليس لنا * الا التذكر أو حظّ من الحزن

بل ما نسيت غداة الخيف موقفها * وموقفي وكلانا نئم ذو شجن

وقولها للثريا وهى مطرقة * والمدمع منها على الخدين ذو سنن

بالله قولى له فى غير معتبة * ماذا أردت بطول المكث فى اليمن

ان كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها * فما أخذت بترك الحج من ثمن

فلما بلغ الشعر الحارث قال قد علمنا انه لا ينى (وروى) سفيان بن عيينة

عن ابن جريج قال : لزمى دين مرة فضاقت ساحتى وبلادى بى . فتوجهت الى معن

ابن زائدة باليمن ، فقال ما أقدمك هذه البلدة ؟ قلت دين طردنى عن وطنى ، قال

يقضى دينك ، وترد الى وطنك محبواً محبوراً ، قال فأقمت عنده ثم رأيت الناس

(١) النوكاء : الحمقاء (٢) سيف البحر ، بكسر السين ، ساحله

يرحلون الى الحج فخننت الى مكة وذكرت قول ابن أبي ربيعة وذكر الأبيات
فأتيت باب معن فقلت للحاجب استأذن لي على الأمير ، فلما دخلت عليه قال
إن لك لحادثَ خير ! قلت أستودع الله الأمير واستحفظه عليه ، قال وما حاج هذا
منك ؟ فقلت رأيت خروج الناس الى الحج وذكرت قول عمر فخننت الى مكة ،
فقال أنت وحنينك ، وإن كنتُ بفراقك ضنينا ، وسيتبعك ما تحتاج اليه ، فسر
مصحبا . قال فسرت الى رحلى فاتبعتني بالوثياب ومطايا ودواب ، وسرت الى مكة
من فوري — وكان عمر على غزله وما يذكركه في شعره عفيفا (حدث المفيرة)
ابن عبد الرحمن عن أبيه قال دخلت مع أبي مكة فجاءه عمر فسلم عليه وأنا غلام
شاب وعلى جبة فجعل يأخذ بخصلة من شعري فتمتد في يده ثم يرسلها فترجع فيقول
واشباباه ! فقال لي يا ابن أخي قد سمعت قولي : قلت لها وقالت لي . وكل مملوك لي حر
إن كنت قط كشفت عن فرج حرام ! قال فقامت وفي نفسي من يمينه شيء فسألت
عن رقيقه فتبيل لي : أما في هذا الحول فسيبعون . ويستحسن قول عمر في المساعدة

وخلّ كنت عين النصح منه * اذا نظرتُ ومستمعاً مطيعاً
أطاف بغية قهيت عنها * وقلت له أرى أمراً شنيعاً
أردت رشادَه جهدي فلما * أبي وعصى أتينها جميعاً
وهذا مأخوذ من قول دريد بن الصمة الجشمي^(١)

أمرتهمُ أمرى بمنعرج الولى * فلم يستبينوا الرشداً ضحى الغد
فقلت لهم ظننوا بالفي مدجج * سرّاتهم في الفارسي المسرد
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى * غوايتهم وانى غير مهتدى
وما أنا الا من غزية إن غوت * غويت وان ترشد غزية أرشد
ومن جيد شعره

يقولون إني استأصدق في الهوى * وإني لا أراك حين أغيبُ

(١) يحسن الرجوع الى هذه القصيدة في ديوان الحماسة باب المرائي فانها من ادوع
ما قال الشعراء

فما بال طرفي عفا عما نساقت * له أنفسي من مشر وقلوب
 عشية لا يستنكر القوم أن يروا * سيفاد حجي ممن يقال لييب
 ولا فتنة من ناسك أومضت له * بعين الصبا كسلي القيام لعوب
 تروّح يرجو أن تخط ذنوبه * فآب وقد زبدت عليه ذنوب
 وما النسك أسلاني ولكن للهوى * على العين منى والفؤاد رقيب

ونظر عمر بن أبي ربيعة الى قتي من قریش يكلم امرأة في الطواف فعاب
 ذلك عليه، فذكر انها ابنة عمه ، فقال ذلك أشنع لأمرک ، قال إني خطبتها الى
 عمي وانه زعم أنه لا يزوّجني حتى أصدقها أربعمئة دينار وأنا غير قادر على ذلك
 وذكر من حاله وحبها لها . فأتى عمر عمه فكلّمه في أمرها فقال انه مملق ، فزوّجه
 وساق عمر عنه المهر . وكان عمر حين أسنّ حلف أن لا يقول بيتا الا أعتق رقبة
 فانصرف الى منزله يحدث نفسه فجعلت جاريته تكلمه ولا يجيبها فقالت إن لك
 شأننا وأراك تريد أن تقول شعرا ، فقال

تقول وليدتي لما رأني * طربت وكنت قد أقصرت حينما
 أراك اليوم قد أحدثت أمراً * وهاج لك الهوى داءً دفيناً
 وكنت زعمت أنك ذو عزاء * اذا ما شئت فارقت القريناً
 لعمرک هل رأيت لها سميّاً * فشاقتك أم لقيت لها خديناً
 فقلت شكى الى أخ محب * كك بعض زماننا إذ تعلمينا
 فقص على ما يلقي بهند * فذكر بعض ما كنا نسينا
 وذو الشوق القديم وان تعزى * مشوق حين يلقي العاشقينا
 فكم من خلة أعرضت عنها * لغير قلبي وكنت بها ضنيناً
 أردت بمادها فصددت عنها * وان جُنّ الفؤاد بها جنونا

ثم دعا تسعة من رقيقة فأعتقهم (قال عثمان بن ابراهيم) حججت أنا وأصحاب
 لنا فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة فرأينا عمر بن أبي ربيعة وقد نسك وترك

قول الشعر ، فقال بعضنا لبعض : هل لكم فيه ؟ فلنا اليه ، وسلمنا عليه ، وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا . فقال له بعضنا أيعجبك قول الفرزدق

سرت لعينك سلمى بعد مغناها * فبت مستلهياً من بعد مسراها
فقلت أهلاً وسهلاً من هداك لنا * إن كنت تماثلاً أو كنت إياها
تأني الرياح التي من نحو بلدكم * حتى نقول دنت منا برياتها
وقد تراخت بهم عنا نوى قُدُفٍ * هيهات مُصْبِحهما من بعد مُمَسَاها (١)
من أجلمها أتمنى أن يلاقيني * من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها
كما أقول اقتراق لا اجتماع له * وأضمر النفس ياساً ثم تسلاها
ولو نموت لراعتني وقلت لها * يا بؤس للدهر ليت الدهر أبقاها
فلم يهش لذلك فقال الآخر أيعجبك قول العذري

لو حز بالسيف رأسي في مودتها * لمز يهوى سريعا نحوها رأسي
ولو لي تحت أطباق انهرى جسدی * لكنت أبلى وما قلبي لكم ناسي
أو يقبض الله روعي صار ذكر كمو * روحاً أعيش به ماعشت في الناس
لولا نسيمٌ لذكركم يروحي * لكنت محترقا من حر أنفاسي

فتحرك ثم قال : يا ويحه أبعده ما يحز رأسه يميل إليها ؟ ثم أنشأ يحدثنا فقال
أتاني خالد الدليل فقال ان هندا وأترابها بموضع كذا وكذا من الصحراء أيام الربيع
فقلت كيف الحيلة ؟ فقال تتلثم وتكتفل كأنك طالب ضالة ، ففعلت فدُفعت
اليهن ، فقلن يا أعرابي ما تطلب ، قلت ضالة لي ، فقلن قد كُذِّبت يا أعرابي ،
فلو جلست فأصبت من حديثنا وأصبنا من حديثك ، وإمالك تروح الى وجود
ضالتك ، فنزلت ، فلما امتد الحديث بنا حسرت هندا ثامى ، وقالت أتراك
خدعتنا ؟ نحن والله خدعناك ، وبعثنا اليك خالدا ، رأينا خلاه ومنظراً فأردناك
ونظرت في درعي فأعجبني ما رأيت ، فقلت يا أبا الخطاب ؟ قال عمر فقلت لبيك
وفي ذلك أقول

ألم تسأل الاطلال والمتربعا * ببطان خليات دوارس بلقعا
الى الصرح من وادى المغمس بدلت * معالمة وبلا ونكباء زعرعا (١)
فيبخلن أو يخبرن بالعلم بعدما * نكأن فؤادا كان قدما مؤجعا (٢)
لهند واتراب لهند اذ الهوى * جميع واذا لم نخش أن يتصدعا
واذا لا نطيع العاذلين ولا نرى * لو اش لدينا يطلب الهجر مطمعا
واذا نحن مثل الماء كان مزاجه * كما صفق الساقى الرحيق المشعشا
تنوحين حتى عاود القلب خبله * وحتى تذكرت الحبيب المودعا
قللت لمطربين بالحسن انما * ضررت فهل تستطيع نفعا فتنفعا
وأشريت فاستشري وقد كان قدصحا * فؤادا بأمثال المها كان مولعا (٣)
لئن كان ما حدث حقا فما أرى * كمثل الألى أطريت فى الناس أربعا (٤)
فقال فقم فانظر قللت وكيف لى * أخاف حديثا أن يشاع فيشعنا
فقال اكنفل ثم التثم فأت باغيا * فسلم ولا تكثر بأن تتورعا
فأقبلت أهوى مثل ما قال صاحبي * لموعده أبغى قلوفا موقعا (٥)
فلما توافقنا وسألت أقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنا
تباهن بالعرفان لما رأيتنى * وقلن امرؤ باغ كل وأوضعا (٦)
وقربن أسباب الهوى لمسيما * يقيس ذراعا كلما قسن أصبعنا
فلما تنازعن الأحاديث قلن لى * أخفت علينا أن نغر ونخدعا
فبالأمس أرسلنا بذلك خالدا * إليك وبيننا له الأمر أجمعنا

- (١) نكباء زعزع : ربح شديدة (٢) نكأ الجرح أصابه من جديد (٣) أشريته
فاستشري : هجته فهاج ، وشري الشر ، على وزن رضى ، استطار . وشري زيد
غضب ولج ، ومثله استشري ، ومنه الشراة للخوارج ، سموا بذلك للجاجتهم
وإمعانهم فى الخروج ، لا لأنهم شروا أنفسهم وباعوها فى الطاعة كما وهم بعض
الناس (٤) الاطراء : المبالغة فى الثناء (٥) الموقع : البعير تكثر عليه آثار الدبر
(٦) أكل راحلته وأوضعا : اتعبها واجهدها

فما جئتنا الا على وفق موعدٍ * على ملائنا خرجنا له معا
 رأينا خلاء من عيون ومنظراً * دميث الرُّبى سهل المحلة مُمرعا
 وقلن كريمٌ نال وصل كرائمٍ * فحق له فى اليوم أن يتمتعا
 وقوله : (وجود زهاها الحسن أن تتقنعا) يقول هذه الوجوه مدلة بجمالها
 فلا تختمر فتستر شيناعن الناظرين البها ، وقد أشار الى هذا المعنى الشماخ بن خرار
 يصف ناقته :

كأن ذراعها ذراع مدلة * بعيد الشباب حاولت أن تعذرا
 من البيض أعطاه اذا اتصلت دعت * فراس بن غنم أولقيط بن يعمرأ
 بها شَرَقٌ من زعفران وعنبرٍ * أطارت من الحسن الرداء المحبرا

عائشة بنت طلحة

قال وكانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها ، فلما دخلت على
 مصعب بن الزبير قال لها فى ذلك ، فقالت ان الله تعالى وسمنى بمسمى جمال فأحببت
 أن يراه الناس ، والله ما بى وصمة أستتر لها
 وقال على بن العباس الرومى يصف قينة :

لم يعتصم عودها بزامرةٍ * ولا انضوى وجهها الى الستر
 وقد ردد معنى قوله لم يعتصم عودها بزامرة فقال يصف برعة الكبيرة :
 غنّت فلم تحوج الى زامر * هل تحوج الشمس الى شمع
 كأنما غنت لشمس الضحى * فألبستها حسنها خلع
 كأنما رنة مسموعها * رقة شكوى سبقت دمه
 تهدي الى قلبك ما يشتهى * كأنها قد أطلعت طالع
 يجتمع الظرف 'جلالها * والحسن والاحسان فى بقعه

طَفَّلَ عَلَى مَنْ حَصَلَتْ عِنْدَهُ * فَبَعْضُ تَطْفِيلِ الْفَتَى رَفْعُهُ ^(١)
رَبِيعٌ غَيْثٌ فَاتَجَعَ رَوْضُهُ * فَلَنْ يُعَابَ الْحَرُّ بِالنَّجْمَةِ ^(٢)

عمامة ابن الرومي

وكان ابن الرومي لا يزال معتمماً وكان يغضب إذا سئل عن ذلك. وسأله بعض
الرؤساء لم تعتم؟ فقال بديها :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ لَا خَيْرَ * عَنِّي لَمْ لَا أُرَاكَ مَعْتَجِرَا
أُسْتَرِشِينَا لَوْ كَانَ يُمْكِنُنِي * تَعْرِيفُهُ السَّائِلِينَ مَا أُسْتَرَا

وقد بين العلة التي أوجبت اعتمائه في قوله :

تَعَمَّمْتُ إِحْصَانًا لِرَأْسِي بُرْهَةً * مِنْ الْقَرِيئِ وَمَا وَالْحَرُورُ إِذَا سَفَعُ
فَلَمَّا دَهَى طَوْلَ التَّعَمُّمِ لِمَنِي * وَأَوْدَى بِهَا بَعْدَ الْإِطَالَةِ وَالْفِرْعِ
عَزَمْتُ عَلَى لِبْسِ الْعِمَامَةِ حِيلَةً * لَتُسْتَرَّ مَا جَرَّتْ عَلَىَّ مِنَ الصَّلَعِ
فِيَا لَكَ مِنْ جَانٍ عَلَى جُنَايَةٍ * جَعَلْتَ إِلَيْهِ مِنْ جُنَايَتِهِ الْفِرْعَ
وَأَعْجَبَ شَيْءٌ كَانَ دَائِي جَعَلْتُهُ * دَوَائِي عَلَى عَمْدٍ وَأَعْجَبُ بَأَنْ نَفَعَ
وَهَذَا كَقَوْلِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعْنَاهُ وَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ يَنْسِبُهُ إِلَى كَشَاجِمِ

طَرَبْتُ إِلَى الْمِرَاةِ فَرَوَّعْتَنِي * طَوَالِغَ لَشِيْبَتَيْنِ أُلْمَتَا بِي
فَأَمَّا شَيْبَةٌ فَفَزَعَتْ مِنْهَا * إِلَى الْمَقْرَاضِ حَبًّا لِلتَّصَابِي
وَأَمَّا شَيْبَةٌ فَصَفَحَتْ عَنْهَا * لِتَشْهَدَ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ خُضَابِي
فَأَعْجَبُ بِالْدَّلِيلِ عَلَى مَشِيْبِي * أَقَمْتُ بِهِ الدَّلِيلَ عَلَى شَبَابِي
وَهُوَ الْقَائِلُ فِي صِفَةِ رَجُلٍ أَصْلَعِ

يَجْذِبُ مِنْ تَقَرُّتِهِ طُرَّةٌ * إِلَى مَدَى يَقْصُرُ عَنْ مِيلِهِ
فَوَجْهَهُ يَأْخُذُ مِنْ رَأْسِهِ * أَخَذَ نَهَارَ الصَّيْفِ مِنْ لَيْلِهِ

(١) التطفيل: غشيان الوليمة من غير دعوة (٢) النجمة: الارتحال في سبيل السكّاء

وقال اعرابي

قد ترك الدهر صفاتي صفصفا * فصار رأسي جبهة الى القفا^(١)
كأنه قد كان ربعا فعمفا

سليمان بن عبد الملك

قال أعرابي لسليمان بن عبد الملك : إني أكبك يا أمير المؤمنين بكلام
فاحتمله ، فإن وراءه إن قبلته ماتحبه ، قال هاتوا يا أعرابي ، فنحن نجود بسعة
الاحتمال على من لا تأمن غيبته ، ولا نرجو نصيحته ، وأنت المأمون غيبا ، الناصح
جيبا^(٢) قال فاني سأطلق لسانى بما خرسست عنه الألسن ، تأدية لحق الله تعالى ،
إنه قد اكتنفك رجال أساؤا الاختيار لأفسهم ، وابتاعوا دنياك بدينهم ، ورضاك
بسخط ربهم ، وخافوك فى الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة ، وسلم
للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنتك الله عليه ، فانهم لم يألوا الأمانة تضییعا ، والأمة
كسفا وخسفا ، وأنت مسؤول عما اجترموا ، وليسوا مسؤولين عما اجترمت ، فلا
تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فان أعظم الناس عند الله غبنا من باع آخرته بدنيا
غيره ، فقال سليمان : أما أنت يا اعرابي فقد سللت لسانك وهو سيفك ، قال أجل
يا أمير المؤمنين لك لا عليك^(٣) (وروى) العتبي عن أبيه عن مولى لعمر بن حريث
قال : شخصت الى سليمان بن عبد الملك فقيل لى انك ترد على أفصح العرب
وسيسألك عن المطر فانظر ما تجيبه ، فقلت ما عندى من الجواب الا ما عند العامة
فقيل لى ما ذلك بمقنع عنده ، فلقيني اعرابي فقلت هل لك فى درهمين ؟ فقال
انى والله محتاج اليهما ، حريص عليهما ، فما شأنك ؟ قلت لو سألك سائل عن هذا
المطر بم كنت تجيبه ؟ قال أو يعيا بهذا أحد ؟ قلت نعم سائلك : قال : أتعيا أن
تقول : أصابتنا سماء ، عمد لها الثرى ، واتصل بها العرى ، وقامت منها الغدر ،
(١) الصفاة : الصخرة ، والمراد بها حال المرء (٢) نصح الجيب : كناية
عن سلامة الطوية

وَأَنْتَ فِي مِثْلِ وَجَارِ الضَّبْعِ . فَكَتَبْتَ الْكَلَامَ وَأَعْطَيْتَهُ دِرْهَمَيْنِ فَكَانَ هَاجِرًا
عَلَى الرَّاحِلَةِ ^(١) فَإِذَا نَزَلَتْ أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ وَأَمِثَلَ نَفْسِي كَأَنِّي وَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ
سَلِمْتَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَهُوَ يَسْأَلُنِي عَنِ الْمَطَرِ ! فَلَمَّا انْتَهَيْتَ إِلَيْهِ سَأَلَنِي فَاقْتَصَصْتُ
الْكَلَامَ فَكَسَرَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : إِنِّي لَا أَسْمَعُ كَلَامًا مَا أَنْتَ بِأَبَى عُذْرَتِهِ ^(٢)
قُلْتُ صَدَقْتَ وَحَيَاتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اشْتَرَيْتَهُ بِدِرْهَمَيْنِ ! فَاسْتَغْرَبَ ضَحْكَائِي
أَحْسَنَ صَلَاتِي

وصف رجل ماجد

وقال اعرابي يمدح رجلاً

حَلِيمٌ مَعَ التَّقْوَى شَجَاعٌ مَعَ الْجَدَى * نَدِي حِينَ لَا يَنْدَى السَّحَابُ سَكُوبُ
وَيَجْلُو أُمُورًا لَوْ أَضْيَفْنَ غَيْرَهُ * لَمَاتَ خَفَاتًا أَوْ لَكَادَ يَذُوبُ
شَدِيدَ مَنَاطِ الْقَلْبِ فِي الْمَوْقِفِ الَّذِي * بِهِ لِقُلُوبِ الْعَالَمِينَ وَجِيبُ
قَتِي هُوَ مَنْ غَيْرِ التَّخَلُّقِ مَا جَدُّ * وَمَنْ غَيْرِ تَأْدِيبِ الرِّجَالِ أَدِيبُ

وقال بعض المحدثين يمدح

قَتِيَّ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ * وَيَجْعَلُ دُونَ الْعَذْرِ فَضْلَ التَّكْرُمِ
أَغْرًا مَتَى تَقْصِدُهُ فَضْلَ حِفْظِهِ * تَصْبِ وَمَتَى تَطْلُبُ بِهِ الْغَنَمَ تَغْنَمُ
عَلَى رَأْيِهِ يَنْظُمُ مِنْصَدَعَ الصِّفَا * وَيَنْحُلُ مِنْ عَقْدِ الْعُرَى كُلِّ مُبْرَمٍ
لَهُ عَزْمَةٌ أَغْنَى مِنَ الْجَيْشِ فِي الْوَعْيِ * وَخَطَرَةٌ رَامَ كَالْحَسَامِ الْمَصْمَمِ

(١) كان هاجرا على الراحلة : أي لم يزل يكرره وهو سائر (٢) ليس بأبي
عذرتة : ليس صاحبه ، والعذر ، أو العذرة ، البكارة ، وهو أبو عذر هذا الكلام
أي أول من افتض بكارته ، يعني أنه مبدعه

البديع الهمداني

(جملة من كلام أبي الفضل احمد بن الحسين الهمداني بديع الزمان) وهذا اسم وافق مسماه ، ولفظ طابق معناه ، وكلام غرض المكسر ، أنيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفه ، والهوى يعشقه ظرفه ، ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسين ابن دريد الأزدى أغرب بأربعين حديثا ، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره واستنخبها من معادن فكره ، وأبداهها للابصار والبصائر ، وأهداها للافكار والضمائر ، في معارض عجمية ، والفاظ حوشية ، فجاء أكثر ما أظهر تنبوعه عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حججها الا مماع ، وتوسع فيها ، إذ صرّف الفاظها ومعانيها ، في وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها بأربعائة مقامة في الكُدَيَّة ، تدوب ظرفا وتقطر حسنا ، لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى ، وعطف مساجلتها ، ووقف مناقلتها ، بين رجلين سمي أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الاسكندري ، وجعلهما يتهاديان الدر ، ويتنافشان السحر ، في معان تضحك الحزين ، وتحرك الرصين ، يتطلع منها كل طريفة ، ويوقف منها على كل لطيفة ، وربما أفرد أحدهما بالحكاية ، وخص أحدهما بالراوية ، وسأذكر منها ما لا يخل طوله بالشرط المعقود ، ولا ينافي حصوله الغرض المقصود

كتابه الى أبي نصر الميكالى

كتب الى أبي نصر احمد بن علي الميكالى : كتابي أعز الله الأمير ، وبودی أن أكونه ، فأسمع به دونه ، ولكن الحريص محروم ، لو بلغ الرزق فاه ، لولاه قفاد ، فرّق الله بين الأيام ، تفرقة بين الكرام ، وألهمها أن تورّد بعقل ، وأنصذر بتمييز ، وما ذلك على الله بعزیز ، وأنا في مفاتيحة الأمير ، بين ثقة أعبد ، ويد ترتعد ، ولم لا يكون ذلك ؟ والبحر وان لم أره ، فقد سمعت خبره

ومن رأى من السيف أثره ، فقد عاين أكثره والليث وإن لم ألقه ، فلم أجهل خلقه ، وما وراء ذلك من تالد أصل وحسب ، وطارف فضل وأدب ، وبعد همه وصيت ، فمعلوم تشهد به الدفاتر ، والخبر المتواتر ، وتنطق به الأشعار ، كما تصدق به الآثار ، والعين أقل الحواس ادراكا ، والأذن أكثرها استمساكا ، وإن بعدت الدار فلا ضير : إن أيسر البعدين ، بعد الدارين ، وخير القربين ، قرب القليين (وكتب إليه في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة) الأمير الفاضل ، والشيخ الرئيس ، رفيع مناط الهمة ، بعيد مثال الحرمة ، فسيح مجال الفضل ، رحيب منخرق الجود ، رطيب مكسر العود

فلو نظمت الثريا * والشعرين قريضا
وكامل الأرض ضربا * وشعب رضوى عروضا
وصغت للدر ضدا * وللهواء نقيضا
بل لو جلوت عليه * سود النوائب بيضا
أو ادّعت الثريا * لأخصيه حضيضا
والبحر عند لهاه * يوم العطاء مغنيضا

لما كنت إلا في ذمة القصور ، وجانب التقصير ، فكيف وأنا قاعد الحالة في المدح ، قاصر الآلة عن الشرح ، ولكني أقول : الثناء مُنْجِحٌ أنى سلك ، والسخرى جوده بما ملك ، وإن لم تكن غرّة لأتحة فلمحة دالة ، وإن لم يكن صداء فناء ^(١) وإن لم يكن خمر نخل ، وإن لم يصبها وابل فطل ، وبذل الموجود غاية الجود ، وبعض الجهد آخر الجهد ، وماش خير من لاش ^(٢) ووجود ما قل ، خير من عدم ما جل ، وقليل في الجيب ، خير من كثير في الغيب ، وجهد المقل ، خير من عذر الخل ،

(١) صداء : ماء يضرب به النخل في الخلاوة ، ويقال : ماء ولا كصداء

(٢) لاش : لاشيء ، وبقابلة ماش ، وهي عبارة مولدة

وحمار أيس . خير من فرس لينس^(١) وكوخ في العيان ، خير من قصر في الوهم ،
وزيت ، خير من لبت ، وما كان ، أجود من لو كان ، وقد قيل : عصفور
في الكف أجود من كركي في الجو ، ولأن تقطف ، خير من أن تقف ، ومن لم يجد
الجميم ، رعى الهشيم^(٢) ومن لم يحسن صهيلاً نهق ، ومن لم يجد ماء تيمم ، والأمر
الرئيس أدام الله نعماءه ، لا ينظر في قوافي صنيعته إلى ركاكة ألفاظها ، وبعد أغراضها
والكن إلى كثرة جذرها ، وثقل مهرها ، وقلة كفؤها^(٣) ، وإني منذ فارقت قصبة
جرجان ، ووطئت عتبة خراسان ، مازفتها إلا إليه ، ولا وقفها إلا عليه ، هذا
على تمرغى في أعطاف الحن ، وضرورتى إلى أبناء الزمن ، وإن كان الأمير
الرئيس يرفع لكل لفظ حجاب سمعه ، ويفسح لكل شعر فناء طبعه ، فهالك من
النثر ما ترى ، ومن النظم ما يترى

أدهق الكاس فعرف الفجسر قد كاد يلوح
فهو للناس صباح * ولذي الرأي صبح
والذي يرحب في حلبة اللهو جموح
فاسقنيها والأمانى * لها عرف يفوح
إن للأيام أسرا * رأبها سوف تبوح
لا يغرناك جسم * صادق الحس وروح
انما نحن إلى الآجا * ل نغدو ونروح
ويك هذا العمر تبري * يحو هذا الروح ربح
بينما أنت صحيح الج * سم اذ أنت طريح
فاسقنيها مثل مايل * فظه الديك الذبيح
قبل أن يضرب في العم * ربي القدح السنيح

(١) الأيس : القهر ، يريد أن حمار الضرورة خير من الفرس المدوم
(٢) الجميم : الذئب الغزير ، والهشيم اليابس (٣) الجندر ما تكافأ به المغنية

انما الدهر غرورٌ * ولمن أصغى نصيحُ
 ولسان الدهر بالوء ظ لواعيه فصيحُ
 نستبيح الدهر والايا م منا تستبيح
 نحن لاهون وآجا * ل المنايا لاترج
 يا غلام الكأس قاليا س من الناس مريحُ
 ضاع مانحميه من * أنفسنا وهو مبيح
 وقنوعا فقام الذل * بالحرء قبيح
 أنا يادهر بأبنا * بك شق وسطيح^(١)
 وبأبكار القوافي * لا على كفوء شحيح
 يا بنى ميكال والجو * د إعلاتى مزيج
 شرفاً ان مجال ال فضل فيكم لفسيح
 وعلى قدرسنا الممدو ح يأتيك المديح
 فهناك الشرف الار * فع والطرف الطموح
 والذى وأخلق الط اهر وأخلق الصبيح
 مرتقى مجد يجار الطر ف فيه وبطيح
 أى هذا الكرم الما ثل وأخلق السجيج
 كان هذا الجود ميتاً * عاده منك المسيح

(هذه) أطال الله بقاء الأمير ، هدية الوقت ، وعفو الساعة ، وفيض
 البديهة ، ومسارقة القلم ، ومسابقة اليد للفم ، وجرات الحدة ، وثمرات المدة ،
 ومجازاة الخاطر للناظر ، ومباراة الطبع للسمع ، ومجازبة الجنان للبيان ، والشعر
 اذا لم تتقدمه روية ، ولم تنضجه نية ، لم يفتح له السمع بابه ، ولم يرفع له القلب
 حجابيه ، واذا لبس الأمير هذه على علانها رجوت أن يكون بعدها ما هو أقتن ،
 وأحسن ، وأرصن ، فرأيه أيده الله فى الوقوف عليها موفق ان شاء الله

(١) شق وسطيح : كاهنان يضرب بهما المثل فى معرفة الغيب

عتابه للميكالى

وله اليه معانبة

أئن ساءنى أن نلتنى بمساءة * لقد سرّنى أنى خطرت بيلك
الامير الفاضل ، الشيخ الرئيس ، أطل الله بقاءه ، الى آخر الدعاء ، فى حال
برّه وجفائه متفضل ، وفى يومى إبادته وإدناؤه متطوّل . وهنيئاً له من رحمانا
ما يحلّه ، ومن عرّانا ما يحلّه ، ومن أعراضنا ما يستحلّه ، بلغنى أنه أدام الله عزه استزاد
صنيعته ، وكنت أظننى مجنّياً عليه ، مساءً اليه ، فاذا أنا فى قرارة الذنب ، ومثارة
العتب ، وليت شمى أى محذور فى العشرة حضرته ، أو مفروض من الخدمة
رفضته ، أو واجب فى الزيارة أهملته ، وهل كنت الا ضيفاً أهدها بلدٌ شاسع ،
وأداة أملٌ واسع ، وحدها فضل وإن قل ، وهدها رأى وإن ضل ، ثم لم يُلق
إلا فى آل ميكال رحله ، ولم يصل الا بهم حبله ، ولم ينظم الا فيهم شعره ، ولم
يقف إلا عليهم شكره ، ثم ما بعدت صحبة الا دنت مهابة ، ولا زادت حرمة
الا نقصت صيانة ، ولا تضاعفت منّة ، الا تراجعت منزلة ، ولم تزل الضعة بنا
حتى صار وابل الا عظام قطرة ، وعاد قميص القيام صدرة ، وذلك التقرب ازوراراً ،
وطويل السلام اختصاراً ، والاهتزاز ايماء ، والعبارة اشارة ، وحين عابته أمل
إعتابه ، وكابته أنتظر جوابه ، وسألته أرجو إيجابه ، أجب بالسكوت ، وأعجب
بالقنوت ، فما ازددت الا له ولاءً ، وعليه ثناء ، لا جرّم أنى اليوم ابيض وجه
العهد ، واضح محجة الودّ ، طويل عنان القول ، رفيع حكمة المنذر ، وقد حملت
فلاناً من الرسالة ما تنجافى عنه القلم ، والامير الرئيس أطل الله بقاءه ينعم بالاصفاء
لما يورده موقفاً ان شاء الله

(وله اليه فى هذا الباب) أنا فى خدمة الامير الرئيس ، أطل الله بقاءه ،
مترجّح بين أن أشربها رفقة ولا أسيفها ، وأنجلج منها دسغة ولا أجزها ، وبين

أن أطويها على غرّها . ولا أرتضع أخلاف درّها

فلا نفسي تطاوعني لرفض * ولا همي توطئني لخفض
وبقي أن أقرصه بأنامل العتب ، وأجشّه بألحاظ العذل ، وأعرفه أني ما أطوي
مسافة مزار الا متجشما ، ولا أطأ عتبة دار الا متبرما ، ولست كمن يبسط
يده مستجديا ، أو ينقل قدمه مستعديا ، فان كان الأمير الرئيس أيدده الله
يسرح طرفه مني في طامح ، أو طامع ، فليعد للفراسة نظرا

فما الفقر من أرض العشيبة ساقنا * اليك ولكنا بقربك ننجح
وأجدني كلما استفزني الشوق الى تلك المحاسن ، أطيّر إليها بجناحين عجلا
وأرجع بعرجاوين خجلا ، ولولا أن الرضى بذلك ضرب من سقوط الهمة ،
وأن العتاب نوع من أنواع الخدمة ، لصنت مجلسه عن قلبي ، كما أصونه عن قدمي
ولملت إلى أرض الدعاء فهو أنجع ، وإلى جانب الثناء فهو أوسع ، وسأفعل لتخف
مؤنتي ، ولا تثقل وطأتي

إذا ما عتبت فلم تُعتب * وهنت عليك فلم تُعن بي (١)
سلوت فلو كنت ماء الحياة * لعفت الورود ولم أشرب

ان من الشعر لحكمة

(قطعة من مفردات الأبيات لأهل العصر في معان شتي
تجري مجرى الأمثال)

أبو فراس الحمداني
إذا كان غير الله للمرء عُدَّة * أتمه الرزايا من وجوه المكاسب
وله

عفاك عيُّ انما عفة الفتى * إذا عف عن لذاته وهو قادر

وقال المتنبي

- كلُّ حلمٍ أتى بغير اقتدارٍ * حجةٌ لاجيئٍ إليها اللثامُ
وله وإذا كانت النفوس كباراً * تعبت في مرادها الأجسامُ
وله وإذا أتتك مندمت من ناقصٍ * فهي الشهادة لى بأنى كاملُ
وله لا يُعْجِبُنَّ مَضِيها حسن بزته * وهل تروق دفيناً جودة الكفنِ
وله من أطاق التماس شئٍ غلاباً * واغتصاباً لم يلنمسه سؤالا
وله والظلم من شيم النفوس فإن تجدد * ذا عفةٍ فلعلمةٌ لا يظلمُ
وله ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه * انى بما أنا بالك منه محسودُ
وله ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته * ما قاته وفضول العيش أشغالُ

(والمتنبي) أ كثر المحدثين افتناناً واحساناً فى الاغراب بهذا الباب ،

والاستقصاء يخرج عن شرط الكتاب

وقال السرى الموصلى

- خذوا من العيش فالأعمار قائمةٌ * والدهر منصرمٌ والعيش منقرضُ
وله

فانك كلما استودعت سرّاً * أنتم من النسيم على الرياضِ

وقال أبو اسحق الصابى

الضرب والنون قد يرجى النقاؤها * وليس يرجى التقاء اللب والذهبِ

وقال ابن نباتة

مثلٌ خلعت على الزمان رداءهُ * عوز الدراهم آفة الأجوارِ

وله

يهوى الثناء مبرزٌ ومقصرٌ * حب الثناء طبيعة الانسانِ

وقال أبو الحسن السلمي

تبسّطنا على اللذات لما * رأينا العفو من ثمر الذنوب

وقال ابن لنكك البصري

وماذا أرجى من حياة تكدرت * ولو قد صفت كانت كأحلام نائم

وقال أبو طالب المأموني

لى فى ضمير الدهر سرّ كامن * لا بد أن تستله الأقدار

وقال أبو الفضل بن العميد

الرأى بصدأ كالحسام لعارض * يطرا عليه وصقه التذكير

وقال أبو الفتح

بطرتم فطرتم والمصا زجر من عصي * وتقويم عبد الهون بالهون رادع

وله إذا بلغ المرء آماله * فليس له بعدها مقترح

وقال صاحب اسماعيل بن عباد

إن أم الصقر فى الود * لمة ——— لات نزور

وله من لم يمدنا إذا مرضنا * إن مات لم نشهد الجنازه

وله حفظ اللسان راحة الانسان * فاحفظه حفظ الشكر للاحسان

وقال اسماعيل الناشئ

وكننت أرى أن التجارب عدة * نخافت ثقات الناس حتى التجارب

وقال أبو الفتح البستي

لأرج شيئا خالصا نفعه * فالغيث لا يخلو من العيث

وله ولم أر مثل الشكر جنة غارس * ولا مثل حسن الصبر جبة لابس

وله وطول مقام الماء فى مستقره * يغيره ريحا ولونا ومطما

وله ما استفامت قناة رأيت إلا * بعد ما عوج المشيب قناني

وقال أبو الفضل الميكالى

هو الشوك لا يعطيك وافر منة * يد الدهر إلا حين تضربه جلدا
وله ذو الفضل لا يسلم من قدح * وإن غدا أقوم من قدح

وقل شمس المعالى

وفى السماء نجوم ما لها عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر
هذا مأخوذ من قول الطائي

إن الرياح اذا ما استعصفت قصفت * عيدان نجيد فلم يعبأ بالرتم^(١)
بنات نعش ونعش لا كسوف لها * والشمس والبدر منها الدهر فى الرقم

وقال أبو الحسن على بن عبد العزيز القاضى

الهجر أروح من وصل على حذر * والموت أطيب من عيش على غرر
وقال أبو بكر الخوارزمى

لا تغرنك هذه الاوجه الغر * فيارب حية فى رياض

أبو العيناء

قال أبو العناء كان عيسى بن فرخان شاه يتيه على فى ولايته الوزارة ،
فلما صُرف رهبني ، فلقيني فسلم على فأحقي . فقلت لعلامى من هذا؟ قال أبو موسى
فدنوت منه وقلت : أعزك الله ، والله لقد كنت أفتع بإيمانك ، دون بيانك ،
وبلحظك ، دون لفظك ، فالحمد لله على ما آلت اليه حالك ، فلئن كانت أخطأت
فيك النعمة ، فلقد أصابت فيك النعمة ، ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالاقبال
عليك ، لقد أظهرت محاسنها بالانصراف عنك ، والله المنة إذ أغنانا عن الكذب
عليك ، ونزهنا عن قول الزور فيك ، فقد والله أسأت حمل النعم ، وماشكرت
حق المنعم ، فقيل له يا أبا عبد الله لقد بالغت فى السب ، فما كان الذنب؟ قال سألته
حاجة أقل من قيمته ، فردنى عنها بأقبح من خلقته

أبو الصقر

وقال علي بن العباس الرومي لأبي الصقر اسماعيل بن بلبل لما نكبه الموفق أبو احمد وألم في بعض قوله بقول أبي العينا

لا زال يومك عِبرةً لعدك * وبكت بشجوة عين ذي حسدك
فلئن نكبت لظالما نكبت * بك همة لجأت الى سددك
لو تسجد الايام ماسجدت * إلا ليوم فت في عضدك
يانعمة ولت غضارتها * ما كان أقبح حسنها بيدك
فلقد غدت برداً على كبدي * لما غدت حرّاً على كبدي
ورأيت نعمي الله زائدة * لما استبان النقص في عدك
ولقد تمت كل صاعقة * لو أنها صُبت على كتفك (١)
لم يبق لي مما برى جسدي * الا بقاء الروح في جسدي
وله فيه أهاج كثيرة لما نكب ، منها قوله

خفض أبا الصقر فكم طائر * خرّ سريعاً بعد تخليق
زوّجت نعمي لم تكن كفأها * فصانها الله بتطليق
لا قدست نعمي تسربلتها * كم حجة فيها لزيد (٢)

وكان أبو الصقر لما ولي الوزارة مدحه ابن الرومي بقصيدته النونية التي أولها
أجنينك الورد أغصان وكُشبان * فيهن نوعان ثُفاح ورمّان
وفوق ذينك أعناب مهذلة * سودّهن من الظلماء ألوان
وتحت هاتيك عناب تلوح به * أطرافهن قلوب القوم قنوان

(١) السكتد : مجتمع السكتفين (٢) يريد أن النعم التي تسربلها هذا الرجل وليس لها بأهل ، قوت حجة الزنادقة في جحود الاء له ، لانه لو كان هناك عدالة إلهية لحيل بين اللثام وبين جميع الطيبات

غصون بان عليها الدهر فأكهة * وما القوا كه مما يحمل البان
ونرجس بات سارى الطل يضربه * وأقحوان منير اللون ريان
ألفن من كل شيء طيب حسن * فمن فأكهة شتى وريحان
نمار صدق اذا عاينت ظاهرها * لكنها حين تبلو الطم خطبان^(١)
ولا يدمن على عهد لمعتد * والغانيات كما شبن بستان
يميل طوراً بحمل ثم يعدمه * ويكتسى ثم ينفى وهو عريان
وهي أكثر من مائتي بيت مر له فيها احسان كثير ، فأنشدها أبو الصقر ، فلما
سمع قوله

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمرى ولكن منه شيبان
قال هجاني ، قيل له إن هذا من أحسن المدح ألا تسمع ما بعده
وكم أب قد علا بان ذرى شرف * كما علت برسول الله عدنان
قال أنا بشيبان لاشيبان بي . فقيل له فقد قال

ولم أقصر بشيبان التي بلغت * بها المبالغ أعراق وأغصان
لله شيبان قوم لا يشوبهم * روع إذا الروح شابت منه ولدان
فقال لا والله لأأتيه على هذا الشعر ، وقد هجاني . قال أبو بكر محمد بن
يحيى الصولى : كنت يوماً عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد ذكر واقصيدة
ابن الرومى هذه النونية فقال : هذه دار البطيخ قافروا تشبهاتها تعلموا ذلك !
فضحك جميع من حضر

وفى هذه القصيدة يقول من المختار فى النسيب

يارب حسانة منهن قد فعلت * سوء او قد يفعل الأسواء إحسان
تشكى المحب وتلفى الدهر شاكية * كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان^(٢)

(١) الخطبان : نبات مر ، يضرب به المثل فيقال : أمر من تقيع الخطبان . وهو
بضم الخاء المعجمة (٢) تشكى المحب : تحمله بظلمها على الشكاية . — والرمايا جمع
رمية ، بمعنى مرمية ، وتصمى تقتل وتبيد

وهذا كقوله في قصيدة يصف فيها قوس البندق
لهارثة أولى بها من نصيبه * وأجدر بالأعوال من كان مؤجعا

يقول فيها

لا تلحياني وإياها على ضرعى * وزهوها حج مفنون وفتان
إني ملكك في لرق مسكنة * ومليكك قلما بالملك طغيان
لي مذنات وجنة رياء بمشربها * من عبرتي وفهم ما عشت ظمان
وفيهما في مدح نبي شيبان

قوم سماحتهم غيث ونجدتهم * غوث وآراؤهم في الخطب شيبان
تلقاهم ورماح الخط حولهم * كالأسد أبسها الآجام خفان^(١)
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتدلوا * منهن في سبل العلياء ماصانوا
المنعمون وما منوا على أحد * يوما بنعمي ولومنوا لما مانوا

يقول فيها في أبي الصقر

يفديه من فيه عن مقدار فديته * عن المفاداة تقصير ونقصان
قوم كأنهم موتى إذا مدحوا * والمهم من حبير الشعرا كفان
صاحي الطباع إذا سالت هواجسه * وإن سألت يديه فهو نشوان
يضحيه ذهن ويأبى صحوده كرم * مستحكم فهو صاح وهو سكران
فرد جميع يراه كل ذي بصير * كأنه الناس طرأ وهو إنسان
وهذا كقول أبي الطيب

ولقيت كل الفاضلين كأنما * رد الإله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لناسق الحساب مقدما * وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا
وقد تقدم . وقال

فإن يك سيار بن مكرم انقضى * فأنك ماء الورد إن ذهب الورد

(١) خفان ، بفتح الخاء المعجمة ، أجمة في سواد الكوفة

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم * وألف إذا ما جمعت واحد فرد

وقال البحترى

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً * لدى المجد حتى عد ألف بواحد
ومدحه وعاتبه بقصائد كثيرة فما أنجحت ، فمن ذلك قوله فى قصيدة طويلة يمدحه

فى وجهه روضة للحسن مؤنقة * ماراد فى مثلها طرف ولا سرحا^(١)

طل الحياء عليها ساقط أبداً * كاللؤلؤ الرطب لو رقرقته سفحا

أنا الزعيم لمكحول بغرته * أن لا يرى بعدها بؤساً ولا ترحاً

مهما أتى الناس من طول ومن كرم * فأنما دخلوا الباب الذى فتحا

يعطى المزاح ويعطى الجد حقها * فلموت إن جد والمعروف إن مزحا

وفى عطارى والمريخ مولده * فأعطياه من الحظين ما اقترحا

ان قال لا قلما للأمريه بها * ولم يقلها لمن يستمنح المنحا

فى كفه قلم ناهيك من قلم * نبلاً وناهيك من كف بما أتشحا

يمحو ويثبت أرزاق العباد به * فما المقادير الا ما يحا ووحى^(٢)

كأنما القلم العلوى فى يده * يجريه فى أى أنحاء البلاد نحا

لما تبسم عنك المجد قلت له * قهقهة فلان فلان تبنى ولا قلحا^(٣)

أئننى عليك بنعمك التى عظمت * وقد وجدت بها فى القول منفسحاً

أمطر بذاك جنابى نكسه زهراً * أنت الحيا برىاد إذا نفحا

أنشدتها على توالى الاختيار وكذلك أجرى فى كثير من الاشعار

(١) راد وارتاد معناهما واحد (٢) وحى وحيا : كتب ، قال رؤبة « لقد

كان وحاه الواحى » (٣) النفل والقلع : فساد الاسنان

عتاب ابن الرومي لأبي الصقر

وقال بعائنه ويستبطئه

عَقِيدَ النَّدَى أَطْلُقْ مَذَاحَ جَمَّةٍ * حَبَائِثَ حَسْرَى قَدْ أَبَتْ أَنْ تُسَرَّحَا
وَكُنْتُ مَنِي تَنْشُدُ مَدْبَحًا ظَلَمْتُهُ * يُرَى لَكَ أَهْجِي مَا يُرَى لَكَ أَمْدَحَا
عَذْرَتُكَ لَوْ كَانَتْ سَمَاءً تَقَشَّعَتْ * سَحَائِبُهَا أَوْ كَانَ رَوْضٌ تَصَوَّحَا
وَلَكِنَّهَا سَقِيًا حَرَمَتْ رَوِيَّهَا * وَعَارِضُهَا مُلْقٍ كَلَّا كُلَّ جُنْحَا (١)
وَأَكْلَاءَ مَعْرُوفٍ حَرَمَتْ مَرِيَعَهَا * وَقَدْ عَادَ مِنْهَا السَّهْلُ وَالْحَزَنُ مَسْرَحَا
عَرَضْتُ لِأَوْرَادِي وَبِحَرْكِ زَاخِرُهُ * فَلَمَّا أُرْدُنَ الْوَرْدِ الْفَيْنِ ضَحَضَحَا
فَلَوْلَمْ تَرُدْ أَوْرَادَ غَيْرِي غَمَارُهُ * لَقُلْتُ سَرَابٌ بِالْمَنَانِ تَوْضَحَا
فِيَا لَكَ بِحَرًّا لَمْ أَجِدْ فِيهِ مَشْرَبًا * وَإِنْ كَانَ غَيْرِي وَاجِدًا فِيهِ مَسْبَحَا
مَدْبَحِي عَصَا مُوسَى وَذَلِكَ أَنِّي * ضَرَبْتُ بِهِ بِحَرَ النَّدَى فَتَضَحَضَحَا
سَأْمَدَحُ بَعْضَ الْبَاخِلِينَ لَعَلَّهُ * إِذَا اطْرَدَ الْمَقْيَاسُ أَنْ يَتَسَمَّحَا
فِيَا لَيْتَ شَعْرِي إِنْ ضَرَبْتُ بِهِ الصِّفَا * أَيْبَعَثَ لِي مِنْهُ جَدَاوِلَ سَيَّحَا
كَتَلْتُكَ الَّتِي أَبَدْتَ ثَرِي الْأَرْضِ يَابِسًا * وَشَقَّتْ عَيُونًا فِي الْحَجَارَةِ سَفْحَا
مَلَكَتْ فَاسْجَحْ يَا أَبَا الصَّقْرِ أَنَّهُ * إِذَا مَلَكَ الْأَحْرَارَ مِثْلُكَ أُسْجَحَا
وَمَا ضَرَعَ إِلَى أَحَدٍ هَذِهِ الضَّرَاعَةُ ، وَلَا فِي طَوْقِهِ هَذَا الْإِحْتِمَالُ ، وَهَذِهِ
الْأَبْيَاتُ الْأَخِيرَةُ إِنَّمَا وَلَدَ أَكْثَرُهَا مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ الطَّائِي لِحَمْدِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَاتِ

فَلَوْ حَارَدَتْ شَوْلٌ عَذْرَتُ لِقَاحِهَا * وَلَكِنْ حَرَمَتْ الدَّرَّ وَالضَّرْعَ حَافِلُ
أَكْبَارَنَا عَطْفًا عَلَيْنَا فَانْنَا * بَنَّا ظُلْمًا بَرَحَ وَأَنْتُمْ مَنَاهِلُ

(١) السكلاكل : الصدور ، وجنح : جمع حاجب ، وهو المائل

وفيه يقول

هذا مقامى يا بنى وائل * من مستجير بكم عائذ
أنشب فيه الدهر أظفارة * وعضه بالذاب والناجد
فانصفوا منه أخا حرمة * لاذبكم منه مع اللائذ
فما أرى الدهر على جورهِ * يخرج من حكمكم النافذ

وقال أيضاً

يا أيها السيد الذى وهنت * أنصار أمواله ولم يهن
فأصبحت فى يد الضعيف وذى * قوة والباقي واللسن
غيرى على انى مؤمك الآفة * دم سائل بذاك وامتنح
مادح عشرين حجة كؤلا * محرومها عنك غير مضطن
فضلك أو عدلك الذى انمن الله * عليه أجل مؤمن
إن كنت فى الشعر ناقداً فطنا * فلنعطى حق حصّة الفطن
وان أكن فيه ساقطاً زمناً * فلنعطى حق حصّة الزمن
سُم بى ديوانك الذى عدلت * جدوا بين الصحيح والضمين^(١)
كثير بشخصى من استطعت من لنا * س فان لم أزنك لم أشن
ما حق من لان صدره لك بالود * لقاء بجانب خشن

وقال أبو العباس الرومى لرجل مدحه فى كلمة

أبعد لقاءى دونك كل قفر * يدق الشخص فيه أن يلاقا
وإعمالى اليك به المطايا * وقد ضرب الظلام له رواقا
ورفضى النوم إلا أن ترانى * أعانق واسط الكور اعتناقا
تسوق بنا الحداة فليس تدري * أشوقاً كان ذلك أم سيقا
أصادف درّة المعروف شكراً * لديك ولا أذوق لها ذواقا^(٢)

(١) الضمن ، على وزن كتف ، المريض (٢) شكرى ، على وزن سكرى ، ملائمة

يقول فيها

غداً يعلو الجياد وكان يعلو * اذا ما استغفرد السبب انرقاقاً^(١)
أعنتها الشسوع فان عراها * حفاء الكد أنعلها طراقاً
فزوج بعد فقير منه نعيمى * أرائى الله صبحتها الطلاقاً

نسب أبي العيناء

قال أبو القاسم على بن حمزة بن شمردل حدثني أبي قال سألت أبا العيناء عن نسبه فقال : أنا محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، وأصل قومي من بني حنيفة من أهل اليمامة ، ولحقهم سبأ في أيام المنصور ، فلما صار ياسر في قيده أعتقه ، فولأنا لبني هاشم ، وكان أبو العيناء ضرير البصر ، ويقال إن جده الأكبر اتي على بن أبي طالب رضى الله عنه فأساء مخاطبته ، فدعا عليه وعلى ولده بالعمى ، فكل من عمى منهم صحيح النسب ! قال الصولى : حدثني أبو العيناء : قال : لما أدخلت على المتوكل فدعوت له وكلمته استحسن كلامي : وقال لى : إن فيك شرّاً ! فقلت يا أمير المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن بأحسنه والمسيء بأساءته ، فقد زكى الله تعالى وذم ، فقال فى التزكية (نعم العبد انه أواب) وقال فى الذم (همّاز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم) وقال الشاعر

إذا أنا لم أمدح على أخير أهله * ولم أذمم الجبس اللثيم المذمماً^(٢)

فقيم عرفت الخير والشر باسمه * وشقّ الله لى المسامع والفما
وان كان الشر كفعل المقرب التى تلسع السنّى والدنّى بطبع لا بتمييز فقد

(١) استغفره : طلب الفاره القوى من الخيل ، والسبب بكسر السين المهملة جلود البقر : يريد أنه كان يركب الخيل من الدواب (٢) الجبس : هو الدنّى الجبان ، ويجمع على أجباس ، قال

ماض إذا لأجباس بعد الكرى تنسأحت ازواج أحلامها

صان الله عبدك عن ذلك ؛ فقال لي بلغني انك رافضى ، فقلت يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضيا وبلدى البصرة ، ومنشئ في مسجد جامعها ، واستاذى الأصمى وليس يخلو القوم أن يكونوا أرادوا الدين أو الدنيا ، فإن كانوا أرادوا الدين فقد أجمع الناس على تقديم من أخرؤا ، وتأخير من قدموا ، وإن كانوا أرادوا الدنيا فأنت وآبؤك أمراء المؤمنين ، لادين الا بك ، ولا دنيا الا معك ، قال كيف ترى دارى هذه ؟ قال قلت رأيت الناس بنوا دورهم فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك ، فقال لى ، ما تقول فى عبيد الله ابن يحيى قلت نعم العبد لله ولك مقسم بين طاعته وخدمتك ، يؤثر رضاك على كل فائدة ، وما عاد بصلاح ملكك على كل لذة ، قال فما تقول فى صاحب البريد ميمون بن ابراهيم ، وكان قد علم أنى واجد عليه بتقصير وقع منه فى أمرى ، فقلت يا أمير المؤمنين يدٌ تسرق واستٌ تضبط ؛ وهو مثل اليهودى سرق نصف جزية ، فله إقدام بما أدى ، واحجام بما أبقي ، إساءته طبيعة ، وإحسانه تكاف ، قال قد أردت لك لمجالستى قلت لا أطيق ذاك ، وما أقول ذلك جهلا بما لى فى هذا المجلس من الشرف ، ولكنى محجوب ، والمحجوب تختلف عليه الإشارة ، ويخفى عليه الأيماء ، ويجوز أن يتكلم بكلام غضبان ووجهك راض ؛ أو بكلام راض ووجهك غضبان ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، قال صدقت ، ولكن تلزمنا ، قلت لزوم الفرض الواجب اللازم فوصلنى بعشرة آلاف درهم

أحاديثه مع المتوكل

ولأبى العيناء مع المتوكل مجالس أدخل الرواة بعضها فى بعض وسأورد مستظرفها ان شاء الله . قل له المتوكل يوماً يا أبا العيناء لا تكثر الوقعة فى الناس ، قال إن لى فى بصرى لشغلا عن الوقعة فيهم ؟ قال ذلك أشد لحيفك فى أهل العافية ؛ وقال له يوماً هل رأيت طالبياً حسن الوجه قط ؟ فقال يا أمير المؤمنين رأيت أحد

قط سأل ضريباً عن هذا ؟ قال لم تكن ضريباً فيما تقدم ، وإنما سألتك عما سلف ، قال نعم رأيت منهم ببغداد منذ ثلاثين سنة قتي مارأيت أجمل منه ، قال المتوكل تجده كان مواجراً ونجداً كنت قواداً عليه ! فقال أبو العيناء ، وفرغت لهذا يأمر المؤمنين ، أنراني أدع موالى على كثيرتهم ، وأقود على الغرباء ؟ قال اسكت يامأبون ؟ قال مولى القوم منهم ! قال المتوكل أردت أن أشتفى به منهم فاشتفى لهم منى ! وكان أبو العيناء أحد الناس خاطراً ، وأحضرهم نادرة ، وأسرعهم جواباً وأبلغهم خطاباً - والمتوكل أول من أظهر من خلفاء بني العباس الانهماك على شهوته ، وكان أصحابه يسخفون ويسفون بحضرته ، وكان يهاتر الجلساء ، ويفاخر الرؤساء ، وهو مع ذلك من قلوب الناس محبوب ، واليهم مقرب : إذ أمات ما أحياه الواثق من إظهار الاعتزال ، وإقامة سوق الجidal

رسائل أبي العيناء

قال محمد بن مكرم الكاتب : من زعم أن عبد الحميد أ كتب من أبي العيناء إذا أحسن بكرم ، أو شرع في طمع ، فقد ظلم . كتب الى أبي عبيد الله بن سليمان وقد نكبه وأباه المعتمد ، وهما يطالبان بمال يبيعان له ما يملكانه من عقار وأثاث وعبد وأمة ، وقد أعطى بخادم أسود لعبيد الله خمسون ديناراً

« قد علمت أصلحك الله أن الكريم المنكوب أجرى على الأحرار من اللئيم الموفور ، لأن اللئيم يزيد مع النعمة لؤماً ، والكريم لا يزيد مع المحنة إلا كرمًا ، هذا متكل على رازقه ، وهذا يسبي الظن بخالقه ، وعبدك الى ملك « كافور » فقير وثمنه على ما اتصل بي يسير ، لأنه بخدمة السلطان ، يعرفني الرؤساء والاخوان ولست بواجد ذلك في غيره من الغلمان ، فإن سمحت به فملاك عادتك ، وإن أمرت بأخذ ثمنه فمالك مادتي ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالنعمة فكبتك . فأمر له به وسمع ابن مكرم يقول : من ذهب بصره قلت حيلته . قال ما أغفلك عن أبي العيناء

وكتب أبو العيثاء الى عبيد الله بن سليمان : أنا أعزك الله تعالى وولدي
وعيالى زرع من زرعك ، إن سقيته راع وزكا ، وإن جفوته ذبل وذوى ، وقد
مسنى منك جفاء بعد بر ، وإغفال بعد تعاهد ، حتى تكلم عدو ، وشمت حاسد
ولعبت بى ظنون رجال كنت بهم لاعبا ، ولهم مجرّسا ، والله در أبى الأسود
فى قوله

لَا تُهِنِّ بَعْدَ إِذَا كَرَمْتَنِي * وَشَدِيدٌ عَادَةُ مُنْتَزَعَةٍ

فوقع فى رقعة : أنا أسعدك الله على الحال التى عهدت ، وميلى اليك كما علمت
وليس من أنساناد أهملناه ، ولا من آخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ،
واققسام زماننا . وكان من حَقك علينا أن تذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أمرك ، وقد
وقعت لك برزق شهرين ، لترى غلتك ، وتعرفى مبلغ استحقاقك ، لأطلق لك
باقى أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام

وكان اذا خرج من داره يقول : اللهم إني أعوذ بك من الركب والركب ،
والأجر والخشب ، والروايا والقرب

فوائد وفكاهاته

(قطعة من خطابه وجوابه) دخل على أبى الصقر بعد ما تأخر عنه فقال :
ما أخرك عنا ؟ قال سُرق حمارى : قال وكيف سرق ؟ قال لم أكن مع اللص
فأخبرك ! قال فلم لم تأتنا على غيره ؟ قال قعد بى عن الشراء قلة يسارى ، وكرهت
ذلة المكارى ، ومنة العوارى

وزجه رجل بالجسر على حماره فضرب بيديه على أذنى الحمار ، وقال : يا قى
قل للحمار الذى فوقك يقول الطريق ! ودخل على إبراهيم بن المدبر وعنده الفضل
ابن اليزيدى وهوىلقى على ابنه مسائل من النحو فقال فى أى باب هذا؟ قال فى
باب الفاعل والمفعول به . قال هذا بابى وباب الوالدة حفظها الله ! فغضب الفضل

وانصرف ، وكان البجترى حاضراً فكتب بعد ذلك بقصيدته الى ابراهيم بن
المدير التي اولها

ذكرتنيك روحة للشمول * أوقدت لوعتي وهاجت غليلي
أى شئ أهلك عن سر من را ء وظل للعيش فيها ظليل^(١)
وفيها يقول

أقنصاراً على أحاديث فضل * وهو مستكرة كثير الفضول
فلام اصطفت منكسف الباء ل معاد الخراق نزر القبول
ان تزره نجده أخلق من شيب ب العواني ومن تعق الطول
مسرجاً ملجماً وما متع الص ببح ادلاجاً للشحنو والتطفيل^(٢)
غير أن الملهين على حا ل قليلو التميز ضعفى العقول
فاذا ما تذاكر الناس معنى * من متين الاشعار والمجهول
قال هذا لنا ونحن كشفنا * غيبه للسؤال والمسؤول
ضرب الأصمعى فيهم أم الاحمر ر أم ألحقوا بأير الخليل^(٣)
جل ما عند، التردد فى الفا عل من والديه والمفعول

وعزى بعض الأمراء فقال: أيها الأمير كان العزاء لك لائبك ، والعناء لنا
لالك ، واذا كنت البقية ، فالرزية عطية ، والتمزية تهنية (وسئل أبو العيناء)
عن مالك بن طوق فقال لو كان فى زمن بنى اسرائيل ونزل ذبح البقرة ما ذبح
غيره ! قيل فأخوه عمر ؟ قال كسر اب بقيمة يحسبه اظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده
شيئاً (وكان موسى بن عبد الملك) قد اغتال نجاح بن سلمة فى شراب شربه عنده
فقال المتوكل بعد ذلك لأبى العيناء ما تقول فى نجاح بن سلمة ؟ قال ما قال الله
تعالى : فوكزد موسى فقضى عليه ! فاتصل ذلك بموسى فلقى الوزير عبيد الله بن يحيى
(١) سر من راء : هى مدينة سر من رأى (٢) متم الصبح : ظهر ، والشحنو
والتطفيل : التسول والسؤال (٣) الاحمر : هو خلف الاحمر

ابن خاقان فقال أيها الوزير أردت قتلى فلم تجد الى ذلك سبيلا إلا بأدخال أبي العيناء الى أمير المؤمنين مع عداوته لي ، فعاتب عبيد الله أبا العيناء في ذلك فقال والله ما استعذبت الواقعة فيه حتى ذممت سريرته لك ، فأمسك عنه . ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل فقال : كيف كنت بعد ؟ قال في أحوال مختلفة خيرا ورؤيتك وشرها غيبتك ، فقال قد والله اشتقتك ! قال إنما يشاق العبد ، لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه ، وأما السيد فتى أراد عبده دعاه . وقال له المتوكل من أسخى من رأيت ؟ قال ابن أبي دؤاد . قال المتوكل تأتي الى رجل رفضته فتنسبه الى السخاء ؟ قال إن الصدق يا أمير المؤمنين ليس في موضع من المواضع أتفق منه في مجلسك ، وإن الناس يغلطون فيمن ينسبونه الى الجود لأن سخاء البرامكة منسوب الى الرشيد وسخاء الفضل والحسن ابني سهل منسوب الى المأمون ، وجود بن أبي دؤاد منسوب الى المعتصم ، فإذا نسب الناس الفتح وعبيد الله ابني يحيى الى السخاء فذلك سخاؤك يا أمير المؤمنين ، قال صدقت ، فمن أبخل من رأيت ، قال موسى بن عبد الملك قال وما رأيت من أبخله ، قال رأيت يخدم القريب كما يخدم البعيد ، ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة ، فقال له قد وقعت فيه عندي مرتين وما أحب لك ذلك فאלقه واعتذر اليه ، ولا يعلم أني وجهت بك ، قال يا أمير المؤمنين من يستكتمني بحضرة ألف ؟ قال إن تخاف ، قال على الاحتراس من الخوف . فصار الى موسى فاعتذر كل واحد منهما الى صاحبه ، واقترعا عن صلح فلقية بعد ذلك بالجعفرى فقال يا أبا عبد الله قد اصطلمحنا فمالك لا تأتينا ؟ قال أنريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ؟ فقال موسى ما أرانا الا كما كنا ! وقال له المتوكل : ابراهيم بن نوح النصراني واجد عليك ، قال وإن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ! قال إن جماعة من الكتاب يلومونك فقال اذا رضيت عنى كرام عشيرتي * فلا زال غضباناً على لئامها . قال المتوكل له : أكان أبوك فى البلاغة مثلك ؟ قال لو رأى أمير المؤمنين أبى

لرأى عبداً له لا يرضاني عبداً له (وقيل لأبي العيناء) ان المتوكل قال : لولا انه
 ضرير البصر لتادمته ، فقال ان أعفاني من رؤية الأهلّة ، وقراءة نقش الفصوص ،
 فأنا أصلح للمنادمة^(١) ولقية رجل من اخوانه في السحر ، فجعل يعجب من بكوره ،
 فقال أراك تشاركني في الفعل وتفردني بالتمعجب ! ووقف به رجل من العامة فأحس
 به فقال من هذا ؟ قال رجل من بني آدم ! قال مرحباً بك ، أطل الله بقاءك ،
 وبقيت في الدنيا ، ما ظننت هذا النسل الا قد انقطع ! ودخل على عبيد الله بن
 سليمان فقال : اقرب مني يا أبا عبد الله ، فقال أعز الله الوزير ، تقرب الاولياء ،
 وحرمان الأعداء ، قال تقريبيك غنم ، وحرمانك ظلم ، وأنا ناظر في أمرك ، نظراً
 يصلح من حالك ، ان شاء الله ، وقال له يوماً اعذرني فاني مشغول . فقال له اذا
 فرغت من شغلك لم نحتاج اليك ، وأنشده

فلا تعتذر بالشغل عنا فانما * تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

ثم قال ياسيدي قد عذرتك ، فانه لا يصلح لشكرك ، من لا يصلح لعذرك ،
 وأقبل اليه يوماً فقال من أين يا أبا عبد الله قال من مطارح الجفاء ! (وقال له مرة)
 نحن في العطة مرحومون ، وفي الوزارة محرومون ، وفي القيامة كل نفس بما
 كسبت رهينة ؟ وسار يوماً الى باب صاعد بن مخلد فقبل هو مشغول يصلي ،
 قال : اسكل جديد لذة ! وكان صاعد نصرانياً قبل الوزارة (ودخل الى عبيد
 الله بن سليمان) فشكى اليه حاله فقال : أليس قد كتبنا لك الى ابراهيم بن المدبر
 فقال : كتبت الى رجل قد قصر من همته طول الفقر ، وذل الأسر ، ومعاونة
 محن الدهر ، فأخفقه في طلبتي ! قال أنت اخترته ؟ قال وما على أعز الله الوزير
 في ذلك ، قد اختار موسى قومه سبعين رجلاً ، فما كان منهم رشيد ، واختار النبي
 صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً ، فرجع الى المشركين مرتداً ، واختار
 علي ابن أبي طالب أبا موسى حاكماً له فحكم عليه !

ابراهيم بن المدبر

وكان ابراهيم بن المدبر أمره صاحب الزنج بالبصرة وحبسه ، فاحتال حتى نقب السجن وهرب فلذلك ذكر أبو العيناء ذل الأسر ، وكان قد ضرب في وجهه ضربة بقي أثرها إلى أن مات . ولذلك قال البحترى

ومدينة شهر المنازل وسمها * والخيل تكبو في المعراج الكابي
كانت بوجهك دون عرضك اذ رؤا * أن الوجوه تصان بالاحساب
ولئن أسرت فما الإيسار على امرئ * نصر الإيسار على الفرار بعاب^(١)
نم المضلل عن سراك ولم تخف * عين الرقيب وقسوة البواب
فركتها هولا متى تخبر بها * يقل الجبان أتيت غير صواب
ما راعهم الا استرافك مُصلناً * في مثل بُرد الأرقم المنساب^(٢)
تحمي غيلةً وطائشة الخطى * تصل القلب خشية الطلاب
قد كان يوم ندى بطولك باهراً * حتى أضفت اليه يوم ضراب^(٣)
ذكر من الناس استعنت بالذي * أعطيت في الأخلاق والآداب
ووحيدة أنت انفردت بفضلها * لولاك ما كتبت على الكتاب

(١) العاب : العيب (٢) المصلت : السيف ، والأرقم : الحية

(٣) الضراب الطعان

صاحب الزنج

قال أبو بكر الصولي حدثني محمد بن أبي الازهر وقد ذاكرته خبر علي صاحب الزنج قال : ادعى انه علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم ، فنظرت مولده ومولد محمد بن أحمد الذي ادعاه فكان بينهما ثلاث سنين . وكان لمحمد بن أحمد ولد اسمه علي مات بعد هذا المدعى اسمه ونسبه بزمان . ثم رجع عن هذا النسب فادعى انه علي ابن محمد بن عبد الرحيم بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان ابن زيد بن علي . قال أبو عبيدة محمد بن علي بن حمزة ولم يكن ليحيى ولد يقال له رحيب ولا غيره لانه قتل ابن ثمانى عشرة سنة ولا ولده . قال بشر بن محمد بن السرى بن عبد الرحمن بن رحيب هو ابن عم أبي الحاعلى بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب ورحيب رجل من العجم من أهل ورتين من ضياع الرى وهو القائل لبني العباس

بني عمنّا إنا وأنتم أنامل * تضمّنها من راحتها عقودها

بني عمنّا وآلنم الترك أمرنا * ونحن قديماً أصلها وعمودها

فما بال عجم الترك تقسم فيئنا * ونحن لذيها في البلاد شهودها

فأقسم لأذقت القراح وإن أذق * فبلغة عيش أو يباد عميدها (١)

وقال أيضاً

لهف نفسي على قصور ببغدا * د وما قد حوته من كل عاص

وخمور هناك تشرب جهراً * ورجال على المعاصى حراس

است بآبن الفواطم الزهر إن لم * أقحم الخيل بين تلك العراض

وله في هذا المعنى شعر كثير قد ناقضه البغداديون ، وكانت مدته حين

نجّم إلى أن قتل أربع عشرة سنة ، وجملة من قتل ألف ألف وخمسمائة ألف

﴿ انتهى الجزء الأول ﴾

اقرأ مؤلفات

الْحَقُّ قَوْلُكَ مَبْنِيٌّ عَلَى

من کتاب زهر الآداب

صفحة	مقدمة شارح الكتاب	صفحة
٤٥	١ مقدمة المؤلف	٤٥
٤٦	٥ الزبرقان بن بدر	٤٦
٤٨	٧ غلام يتكلم في حضرة	٤٨
٤٩	٨ السحر الحلال	٤٩
٥٠	١٠ عليه بنت المهدي	٥٠
٥٣	١٤ حسن الحديث	٥٣
٥٥	١٨ الشعر والبيان	٥٥
٥٦	٢٠ جرات العرب	٥٦
٥٧	٢٣ شذور من كلام الرسول	٥٧
٥٨	٢٧ قصه النضر بن الحارث	٥٨
٥٩	٢٨ وفاة رسول الله	٥٩
٥٩	٣١ مناقب أبي بكر	٥٩
٦٢	٣٣ عمر بن الخطاب	٦٢
٦٥	٣٥ عاتكة بنت زيد	٦٥
٦٧	٣٦ عثمان بن عفان	٦٧
٦٧	٤٢ علي بن أبي طالب	٦٧
٧٠	٤٤ كلام الصحابة والتابعين	٧٠
٧١		٧١
٧٢		٧٢
٧٣		٧٣
٧٤		٧٤
٧٤		٧٤

صفحة		صفحة
١١٥	الفاظ اهل العصر	٧٨ عبد الله بن معاوية
١١٦	رسائل الميكاني	٨٠ الحسن بن زيد
١١٨	وصف الامير أبي الفضل	٨١ ابراهيم بن هرمة
١٢٠	أمراء البيان	٨٢ موسى بن عبد الله
١٢١	وصف البلاغة	٨٣ العباس بن الحسين
١٢٥	الوزير المهلبى	٨٥ على بن موسى
١٢٧	الحكمة ضالة المؤمن	٨٦ دعبل والمأمون
١٢٧	وصف الكتاب	٨٨ أوصاف الأشراف
١٢٨	نجابة المأمون	٨٩ الابتداء بحمد الله
١٣٠	تهادى الكتب	٨٩ محمود الوراق
١٣٢	وصف خطاب	٩١ البلاغة والبيان
١٣٥	لوعة الشوق	٩٢ وصف القرآن
١٣٦	سميد بن مسلم والمأمون	٩٣ عمرو بن عبيد
١٣٧	أبو تمام والجارية الفارسية	٩٥ البلاغة عند أهل الهند
١٣٨	طرفة أدبية	٩٦ الاطالة والايجاز
١٣٩	واجب الجليس	٩٨ المعانى والألفاظ
١٣٩	الحديث المعاد	١٠٠ بشار بن برد
١٤٠	أنواع الادب	١٠١ وصية أبي تمام للبحتري
١٤٠	اللهو المباح	١٠٢ فضل الليل
١٤١	تقسيم الايام	١٠٣ واجب النساخ
١٤٢	لا تعدل بالسلامة شيئاً	١٠٤ صور مختلفة للبلاغة
١٤٢	فضل السكوت	١٠٦ صفة البلاغة والبلغاء
١٤٣	ذكاء إياس	١٠٩ وصف النثر والشعر
١٤٣	الفرار من الحديث المملول	١١١ أبو الفضل العميد
١٤٤	طرف أدبية	١١٢ الصاحب بن عباد
١٤٥	الغاضرى وأشعب	١١٣ أبو الفضل الميكالى
١٤٦	ملح أشعب	١١٤ أبو منصور الثعالى

صفحة	صفحة
١٧٤ وصف الرعد والبرق	١٤٧ الجمار وأبو نواس
١٧٧ أبو العباس الناشي	١٤٨ مناقب الرجال
١٧٨ الشرب في الصحو	١٤٩ رواية الشعر والنسيب
١٧٩ وصف رجل حازم	١٤٩ عروة بن أذينة
١٨٠ ابراهيم ابن أدهم	١٥٠ أبو السائب المخزومي
١٨٠ وصف التقي والزهد	١٥١ حب الأحوص
١٨١ ابن المقفع	١٥٢ يغفر الله لأهل الجمل
١٨٢ حاصم بن ثابت	١٥٢ أبو حازم
١٨٢ فهم المنصور	١٥٣ شعر الفقهاء
١٨٣ السنة الحساد	١٥٥ أبونواس وجندان
١٨٤ وصف الحسد	١٥٥ ظرف أهل المدينة
١٨٤ باب السلطان	١٥٧ التشبيب بأخت الحجاج
١٨٥ نجوى محب	١٥٨ شذرات لابن المعتز
١٨٦ ابراهيم بن المهدي	١٥٩ شعر ابن المعتز
١٨٧ اردشير بن بابك	١٦١ السرى الموصلى
١٨٨ أخلاق الملوك	١٦٣ رثاء المنصور
١٨٩ أخت ملك الخزر	١٦٣ أوصاف الرجال
١٩٠ أقوال الملوك	١٦٤ طيب الوصال
١٩١ كلمات مأثورة	١٦٥ نثر ابن المعتز
١٩٢ كلام الملوك	١٦٦ وصف الماء
١٩٢ الرأى والعزيمة	١٦٧ عفاف عاتكة المرية
١٩٣ همة سعد بن ناشب	١٦٧ أحواض مأرب
١٩٣ كلام الملوك أيضاً	١٦٨ بركة الجعفرى
١٩٤ مقتل المتوكل	١٦٩ قصور المتوكل
١٩٥ وفاء البحترى	١٧٠ وصف موضع
١٩٧ أبو حية النمرى	١٧١ دار البحر بالمنصورية
١٩٨ جنابة المشيب	١٧٣ المياه والغدران

صفحة	صفحة
٢٤٢ رملة بنت عبد الله	١٩٩ وصف الشباب
٢٢٥ صفقة أبي غبشان	٢٠٠ نجابة الشباب
٢٢٦ حب ابن أبي ربيعة	٢٠١ ابن مناذر
٢٣١ عائشة بنت طلحة	٢٠١ أعباء الكهولة
٢٣٢ عمامة ابن الرومي	٢٠٢ حميد بن ثور
٢٣٣ سليمان بن عبد الملك	٢٠٣ جنابة الليالي
٢٣٤ وصف رجل ماجد	٢٠٥ وصف الثغر
٢٣٥ البديع الهمداني	٢٠٧ وصف الجوارى السود
٢٣٥ كتابه الى أبي نصر الميكالي	٢١١ التهنئة بتوأمين
٢٣٩ عتابه للميكالي	٢١١ شيء من الهجاء
٢٤٠ إن من الشعر لحكمة	٢١٢ وصف الأقواء
٢٤٣ أبو العيناء	٢١٤ فتنة الساق
٢٤٤ أبو الصقر	٢١٥ شعر ابن أبي ربيعة
٢٤٨ عتاب ابن الرومي لابن الصقر	٢١٦ مزيد المدنى
٢٥٠ نسب أبي العيناء	٢١٦ بكاء الديار
٢٥١ أحاديثه مع المتوكل	٢١٨ شعر أبي نواس
٢٥٢ رسائل أبي العيناء	٢١٩ طرفة أدبية
٢٥٣ نوادره وفكاهته	٢١٩ نظرف الحارث بن خالد
٢٥٧ إبراهيم بن المدبر	٢٢٠ عائشة بنت طلحة
٢٥٨ صاحب الزنج	٢٢٠ ابن أبي عتيق
٢٥٩ ماح أبي العيناء	٢٢١ اثريا بنت على
	٣٢٤ كمثل الشيطان

الأخلاق عند الغزالي

تأليف

الدكتور زكي مبارك

يقع هذا الكتاب في ٤٣٤ صفحة ، وبه كثير من الرسوم التاريخية ،
التي تمثل طائفة من المعالم القديمة ، وبه مقدمة شائقة بقلم الاستاذ الكبير
الدكتور منصور فهمي — وهذا الكتاب ضروري جداً لمن يحب
الوقوف على فلسفة الأخلاق ، وهو مكتوب بلغة صريحة جريئة
تناسب مع خطورة الموضوع الذي كتب فيه ، وعلى الأخص عند
الكلام عن الفرق بين الخير والشر ، والكفر والإيمان ، والشك
واليقين ، والجبر والاختيار ، وما الى ذلك من تلك المباحث العويصة
التي حار في فهمها المتقدمون ، وخبط أكثرهم فيها خبط عشواء
وقد قامت حول هذا الكتاب ضجة عنيفة ، فمن الواجب أن
يطلع عليه أهل العلم ليقفوا على كنه ما فيه من آثار حرية الرأي والفكر ،
ان كانوا ممن يرفضون الظن ويطلبون اليقين

حبيبنا زكي مبارك

بقلم

الدكتور زكي مبارك

من كان بطبعه ميالا الى الحرية في الفكر ، والاستقلال في الرأي ، وكان مع ذلك محبا للانصاف ، راغبا في الاعتدال ، فليقرأ هذا الكتاب فانه ينمي فكرته ، ويقوّي شخصيته ، .. ويزيده بصراً بالنقد ، وعلماً بالشعر ، ويهديه السبيل الى فهم الأدب ، والحكم على الشعراء وجدير بمن نظرفيه أن يكمل علمه ، ويكبر عقله ، لما عرف به الاستاذ زكي مبارك من سلامة الذوق ، وأصالة الرأي ، وما امتاز به من بعد النظر ، ودقة الملاحظة ، مع ماله من رشاقة الأسلوب ، ومتانة التركيب ، الى غير ذلك من الميزات التي تجعلنا نأمل كثيراً أن يكون هذا الابن البار إماماً من أئمة الأدب ، وعظيماً من عظماء الأمة ، جعله الله قدوة لشباننا العاملين ، وابتائنا الناهضين ، والسلام

مصطفى الفاياني

فدك طلع العشق

تأليف

زكي مبارك

هذا كتاب لم يسبق له نظير في الآداب العربية ، تناول فيه المؤلف بالنقد والتحليل أدوع وأبداع ما قال الشعراء في قهر الحب للنفوس ، وأسره للقلوب ، وفصل به النوازع الوجدانية في نحو سبعين باباً في كل باب منها بحث شائق طريف . وفيه مقدمة بديعة تمثل رأى المؤلف في دولة الجمال ، هي وحدها كتاب قائم بذاته ، لمن يعنيه فهم تلك القوة الساحرة ، التي تفتن في استعباد الأحرار !

وانك لتجد في هذا الكتاب تفصيلاً لموجبات الدموع ، والدمع عند الوداع ، والدمع بعد الفراق ، وشكوى الصباية ، والبكاء عند منازل الأحباب ، وشايبه الدمع ، وساطان الحب ، وغرام النساء بالنساء ، وطيف الخيال ، وليالي سنتريس ، واليأس والرجاء ، والعتاب ، ونوح الحمام ، وثورة الوجد ، والأرق والسهاد ، ومدارة الرقباء ، وبخل الحسان ، وظلم الحبيب ، والهرب من الفراق ، وبلايا الغيرة ، والرفق بالحبيب المريض ، واهوال الصدود — وما إلى ذلك من الأبحاث الممتعة التي لا تجدها مفصلة في أى كتاب

الْعَلَّامُ

كتاب يمثل قوة الحق وروعة الجمال

بِغَلَمٍ

زكى مبارك

ما بال فريق من الناس ، يؤمنون بما خلقت له أيديهم وأرجلهم ،
وعيونهم وآذانهم ، ثم يرتابون فيما خلقت له عقولهم ؟

فلا وربك لا يؤمنون حتى يعرفوا أن المؤمن عن نعمة العقل
مستول ، وما كنت لأعقّ العقل ، وقد حكمه الله يوم هداني إلى
الايمان ، فمن كان يريد أن يرى غضبتي للحق ، وعبادتي للجمال ، فليقرأ
هذا الكتاب ، ومن كان يريد أن يرى صورة مكررة لمن سلف من
الكتاب والشعراء ، فليعلم أن الخمول أحب إلى من أن أكون صدئ
لأحد من القدماء ، أو المحدثين ، وما أهون التوضيحية في سبيل الابداع
إذا انحصرت في الخمول !

زكى مبارك

السطر	صفحة	الخطأ	الصواب
٦	٨	لمجتميه	لمجتميه
١٥	٢٥	أمّه	أمّه
٢	٣٧	يسرّ	يسرّ
٢٠	٥١	صديق	صديق
٧	٧٤	احتجب	احتجت
٥	٥٧	تعطلن	تعطلن
١٠	٧٠	فضعّه	فضعّه
٢	١١٠	الايحاز	الايحاز
١١	١١٧	غمه	عمه
٢٢	١٢٢	المهمه	المهمه
٢٣	١٣١	الباغ: الطيب	الباغ: البستان
١٨	١٥١	عوجا	عوجا
١٨	١٥٤	يصبوح	يصبوح
١٢	١٦١	ستاتره	ستائره
٧	١٦٩	تفضي	تفضي
٢٢	١٦٩	الخرامى	الخرامى
٢	١٧٥	وبلها	وبلها